جامعة الخليل

كلية الدراسات العليا

السلطان الأشرف خليل بن قلاوون وسياسته الخارجية والداخلية (689 - 693 هـ /1290 - 1294م)

إعداد

فلسطين تيسير إبراهيم جندي

إشراف

الدكتور شوكت رمضان حجة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي في جامعة الخليل

السلطان الأشرف خليل بن قلاوون وسياسته الخارجية والداخلية

(689 . 693 هـ /1290 . 1294م)

Sultan al-Ashraf Khalil ibn Qalawun and his foreign and domestic policy

(689-993 Hijri / 1290-1294 AD)

إعداد

فلسطين تيسير إبراهيم جندي

نوقشت هذه الرسالة يوم الثلاثاء..... بتاريخ.....١٤/٥/٢٠١٢.....

الموافق.....وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
1. د. شوكت رمضان حجة	مشرفاً ورئيساً	.....
2. د. عمر شلبي	ممتحناً داخلياً	.....
3. د. عثمان الطل	ممتحناً خارجياً	.....

المختصرات والرموز

ت : توفى .

ج : جزء .

د.ت : دون تاريخ نشر .

د.م : دون مكان نشر .

ط : طبعة .

ص: صفحة .

ع : عدد .

ق : قسم .

م : ميلادي .

مج : مجلد .

هـ :هجري .

إهداء

الحمد لله أولاً وأخيراً..

إذ هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله..

إلى والدي أطال الله عمرهما ومتعهما بنعيم دهره...

إلى عمي الغالي حماد الجندي...

إلى الغالية الأميرة سميرة الجندي...

إلى إخوتي وأخواتي الأحباء ...

شكر وتقدير

أتوجه بالشكر الجزيل إلى الدكتور شوكت رمضان حجة المشرف على هذه الدراسة، الذي قدم لي النصح في اختيار موضوع الدراسة، وأمدني بغالبية مصادرها ، وأرشدني ووجهني لإخراج هذه الدراسة إلى النور.

اتقدم بالشكر والامتنان الى استاذي رئيس قسم التاريخ الدكتور عبد القادر جبارين على صبره واحتماله لي طيلة فترة البحث والذي لم يبخل بجهده ووقته متابعاً مراحل انجاز هذا البحث.

وأتوجه بالشكر إلى كل من مدّ يد العون والمساعدة لي، من حيث التدقيق اللغوي، وتوفير المصادر التي لم أستطع الحصول عليها ومنهم الدكتور حسن عبد الهادي، والدكتور طالب الصوافي، والدكتور محمد الحروب، والدكتور عبد الرحمن المغربي، ومن قسم اللغة العربية في جامعة الخليل الدكتور هشام الشويكي، والأستاذ ناصر الطميزي، والدكتور علي غريب، ومن قسم الجغرافيا التطبيقية، الدكتور أحمد إغريب، و الزميل الأستاذ نافز الشوامرة، والأستاذ جمال فودة مدير مكتبة جامعة اليرموك والمربية الفاضلة كوكب عمرو مديرة مدرسة الشهيد عبد العزيز أبو سنينة الثانوية.

فهرس المحتويات:-

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء.....	**ج**
الشكر والتقدير.....	**د**
المحتويات.....	**هـ**
ملخص باللغة العربية.....	**ح**
المقدمة.....	**ط**
الفصل الأول: نشأة السلطان الأشرف خليل وحياته	
اسمه ونسبه.....	2
مولده.....	4
عائلته.....	6
صفاته.....	9
نشأته وثقافته.....	17
ولاية عهد الأشرف.....	22
وفاة الملك المنصور.....	30
علاقة الأشرف خليل والأمراء.....	37
مقتله.....	49
رأي المؤرخين في الأشرف.....	55
الفصل الثاني: العلاقات الخارجية في عهد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون	
1- علاقة الأشرف خليل بفرنجة الساحل الشامي.....	61
أ- العلاقات بين دولة المماليك والفرنجة قبيل تحرير عكا	61
ب- العوامل التي ساعدت المماليك على تحرير عكا والساحل الشامي	67
ج- نقض الهدنة ووفاة المنصور	70
د- استعدادات الأشرف خليل للخروج إلى عكا.....	74
هـ- استعدادات الفرنجة (الصليبيين).....	80
و- حصار مدينة عكا.....	84
ز- سقوط مدينة عكا.....	87

ح- الاحتفال بتحرير مدينة عكا.....	94
ط- تحرير الساحل الشامي..... - صور..... - صيدا..... - بيروت..... - طرطوس..... - عثليث..... - جبيل.....	99 99 101 102 103 103 104
2- علاقة الأشرف خليل بالغرب الأوروبي والممالك الإسبانية.....	104
أ- الغرب الأوروبي.....	104
ب- الممالك الإسبانية.....	108
3- علاقة الأشرف خليل مع مغول فارس وحلفائهم (إيلخانية فارس).....	115
أ- مغول فارس	115
ب- جهود الأشرف خليل لفتح قلعة الروم كحلفاء لمغول فارس	119
أ- استعدادات الأشرف لتحرير قلعة الروم.....	120
ب- حصار قلعة الروم وسقوطها.....	122
د- الاحتفال بنصر قلعة الروم.....	127
4- علاقة الأشرف خليل بمملكة أرمينيا الصغرى.....	129
5- علاقة الأشرف خليل بمملكة النوبة.....	135
الفصل الثالث: الأحوال الداخلية في عهد السلطان الأشرف خليل	
أولاً: الأحوال العسكرية.....	**141**
الجيش	141
ثانياً: الأحوال الإدارية.....	**148**
أ- نواب الشام.....	148
ب- المكاتبات.....	156
ثالثاً: الأحوال الاقتصادية.....	**159**
أ- الطرق.....	159

ب- السكة.....	160
ج- التجارة	162
د- الصناعة.....	167
هـ- الزراعة.....	168
رابعاً: الأحوال الاجتماعية.....	**171**
أ- موقف الأشرف خليل من القبائل العربية.....	171
ب- موقف الأشرف خليل من أهل الذمة.....	175
ج- تمرد الكسروانيين.....	177
د- الأعياد والمناسبات.....	178
خامساً: المعالم العمرانية في عهد السلطان الأشرف خليل.....	**181**
أ-الديار المصرية.....	181
ب- البلاد الشامية.....	187
الخاتمة.....	192
الملاحق.....	194
قائمة المصادر والمراجع.....	200
أولاً: المخطوطات.....	200
ثانياً: المصادر.....	201
ثالثاً: المراجع العربية.....	214
رابعاً: الرسائل الجامعية.....	219
خامساً: الدوريات.....	220
سادسا: الموسوعات والمعاجم.....	221
سابعاً: المصادر والمراجع الأجنبية.....	222
المعربة.....	222
المراجع الأجنبية.....	223
الدوريات الأجنبية.....	225
الملخص باللغة الإنجليزية.....	226

الملخص باللغة العربية:-

تناولت هذه الدراسة السلطان الأشرف خليل بن قلاوون وسياسته الخارجية والداخلية (689 – 993هـ/ 1290–1294م)، وهدفت إلى التعرف على أهم معالم شخصية السلطان الأشرف خليل، وعلاقاته مع الأمراء في دولته، وعلاقاته الخارجية، وأحوال السلطنة المملوكية في عهده، وتناول الفصل الأول مولد السلطان الأشرف خليل وعائلته وصفاته الخلّقية والخُلقية ونشأته الثقافية وولاية عهده وجلوسه على كرسي السلطنة، كما درس هذا الفصل علاقاته مع الأمراء وسياسته تجاههم، وتناول الأسباب التي أدت إلى سوء علاقته بهم، والتي أدت في النهاية إلى قتله، وبين الفصل الثاني سياسة السلطان الأشرف خليل اتجاه فرنجة الساحل الشامي، وعزمه على محاربتهم، وتحرير أواخر المدن والمعاقل التي كانت تحتويهم، وتتطرق هذا الفصل أيضاً إلى علاقات السلطان الأشرف مع مغول فارس ومملكة أرمينيا ومملكة النوبة كأهم الدول المجاورة للسلطنة المملوكية في ذلك العهد، كما ودرس أهم المعاهدات التي عقدها السلطان.

وضح الفصل الثالث الأحوال العسكرية والإدارية، وخاصة في الجيش ونواب نيابات السلطنة المملوكية في عهد السلطان، ودرس الأحوال الاقتصادية وبين دور السلطان في تسهيل الحركة التجارية على الصعيد الخارجي والداخلي، ووصف الأحوال الزراعية والنقل، وتناول نقود السلطان التي اختلف فيها عن بقية السلاطين الآخرين، وتناول علاقة السلطان مع بعض فئات المجتمع الشامي مثل أهم جبال الكسروان والقبائل العربية الشامية، وتعرض الفصل الثالث أيضاً إلى أهم المعالم العمرانية التي ارتبطت باسم السلطان في مصر والشام والتي خلدت ذكراه.

المقدمة:-

اتسمت فترة حكم الأشرف خليل بن قلاوون (690-693هـ/1291-1293م) بأنها قصيرة، وبالرغم من ذلك فقد استطاع خلال هذه السنوات القلائل عمل الكثير على الصعيد الداخلي والخارجي، أما على الصعيد الداخلي بدأ بعزل عمال أبيه وقتل البعض، الأمر الذي أدى إلى كرههم له، واستبدل هؤلاء بعمال أكثر إخلاصاً له، وأجزل عليهم العطايا وحسن الطرق، وخلص المجتمع من بعض الضرائب وبنى المدارس وغيرها من الأعمال . وقد واجه العديد من الصعوبات الداخلية، كان أهمها عدم تقبل الأمراء المماليك له، وتوجيه الاتهامات ضده وزاد الأمر سوءاً شخصية السلطان المتقلبة فكان سريع الغضب والرضا، كثير التعيين والعزل لعماله، الأمر الذي أدى إلى وقوعه ضحية لمؤامراتهم وقتله وهو في العشرينيات من عمره .

أما من الناحية الخارجية قام بتحرير الساحل الشامي من الصليبيين واستطاع إخراجهم من ديار الإسلام بعد احتلال دام حوالي القرنين من الزمان، ونظر للشرق في محاولة منه لإنهاء اعتداءات دولة إيلخانية فارس المغولية على بلاد الشام، فابتدأ بحلفائهم الأرمن، وحرر قلعة الروم، واستطاع السيطرة على مجموعة من القلاع بعد أن سلمها له الأرمن، وهنا ظهرت شخصية السلطان الأشرف، كسياسي محنك ورجل عسكري، من خلال تأمين نفسه من الخلف بتحرير الساحل الشامي من الفرنجة والسيطرة على الشمال، قبل الشروع بمهاجمة دولة إيلخانية فارس، حتى لا يقع بين فكي كماشة بين العدو وبين المتحالفين . وكانت المدة التي أنهى فيها الوجود الفرنجي، أربعة أشهر وبينها وبين فتح قلعة الروم وتحرير الشمال سنة تقريباً، وهنا يظهر مدى قدرة السلطان على التحكم في الأمور، وقدرته على جمع الكلمة ضد العدو .

وقد قَسّمت الدراسة إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة . تناول الفصل الأول الحديث عن نشأة الملك الأشرف خليل وحياته وصفاته وولاية عهده، وما دار حول هذه المسألة من غموض، وسلطنته

وأعماله، وعلاقته بالأمراء المماليك والتي أدت إلى مقتله، ثم التعرض إلى تقييم شخصيته بسبب اختلاف المؤرخين حولها ومن ثم وفاته، وفي الفصل الثاني تم استعراض العلاقات القائمة بين الدولة المملوكية والفرنجة، الذين كانوا يقطنون الساحل، والتي انتهت بتحرير الساحل الشامي بالكامل من الوجود الفرنجي، من احتلال دام حوالي القرنين بدءاً من تحرير مدين عكا، وسأبين الأسباب التي أدت إلى سير الأشرف خليل إليها وتحريرها، ومن ثم الزحف نحو الشمال محررا مدن الساحل الشامي، بالإضافة إلى علاقتهم بالممالك الإسبانية (أرغون وقشتالة) والتي تميزت بالودية من خلال المعاهدات التجارية، مما أثر على الحركة التجارية في الدولة المملوكية، وسيتم استعراض علاقة المماليك والغرب الأوروبي في فترة حكم الأشرف خليل .

كما تطرق هذا الفصل إلى العلاقات القائمة بين الدولة المملوكية والمغول، ومملكة أرمينيا الصغرى كحلفاء لهم وما ميزها من عداء، والتي ابتدأت بفتح قلعة الروم التابعة لحلفاء المغول (الأرمن) والتي أطلق عليها فيما بعد اسم قلعة المسلمين، وقد بينا في هذا الفصل الإستراتيجية التي استخدمها السلطان في تحريرها، والأهمية التي تبعت من السيطرة عليها في تأمين نفسه من الخلف، قبل العزم على القضاء على دولة المغول العدو التقليدي للدولة المملوكية.

أما الفصل الثالث فقد تناول دراسة الأوضاع الإدارية عند المماليك، في ظل سلطنة الأشرف خليل قلاوون، خلال هذه الفترة من حيث التركيز على الحياة الإدارية والاقتصادية خاصة بعد الفتوحات العسكرية، التي جعلت دولة المماليك تتحكم بمداخل ومخارج المنطقة، وعملت على تنشيط الحركة التجارية؛ بالإضافة إلى ماهية السكة والمنجزات العمرانية في هذه الفترة .

كما وناقش الفصل الثالث، علاقة السلطان الأشرف خليل ببعض فئات المجتمع داخل السلطنة المملوكية، ومنهم الكسروانيون وعرب الشام وأهل الذمة، وما طرأ من تغييرات على هذه الفئات إبان فترة السلطان الأشرف خليل .

سبب اختيار الموضوع:-

أما سبب اختياري للموضوع فيعود إلى الأسباب الآتية :

- إن موضوع الدراسة لم يبحث سابقاً .
- إن فترة حكم الأشرف خليل فترة زمنية قصيرة ، مقارنة مع الأعمال التي قام بها،والتي أثرت في التاريخ الإسلامي ، وغيّرت من مجراه خلال تلك الفترة الزمنية القصيرة .
- تعدد وجهات النظر حول شخصية السلطان الأشرف خليل، حيث جمع بين العديد من المتناقضات المختلفة من حيث (جبروته وتسامحه وضبطه وتسيّبه وغروره وتواضعه).

ظهور شخصية السلطان كرجل سياسي محنّك وقائد عسكري متحكم ، ويظهر ذلك جلياً من خلال اتجاهاته نحو الفتح ؛ مما دفعني إلى دراسة تلك الشخصية كإحدى الشخصيات العظيمة ، التي تستحق الدراسة أمثال القائد خالد بن الوليد وصلاح الدين الأيوبي والظاهر بيبرس.

أهمية الدراسة:-

جاءت أهمية هذه الدراسة كونها بحثت في شخصية السلطان الأشرف خليل، التي تضاربت الآراء والأقاويل حولها ما بين مؤيد ومعارض، وهدفت إلى البحث في الشبهات التي نسجت حول هذه الشخصية من خلال استعراض كل مراحل حياة السلطان الأشرف خليل، التي لم تكن طويلة ، من أجل الوصول إلى الحقائق في خضم التناقضات التي تعرض لها هذا السلطان .

الدراسات السابقة:-

تم البحث في أسرة قلاوون من خلال عدة دراسات عامة تشمل دراسة الأسرة بأكملها، ومن ذلك دولة بني قلاوون في مصر، للباحث محمد جمال الدين سرور ، وتم البحث في بعض شخصيات الأسرة

كالسلطان المنصور سيف الدين قلاوون للباحث محمد الحداد ، وشخصية أخرى هي الناصر محمد بن قلاوون للباحث عبد العزيز مرزوق والباحث هاني مبارك كدارستين منفصلتين .

ومن خلال اطلاعي على الرسائل الجامعية ، فإني لم أجد دراسة بحثية لشخصية السلطان الأشرف خليل بن قلاوون قد طرحت من قبل ، ولهذا ستكون هذه الدراسة مكملة لما سبقتها من دراسات حول أسرة آل قلاوون .

منهجية الدراسة :

اعتمدت الباحثة في هذه الدراسة على جميع المعلومات من المصادر التاريخية، خاصة المعاصرة للأحداث ومقارنتها مع بعضها البعض ؛ للتحقيق من مصادقة بعض الروايات، ونهجت الباحثة أسلوب التحليل في العلاقات التي جمعت السلطان الأشرف خليل والأمراء من جهة والدول الخارجية من جهة أخرى.

عرض أهم مصادر الدراسة:-

قامت هذه الدراسة على العديد من المصادر الأساسية التاريخية والجغرافية، إلى جانب كبير من كتب الأعلام والمعاجم، قد جاءت غالبيتها معاصرة لفترة الدراسة أو قريبة العهد منها وبذلك شكلت الأساس الذي قامت عليه هذه الدراسة، وهنا سأقوم بعرض بعض المصادر الأساسية التي اعتمدنا عليها في البحث، ورتبت حسب أهميتها للبحث كالآتي:-

1- المصادر المعاصرة للدراسة:-

مؤلفات محيي الدين بن عبد الظاهر (ت692هـ/1292م) وهو من أهم المؤرخين الذين عاصروا الجزء الأكبر من الدراسة فكان كاتباً للإنشاء في عهد السلطان الأشرف خليل، حتى توفي في عهده، ومن خلال كتاب سيرة الأشرف خليل " الألطاف الخفية من السيرة الملكية السلطانية الأشرفية "، استطعنا أن

نبني كثيراً من الأفكار، حول شخصية السلطان الأشرف خليل، والأحداث التاريخية التي مرت في عهده، ولو أن قسماً كبيراً من الكتاب غير محقق ولم نستطع الحصول عليه .

والكتاب الآخر هو " تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور " وهي سيرة كتبها المؤرخ للسلطان سيف الدين قلاوون، ومن خلال هذا الكتاب توصلنا لحقائق كثيرة تتصل بالأشرف خليل، قبل عهد السلطنة وبين لنا كثيراً من الأحداث، التي سبقت فترة الأشرف خليل، وكانت لها أهمية كبيرة في السلطان الأشرف خليل .

- كتاب " نهاية الإرب في فنون الأدب " للمؤلف شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت733هـ/1391م) وعاصر هذا المؤرخ فترة الدراسة من دمشق وذكر كثيراً من التفاصيل حول حياة السلطان الأشرف خليل، والأحداث التي مرت في دمشق والشام، إبان حقبة السلطان الأشرف خليل، وانفرد بإيراد الكثير من المعلومات التاريخية التفصيلية التي تم الاستفادة منها في جميع فصول الدراسة.

- كتاب المختصر في أخبار البشر " للمؤرخ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل (ت732هـ/1331م) وكان هذا المؤرخ معاصراً للأحداث، اشترك في الحملات العسكرية الإسلامية ضد الفرنج والأرمن ومغول فارس.

- مؤلفات المؤرخ بيبرس المنصوري الأمير ركن الدين الدواداري (ت725هـ/1324م) ومؤلفاته هي " زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة " و " التحفة الملوكية في الدولة التركية " و "مختار الأخبار" .

وتكمُن أهمية هذا المؤرخ كونه كان معاصراً للسلطان الأشرف خليل، فكان نائبه على الكرك واشترك معه في فتوحاته العسكرية ضد الفرنج ومغول فارس، واستطاع أن يصف لنا المعارك وصفاً دقيقاً .

2- المصادر القريبة من فترة الدراسة:-

- البداية والنهاية لعماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي (ت774هـ/1372م)، وقد جاءت أخباره دقيقة وموثوقة فهو فقيه إلى جانب كونه مؤرخاً، كما كان قريباً للأحداث وخاصة في الأجزاء الأخيرة من كتابه .

- مؤلفات المؤرخ المقريزي (ت845هـ/1441م) وكان أهمها السلوك في معرفة دول الملوك وهو مصدر أرخ فيه المؤلف لتاريخ الدولة الإسلامية بإيجاز حتى انتهى إلى الدولة المملوكية، إذ أرخ لها بشكل شامل، واتبع بذلك نظام الحوليات، وقد أرخ لسنة (841هـ/1437م)، واستخدمت الجزء الثاني منه، وقد أفدت من هذا الكتاب في معظم فصول الدراسة، إضافة إلى كتاب المقفى الكبير الذي اختص بالأعلام، ومؤلف شذور العقود في ذكر النقود، وإغاثة الأمة بكشف الغمة، واللذين استفدت منهما في الفصل الثالث، وقد أفادتنا هذه الكتب في الحديث عن الحياة الاقتصادية في الدولة المملوكية.

- مؤلفات جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت884هـ/1469م) ومن أبرزها كتاب " النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة " وكتاب " المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي "، وكان الأخير في تراجم الأعلام، وما ميز مؤلفات المؤرخ بن تغري بردي، أنه نقل الأحداث بموضوعية دون التأثر بالمصادر التي نقل عنها وأهمها مؤلفات المقريزي.

- كتاب " عقد الجمان في أخبار أهل الزمان "، لبدر الدين محمود العيني (ت855هـ/1451م)، وليس مبالغاً إذا قلنا أننا استفدنا من هذا الكتاب في كافة فصول الدراسة، فكان البدر العيني مسهباً في سرد الأحداث التاريخية وأكثر الأحداث تفصيلاً.

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لشهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت853هـ/1449م)، وهو أحد أهم كتب التراجم في لعصر المملوكي فقد حدد المؤلف تراجمه في القرن الثامن وقد أفدت من هذا الكتاب في تراجم أهل هذا القرن، من شخصيات سياسية وعسكرية ونواب وكتبة وردوا في هذه الدراسة .

- مؤلفات المؤرخ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت821هـ/1418م)، كان أهمها صبح الأعشى في صناعة الإنشا، وهو كتاب شامل يدخل ضمن نظم الموسوعات، وتكمن أهمية هذا المصدر؛ بشمول مادته ودقتها التي أوردها المؤلف، وذلك بحكم وظيفته كرئيس لديوان الإنشاء بالقاهرة، وقد أفدنا من هذا الكتاب في معظم فصول الدراسة سواء من الوثائق والتقاليد أو الصبغ أو المعاهدات التي جاءت في كتبه، بالإضافة إلى تعريف كثيراً من مصطلحات العصر المملوكي، إضافة إلى مصادر أخرى أهمها: مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ونهاية الإرب في معرفة أنساب العرب، وكتاب قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان. وليس مبالغاً فيه حين نقول أن كتب القلقشندي قد غطت جميع فصول الدراسة .

إضافة إلى العديد من المراجع التي استزدنا بها ككتاب الحركة الصليبية، للباحث سعيد عاشور ودولة بني قلاوون للباحث محمد جمال سرور، وتاريخ الحروب الصليبية للباحث الغربي ستيفن رنسيمان، ولا ننسى بعض المعاجم والموسوعات التي وضحنا من خلالها معظم مصطلحات الدراسة.

الفصل الأول

نشأة السلطان الأشرف خليل وحياته

اسمه ونسبه

مولده

عائلته

صفاته

نشأته وثقافته

ولاية عهد الأشرف

وفاة الملك المنصور

علاقة الأشرف خليل والأمراء

مقتله

رأي المؤرخين في الأشرف

اسمه ونسبه:-

هو الأشرف صلاح الدين خليل، الابن الثاني للسلطان سيف الدين منصور بن قلاوون ولُقّب بالأشرف في حياة أبيه [1]، ولقب أيضاً بصلاح الدين. وللوهلة الأولى يعتقد البعض أنّه لقب بذلك اقتراناً بالقائد صلاح الدين الأيوبي؛ لفتوحاته ودوره في مجابهة الصليبيين على السّاحل الشّامي، إلاَّ أنه تقلَّد هذا اللقب في حياة والده، أي قبل توليه السّلطنة، وبالضبط حين فُوِّض ولاية العهد [2]؛ أي قبل فتوحاته.

أما نسبه فيعود إلى أبيه سيف الدين منصور قلاوون الأَلفي الصّالحي النّجمي العلائيّ[3]، السّلطان السّابع من جملة السّلاطين الأتراك [4]، وهو تُركي الأصل، من مواليد قبيلة برج أغلي (أغلو)[5]

---

[1] – ابن عبد الظاهر، محيي الدين، **تشريف الأيام والعصور**، 246 ؛ ابن دقماق، إبراهيم، **الجوهر الثمين** ج 1، 105 ؛ ابن إياس، محمد، **بدائع الزهور**، ج1، 365.

[2] – ينظر نص تفويض ولاية العهد للأشرف، ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور** 246–251 ؛ حمادة، محمد ماهر، **الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكي**، 139.

[3] – لقب بالصالحي النجمي، لأنه من جملة مماليك الصالح نجم الدين أيوب والعلائي، الألفي، لأن علاء الدين أقسنقر، قد اشتراه بألف دينار. للمزيد ينظر: ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 43 ؛ العسقلاني المصري، شافع بن علي الكاتب: **الفضل المأثور**، 25–26 ؛ ابن شاكر الكتبي، محمد، **فوات الوفيات**، مج3، 203–204 ؛ القلقشندي، شهاب الدين، **مأثر الإنافة**، ج2، 124 ؛ المقريزي، أحمد، **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**، 115.

[4] – تسلطن في الثالث من شعبان (678هـ/ 1279م). ينظر: ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 54، العسقلاني المصري، **الفضل المأثور**، 51 ؛ اليافعي، عبد الله، **مرآة الجنان**، ج4، 208 ؛ المقريزي، أحمد، **السلوك**، ج2، 94 ؛ ابن سباط، حمزة، **صدق الأخبار**، ج1، 47.

[5] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 43 ؛ المقريزي، أحمد، **الخطط**، ج3، 93؛ العيني، بدر الدين محمود، **عقد الجمان**، ج3، 6 ؛ ابن تغري بردي، جمال الدين، **النجوم الزاهرة**، ج7، 94.

ببلاد القفجاق – أو القبجاق – [1]، في جنوب روسيا الحاليّة [2]، اشتراه السّلطان الصالح نجم الدين أيوب [3] (638 – 647هـ / 1240 – 1249م)، من علاء الدين آقسنقر[4]، وكان صغيراً [5]، ثم جيء جيء به إلى مصر، فتقلبت به الأحوال حتى أصبح تابعاً للظّاهر بيبرس[6].

وأتابكاً [7] للملك العادل، بدر الدين سَلامش [8] بن الظاهر بيبرس، بعد خلع أخيه الملك السعيد بركة

---

[1] – القبجاق: جنس من الترك، على عادة البدو من الترحال، انتشروا في السهول ما بين بحر قزوين، والبحر الأسود، بالقرب من نهر الأثل (الفولجا). للمزيد ينظر: القلقشندي، شهاب الدين، **صبح الأعشى**، ج4، 456 ؛ البستاني، بطرس، دائرة المعارف، مج3، 254 ؛ الخطيب، مصطفى، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، 374

[2] – الحداد، محمد حمزة، **السلطان المنصور قلاوون**،15.

[3] – هو الملك الصالح نجم الدين أيوب، ولد ونشأ بالقاهرة، وولي بعد خلع أخيه الملك العادل، عام (637هـ/1239م) ومات بالمنصورة. ينظر: ابن واصل، محمد، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، ج5، 265.

[4] – آقسنقر الساقي العادلي أحد مماليك العادل أبي بكر أيوب. ينظر: المقريزي، **السلوك**، ج2، 122.

[5] – العسقلاني، المصري، **الفضل المأثور**، 25 ؛ المقريزي: **الخطط**، ج3، 93 ؛ ابن إياس: **بدائع الزهور**، ج1، 347.

[6] – الظاهر بيبرس تولى الحكم بين عامي (658–676هـ / 1259 – 1277م). للمزيد ينظر: ابن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، مج1، 235 – 241 ؛ Ibn alfurat , **al – Duual wal muluk** , 215 ؛ ابن تغري بردي، جمال الدين، **مورد اللطافة**، ج2، 33 ؛ ابن طولون الصالحي، **النزهة السنية في ذكر الخلفاء والملوك المصرية**، مخطوط بالمكتبة الوطنية باريس، ويوجد نسخة مصورة في مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية، تحت رقم، 341، ورقة 57 ؛ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، مج 7، 719.

[7] – أتابك: لفظ مركب من (أتا)، بمعنى أب، أو السيد المحترم، (وبك) بمعنى الأمير، وهو لقب يطلق على مربي أبناء الملوك عند السلاجقة. للمزيد ينظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، 18 ؛ ابن كنان، محمد، **حدائق الياسمين**، 113–114 ؛ الخطيب، مصطفى، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، 17.

[8] – هو بدر الدين بن الظّاهر بيبرس، استقر بالسلطنة بعد خلع أخيه الملك، الصالح السعيد، وكان عمره سبع سنين ونصف، فكانت مدة إقامته في الملك أربعة أشهر وأياماً قلائل (678هـ/1279م)، وكان المنصور أتابكاً له، حتى خلعه وبعثه مع أهله إلى الكرك، ثم إلى اسطنبول، وتوفي فيها عام (690هـ / 1291م). للمزيد ينظر: أبو الفداء، عماد الدين، **المختصر في أخبار البشر**، ج4، 20 ؛ ابن أيبك الدواداري، أبو بكر بن عبد الله، **درر التيجان وغرر تواريخ الأزمان**، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم 4409 ورقة 582 ؛ الذهبي، محمد، **دول الإسلام**، ج2، 215 – 216 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 212، 231 ؛ ابن تغري بردي، **مورد اللطافة**، ج2، 37 ؛ العصامي، عبد الملك، **سمط النجوم العوالي**، ج4، 25.

خان [1]، ثُمَّ صار سلطاناً بعد خلعه الملك بدرَ الدين سَلامش عام (678هـ / 1279م)[2]. وبذلك استطاع المنصور قلاوون أنْ يصل إلى سُدَّةِ الحكم، ممهّداً الطريقَ لابنه الأشرف من بعده ؛ ليكون السلطان الثامن من سلاطين الدولة المملوكية الأولى [3].

مولده:-

يبدو من خلال استعراض المصادر التاريخية، أنَّ معظمها لم يتعرض إلى تاريخِ مولد السلطان الأشرف خليل، وأشار بعضها إلى أنَّ مولده كان في سنة (666هـ / 1267م) تقريباً تبعا لرواية ابن تغري بردي [4] وابن إياس[5].

---

[1] – هو ناصر الدين أبو المعالي محمد، المدعو بركة قان أو خان، ابن السلطان الظاهر بيبرس البندقداري، الصالحي، وسمي بركة خان على اسم جده لأمه، بركة خان ملك مغول القفجاق. للمزيد ينظر: ابن المغيزل، علي، **ذيل مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، 92 ؛ العسقلاني المصري، **الفضل المأثور**، 49 ؛ ابن طولون الصالحي، **النزهة السنية في ذكر الخلفاء والملوك المصرية**، ورقة 57 ؛ ابن تغري بردي، **مورد اللطافة**، ج2، 33.

[2] – العسقلاني المصري، **الفضل المأثور**، 49؛ الجعفري، محمد، **أنهج الطرايق والمناهج والسلوك إلى تواريخ الأنبياء والملوك**، مخطوط بالمكتبة الوطنية باريس، رقم 1815، توجد نسخة مصورة بمركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية تحت رقم 341 أوراق201 – 202؛ القلقشندي، **مآثر الإنافة**، ج2، 124؛ المقريزي، **السلوك**، ج3، 93؛ ابن تغري بردي، **مورد اللطافة**، ج2، 38 ؛ ابن طولون الصالحي، **النزهة السنية في ذكر الخلفاء والملوك المصرية**، ورقة 57 ؛ علي، محمد كرد، **خطط الشام**، ج2، 123 ؛ الشهابي، حيدر أحمد، **الغرر الحسان في تواريخ وحوادث الزمان (تاريخ حيدر الشهابي)**، ج1، 466 ؛ E.Bos worth , **The Encylopeodof Islam** , P 322..

[3] – النويري، **نهاية الأرب**، ج 31، 177 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 23 ابن دِقماق، إبراهيم، **النفحة المسكية**، 88.

[4] – **مورد اللطافة**، ج2، 42 ؛ **الدليل الشافي**، ج1، 292.

[5] – **بدائع الزهور**، ج1، 365.

والمعروف أنَّ الأشرف قُتل في محرم عام(693هـ/ 1292م) [1]، وبذلك يكون عمره سبعةً وعشرين عاماً إذا كان مولده عام (666هـ/1267م) [2]، وقد نقل ابن تغري بردي [3] وابن إياس [4]، روايتهما عن الذهبي في كتابه " تاريخ الإسلام" أنَّه لم يبلغ الثلاثين عاماً [5]، ولكنَّ الذهبي يذكر في كتابه كتابه " دول الإسلام "، أنَّه عاش ثلاثين عاماً ونيفاً [6]، ويتفق المؤرخ ابن حبيب مع الذهبي فيما ذهب إليه عن عمر الأشرف [7]، ويبدو مما سبق أن المؤرخ الذهبي قد أخطأ في تقدير عمر الأشرف فيما أورده أورده في كتابيه المذكورين، لذلك نخلص إلى أن الأشرف توفي حول الثلاثين عاماً سواءً أكثر أو أقل.

ومن جهة أخرى يذكر، المقريزي أنَّ الأشرف ولد عام (670هـ / 1271م)[8]، وأجد أنَّها رواية ضعيفة ؛ ذلك أنَّ الأشرف تزوج عام (682هـ/1283م) [9] فمن غير المعقول أن يكون قد تزوج وهو في الثانية عشرة من العمر.

---

[1] – ابن أيبك الصفدي، خليل، **الوافي بالوفيات**، ج13، 399 ؛ ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج1، 167 ؛ ابن تغري بردي، **الدليل الشافي**، ج1، 292 ؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج1، 377.

[2] – **مورد اللطافة**، ج2، 42 – 43 ؛ **بدائع الزهور**، ج1، 365.

[3] – **مورد اللطافة**، ج2، 42 – 43.

[4] – **بدائع الزهور**، ج1، 365.

[5] – الذهبي، محمد، **تاريخ الإسلام**، حوادث 691 – 700هـ، 180.

[6] – **دول الإسلام**، ج2، 219.

[7] – ابن حبيب، الحسن، **درة الأسلاك في دولة الأتراك**، مخطوط ضمن مجموعة مارش، بودليان، أكسفورد، رقم 223، يوجد نسخة مصورة عنه في مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية، تحت رقم 539، ج1، ورقة 181 ؛ تذكرة النبيه، ج1، 167.

[8] – المقريزي، أحمد، **المقفى الكبير**، ج3، 794.

[9] – بيبرس المنصوري، ركن الدين، **التحفة الملوكية**، 134 ؛ النويري، **نهاية الأرب**، 31، 361.

عائلته:-

تزوج المنصور قلاوون زوجته الأولى من ابنة سيف الدين كرمون [1]، ويقال لها أم الصَّالح [2] ويبدو أنها والدة الأشرف خليل، ذلك أنَّه حين توفي قيل إنه دفن بمدرسته بالقرب من تربة والدته، وهناك تربة أم الصالح [3] وقد توفيت في 16 شوال/ 8 كانون الاول عام (687هـ/ 1283م) [4].

وأنجب المنصور ولدين من أم الصالح، الأول علي بن قلاوون، وهو الذي لقب بالملك الصّالح[5]، وقد مات في حياة أبيه إثر مرض (دوسنطاريا) أو ما يعرف بالحمى الكبدية عام (687هـ/1288م) [6] وقيل: إنَّ أخاه الأشرف قد سمَّه [7]، وكان آنذاك ولياً للعهد. ولم تزودنا المصادر المعروفة بمعلومات أخرى عن هذه الرواية، في حين ذكرت كثير من المصادر التاريخية المعاصرة

---

[1] – العسقلاني المصري، **الفضل المأثور**، 27.

[2] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 55 ؛ المقريزي، **الخطط**، ج3، 367 ؛ الحداد، محمد حمزة، **السلطان المنصور قلاوون**، 86.

[3] – تربة أم الصالح: وهي مدرسة وتربة في نفس الوقت، وبناها علم الدين الشجاعي برسم من السلطان قلاوون ودفنت فيها فيها زوجته عام (682هـ/1283م). للمزيد ينظر: المقريزي، **الخطط**، ج3، 367.

[4] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 55.

[5] – أوجدالمماليك نظاما يضمن لأبنائهم السلطنة من بعدهم؛ وذلك بإطلاق عليهم لقب ملوك في حياتهم. للمزيد ينظر:عاشور، سعيد، **مصر والشام في العصر المماليك**،217

[6] – ابن المغيزل، **ذيل مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، 119 ؛ الصفدي، **نزهة المالك والمملوك**، 164 ؛ الذهبي، شمس الدين محمد، **المختار من تاريخ ابن الجزري**، 327 ؛ ابن أيبك الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج13، 392؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 207 ؛ ابن تغري بردي، **الدليل الشافي**، ج1، 468 ؛ ابن سباط، **صدق الأخبار** ج1 490؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج1، 357.

[7] – المقريزي، **السلوك**، ج2، 207.

والقريبة من الحدث أنه توفي بحمى كبدية ويرجح الباحث هذه الرواية؛ كون متحدثيها أقرب إلى الحدث من المؤرخ المقريزي الذي توفي (845هـ/ 1441م)، إلاّ أنّ هذا المؤرخ ذكر روايات عدة حاول فيها تشويه صورة السلطان الأشرف خليل ويبدو أن هذه الرواية إحدى تلك الروايات. وترك الصالح علي ولداً من زوجته (خوند منكبك ابنة الأمير سيف الدين نوكيه) [1] اسمه موسى [2].

أما الابن الثاني للمنصور قلاوون فهو الأشرف خليل [3]، كما أنجب من البنات ثلاثاً هن: غازية خاتون، التي تزوجت بركة خان بن الظاهر بيبرس، عام (674هـ/1275م)[4] وتوفيت في السنة التي تُوفي فيها أخوها، الصّالح علي عام (687هـ/1288م) [5] ؛ بالإضافة إلى أختيها: دار مختار الجوهري، الجوهري، واسمها التطمش، ودار عنبر الكمالي [6].

---

[1] – النويري، **نهاية الأرب**، ج1، 159 ؛ ابن الوردي، عمر، **تتمة المختصر في أخبار البشر**، ج2، 324 ؛ ابن تغري بردي، **الدليل الشافي**، ج1، 468.

[2] – ابن الوردي، **تتمة المختصر في أخبار البشر**، ج2، 334 ؛ ابن أيبك الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج13، 392. المقريزي، **السلوك**، ج2، 207 ؛ ابن تغري بردي، **الدليل الشافي**، ج1، 468.

[3] – ابن حبيب، **درة الأسلاك**، ج1، ورقة 181 ؛ ابن سباط، **صدق الأخبار**، ج1، 494 ؛ الكرمي، **مرعي نزهة الناظرين**، 182.

[4] – العسقلاني المصري، **الفضل المأثور**، 28 ؛ ابن دقماق، **النفحة المسكية**، 64.

[5] – الذهبي، **المختار من تاريخ ابن الجزري**، 327 ؛ ابن شاكر الكتبي، **عيون التواريخ**، ج21، 428.

[6] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 174 ؛ الفيومي، محمد، **نثر الجمان في تاريخ الأعيان**، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم 1746، ورقة 422 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 217.

وتزوج المنصور عام (680هـ/1281م) من أشلون [1]، وهي ابنة الأمير سكتاي بن قراجين بن جنقان [2]، وقد أنجبت له ابنه الثالث، الملك الناصر محمد عام (684هـ/1285م) [3]، الذي تولى السلطنة بعد أخيه الملك الأشرف عام (693هـ/1293م)[4]، وذكرت بعد المصادر أنَّ للمنصور ولداً آخر ولد بعد وفاته، عُرِفَ بالأمير أحمد [5]، توفي في سلطنة أخيه الأشرف، [6] على أنَّ بعض المصادر الأخرى، لم تذكر هذا الابن من جملة عائلة المنصور ربما لأنه مات صغيراً.

هذا ما يخص أخوة الأشرف وأخواته. أما بالنسبة للأشرف فقد تزوج من أردكين بنت نوكية بن قطفان المغلية [7]، وهي أخت زوج أخيه الصالح علي، والتي تُدعى منكبك [8]

---

[1] – هي أشلون خاتون بنت سكتاي الططرية تزوجها المنصور، وأنجب منها ولده الناصر محمد، وعاشت حتى أدركت سلطنة ابنها الناصر. ينظر: ابن حجر العسقلاني، أحمد، **الدرر الكامنة**، ج1، 385.

[2] – بيبرس المنصوري، التحفة الملوكية، 107 ؛ ابن دقماق، **النفحة المسكية**، 79 ؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج1، 351.

[3] – الصفدي، نزهة المالك والمملوك، 162 ؛ ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، مج4، 35 – 36 ؛ ابن دقماق، النفحة المسكية، 79 ؛ المقريزي، الذهب المسبوك **في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**، 126 ؛ ابن سباط، **صدق الأخبار**، ج1، 487.

[4] – أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج4، 41 ؛ الجعفري، **أنهج الطرايق والمناهج والسلوك**، ورقة 203 ؛ ابن دقماق، **الجوهر الجوهر الثمين**، ج1، 114 ؛ العصامي، **سمط النجوم العوالي**، ج4، 26 – 27.

[5] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 174 ؛ الفيومي، **نثر الجمان**، ورقة 442 ؛ الجعفري، **أنهج الطرايق والمناهج والسلوك**، ورقة 202 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 217 ؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج1، 361.

[6] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 174 ؛ ابن دقماق، **الجوهر الثمين**، ج1، 101 ؛ الجعفري، **أنهج الطرايق والمناهج والسلوك**، ورقة ورقة 202 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 217 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 16.

[7] – هي أردكين بنت نوكية المغلية، تزوجت الأشرف خليل، فلم تزل عنده إلى أن قتل، فعملت له عزاء عظيماً، ثم تزوجها الناصر في في سنة (700هـ/1300م)، وولدت له ولداً ذكراً، مات وهو صغير سنة(710هـ/1310م)، ثم طلقها الناصر سنة (717هـ/1317م)، وأنزلت إلى القاهرة، ورتب لها ما يكفيها إلى أن ماتت عام (724هـ/1323م). وهي صاحبة التربة المعروفة بتربة الست، وخلفت لما ماتت ألفا من الرقيق ما بين جارية وخادم، وذخائر نفيسة، فاحتاط الناصر بذلك، وصالح أخاها الخضر على تقدير مائة ألف درهم، وكانت موصوفة بالخير والجود. للمزيد ينظر: ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج1، 347 – 348 ؛ كحالة، رضا، **أعلام النساء في عالمي العربي والإسلامي**، ج1، 25 ؛ التونجي، محمد، **معجم أعلام النساء**، 16، 17.

[8] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 159؛ ابن تغري بردي، **الدليل الشافي**، ج1، 468.

وكان زواجهما عام (682هـ/1283م) [1]، ولم تنجب أردكين للأشرف أولاداً ذكوراً بل أنجبت له بنتين، كما ورد في بعض المصادر التاريخية [2]، التي ذكرت أنَّ الأشرف: "..... **قد حضَّر لميلاد زوجته، فأنفق على الجيش وحضَّر للاحتفالات أَملاً أن يكون المولود ذكراً حتى ولدت فكانت بنتاً فكظم غَيْظَه**"[3]، لذا يتبين من هذا النص أنَّه لم يكن له ولدٌ ذكرٌ، خاصة أنّه لم يُذكر في عهد سلطنة أخيه الناصر محمد وجود أولادٍ ذكورٍ له.

صفاته:-

كان الأشرف حسنَ الوجه، أبيضَ اللون [4]، بديعَ الجمال، مستديرَ اللحية، ضخم الجسد، وقيل: " " سميناً " [5]، كبير الوجه، تام الشكل وواسع الصدر، خفيف الركاب [6]، وقيل على صورته رونق الحسن، وهيبة السلطنة، يَمْلأُ العينَ، ويُرجِف القلب [7].

---

[1] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 134 ؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 292 ؛ المقريزي، **المقفى الكبير**، ج3، 801، قيل: أن الملك الصالح تزوج عام (681هـ/1282م) للمزيد ينظر: اليونيني، موسى، **ذيل مرآة الزمان**، مج 1، 208 – 209 ؛ ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج1، 72 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 177.

[2] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 134 ؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 262.

[3] – بيبرس المنصوري، ركن الدين، **زبدة الفكرة**، 293 ؛ **التحفة الملوكية**، 134.

[4] – الذهبي، **تاريخ الإسلام، حوادث 690 – 700هـ**، 180 ؛ **دول الإسلام**، ج2، 219 ؛ ابن سباط، **صدق الأخبار**، ج1، ج1، 501 ؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج1، 376.

[5] – الذهبي، **تاريخ الإسلام، حوادث 690 – 700هـ**، 180 ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 17.

[6] – ابن أيبك الداودار، أبو بكر بن عبد الله، **كنز الدرر**، ج8، 693 ؛ ابن حبيب، **درة الأسلاك**، ج1، ورقة 181، ابن دقماق، **النفحة المسكية**، 91 .

[7] – ابن أيبك الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج13، 399؛ المقريزي، **المقفى الكبير**، ج3، 508 ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة** ج8، 17.

أما سماته الخُلقية: فكان كثير التأنق، حسن المظهر، يختار أجود الملابس والأطعمة[1]، الأمر الذي أدّى إلى اتصافه بالغرور والخُيلاء.

جمع الأشرف بين العديد من التناقضات أوّلها الحزم واللين، وكان سريع الغضب والرضا، كثير العزل والتعيين، ولمَّا تسلطن استحكم، " **فلم يختلف فيه اثنان، ولا تحركت شفة ولا لسان** " [2] ، " **وكان حادَّ النفس**"[3]، شجاعاً مقداماً جسوراً مخوفَ السَّطوة قويَّ البطش[4]، وعَرِفَ عنه لطفه في معاملة موظفيه، إلاّ أنَّه غيرُ متعقّل، فلا يفكر في عواقب الأمور، وعنده استخفافٌ بأكابر الأمراء [5]، وقد أكثر هذا من أعدائه فحاكوا المؤامرات ضده، وعُرِف بذكائه وفراسته، فكان حاضرَ الذِّهن، وهذا ما أكده كاتب الإنشاء المؤرخ ابن عبد الظاهر حين قال: " **ما رأيت، وما سمعت أسبقَ من ذهن الملك الأشرف، ولا أدرك منه** " [6]، لكنَّ حضورَ ذهنهِ وذكائِه لم يسعفه بالتحرز على نفسه من الأمراء، فكان متهوراً سريع الانفعال، الأمر الذي أدّى إلى وقوعه بين أيديهم.

---

[1] – بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**، 288 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 155، 212.

[2] – بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**، 288 ؛ ابن أيبك الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج13، 399.

[3] – العيني، **عقد الجمان**، ج3، 208.

[4] – الذهبي، **تاريخ الإسلام، حوادث 690 – 700 هـ**، 181 ؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج5، 272 **النجوم الزاهرة**، ج8، 17.

[5] – العيني، **عقد الجمان**، ج3، 208.

[6] – بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**، 88؛ ابن أيبك الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج13، 404.

اشتهر الأشرف بكرمه الزّائد، وأُعطياته العظيمة[1]، حيث أكثر من الاهتمام بمماليكه وجنده، فألبسهم وأقطعهم وأنفق عليهم[2]، حتَّى اتُّهمَ بالتّبذير[3]، وقيل: إنَّه كان يحبُّ العدل، ورفع المظالم عن الناس، فكان يجلس بدارِ العدل[4]، لمن له حاجة، أو مصلحة، ويجلس معه نائبُه ووزيرُه[5]، وارتبط اسم الأشرف بإسقاط المُكس[6]، الذي كان يؤخذ على باب الجابية[7]، بدمشق[8]، وأطلق مَنْ في السجون[9]، السجون[9]، من المُصادرين وأرباب الدواوين [10]؛ بسبب أموالٍ اختلسوها [1]، وهنا يُظهر عدم الدراية والتعقل.

---

[1] – ابن عبد الظاهر، **الألطاف الخفية**، ج3، 31 ؛ ابن الجزري، عبد الله، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 39 ؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام، حوادث 690 – 700**، 180 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 233 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 212 – 213؛ ابن تغري بردي، **الدليل الشافي**، ج1، 292.

[2] – بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**، 88 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 211 ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 26.

[3] – المقريزي، **السلوك**، ج2، 233 ؛ **المقفى الكبير**، ج3، 805 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 213 ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 26.

[4] – دار العدل: بناها الملك الظاهر، ركن الدين بيبرس، عام (661هـ/1262م)، وصار يجلس بها لعرض العساكر، كل اثنين وخميس واستجدها المنصور قلاوون. للمزيد ينظر: المقريزي، **الخطط**، ج3، 33.

[5] – ابن عبد الظاهر، **الألطاف الخفية**، ج3، 45 ؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1، 237.

[6] – المكس: مفرد مكوس، وهي ضريبة كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق. ينظر: ابن منظور، محمد، **لسان العرب**، ج8، 105 ؛ البقلي، محمد قنديل، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، 325.

[7] – باب الجابية: أحد أبواب دمشق، ومنسوب لقرية الجابية، وكانت في القديم مدينة عظمية، وكان لباب الجابية ثلاثة أبواب صغيرة وكبيرة. ينظر: ابن كنان، محمد، **المواكب الإسلامية**، ق1، 208 – 209.

[8] – العيني، **عقد الجمان**، ج3، 207 ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 27 ؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج1، 366. 366.

[9] – ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، 46.

[10] – أرباب الدواوين: مصطلح يشمل الوزارة، وهي أجل الوظائف، وكتابة السر، ونظر الدواوين، وهو ما يعرف عنه بناظر الدولة ونظر الخزانة، ونظر البيوت، ونظر بيت المال، والاصطبلات، وخزائن السلاح والأملاك السلطانية، والمواريث

وكـان ضـحوك السـن، يحـبُّ المُزاح، مطلقاً للنكـات، محبّاً لسماعها حتـى ولـو أغضـب الطـرف الآخـر، وأحـرج مـن كـان بحضـرته [2]، فيـه غـرور وخـيلاء، وثقـة عـالية بـالنفس نفّرَتْ الكثيـرين منـه، وجعلتهم يحقدون عليه، ويظهر ذلك من خلال مخاطبته للأمراء أو مكاتباته لهم فكان يَرفض أنْ يكتب لأحدهم في المكاتبات بالألقاب، أو أن يصف الأمراء بالزعامة أو ما شابه ذلك [3]، ويقول: " **مـن هـو زعـيم الجيـوش غـيري؟!** " [4] كما وتظـهر هذه النظرة من خلال مكاتباته للملوك، فحدث أنْ كاتب ملك اليمن المظفر شمس الدين بن رسول[5]، فقد أرسل ملك اليمن رسولاً بهدايا نفيسة عام (680هـ/1281م) للسلطان المنصور قلاوون [6]، فردّ عليه السلطان بكتاب أمان على السلم والنصرة في وجه الأعداء مقابل

والحاصلات، والمرتجعات "وموضوعها التحدث على ما يرتجع ممن يموت من الأمراء ونحو ذلك "، وغيرها. للمزيد ينظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، 28–34.

[1] – العيني، **عقد الجمان**، ج3، 207.

[2] –من ذلك قصة الأمير أرجواش، نائب قلعة دمشق، إذ كان حاد المزاج، يكره المزاح، وكان بحضرة الأشرف مع مجموعة من الأمراء فمازحه الأشرف فلم يحتمل فغضب عليه الأشرف بشدة. ينظر: النويري، **نهايـة الأرب** ج31، 210 ؛ البرزالي، **المقتفى**، ج1، 237 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 226 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 67 – 68.

[3] – ابن عبد الظاهر، **الألطاف الخفية**، ج3، 37 – 38.

[4] – الذهبي، **دول الإسلام**، ج2، 218 ؛ ابن أيبك الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج13، 403 ؛ ابن دقماق، **الجوهر الثمين**، ج1، 110 ؛ ابن أياس، **بدائع الزهور**، ج1، 376.

[5] – هو الملك المظفر شمس الدين يوسف، بن عمر بن علي بن رسول، ملك اليمن وكانت مدة ملكه ستاً وأربعين سنة، وتوفي في رمضان عام (694هـ/1294م). ينظر: الخزرجي، علي، **العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية**، ج1، 275 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 271.

[6] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 103 ؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 28 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 190.

الأتاوة [1]، التي يدفعها هذا الملك للدولة المملوكية سنوياً [2]، وقد تأخر في تجديد الهدنة بعد وفاة المنصور، كما جرت العادة، فتقدم له السلطان الأشرف خليل شاتماً مهدداً بتجهيز جيشٍ إذا لم يحضر إليه بالجواب والهدنة، وعند وصول الكتاب وسماع ما قاله الأشرف، قال المظفر: " **هذا كلام مَنْ غلب عليه الجهلُ والشّغاب** "[3].

وكان ذا ثقة عالية، مفرط الشجاعة والجسارة، لم يتحرز لنفسه لفرط شجاعته [4]، فكان عندما يذهب للصيد لا يتقلد سيفاً [5]، بل يكتفي ببند [6]، يتوسطه، فدفع حياته ثمناً لشجاعته.

واتُّهم الأشرف بعدم التقيد بالشريعة الإسلامية، كشرب الخمر، وترك الصّلاة والصّوم. ولم يذكر بصدد شرب الأشرف للخمر، غير نصين أولهما: على لسان المقريزي في كتابه " **المقفى الكبير**" حيث

---

[1] – الأتاوة: الجزية المأخوذة كرهاً، يأخذها الغالب من المغلوب. للمزيد ينظر: الخطيب، مصطفى، **معجم المصلحات والألقاب التاريخية**، 17.

[2] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 103.

[3] – العيني، **عقد الجمان**، ج3، 110.

[4] – الذهبي، **تاريخ الإسلام، حوادث 690 – 700هـ**، 181؛ ابن أيبك الصفدي، **الوافي بالوفيات** ج13، 399 ؛ المقريزي، المقريزي، **المقفى الكبير**، ج3، 805 ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 26.

[5] – الذهبي، **تاريخ الإسلام، حوادث 690 – 700هـ**، 181 ؛ ماير، ل. أ: **الملابس المملوكية**، 38.

[6] – البند حزام بسيط يشد به الخصر مصنوع من الحرير أو القطن البعلبكي. للمزيد ينظر: **النجوم الزاهرة**، ج8 17، ماير. ل. أ، **الملابس المملوكية**، 38.

قال: " **إنَّه رُمِيَ بشرب الخمر في رمضان، وإنَّه فُسِّق بالمردان** [1] **ولا يصلي** " [2]، والثاني لابن إياس، في كتابه "بدائع الزهور" وقال: "..... **مالَ لشُربِ الرَّاح** [3] **وحبِّ المِلاح** " [4]. إننا نجد من الكلمتين "**رُمي ومال** "رُمي " في النصين ليس تأكيداً كما يقول بعض المؤرخين [5].

ولو نظرنا بعمق لوجدنا أنَّ المقريزي وابن إياس من المؤرخين الذين يشهدوا على أنَه كان ملكاً كريماً، شجاعاً، مقداماً، سريع الحركة، مظفّراً في حروبه، ذا ذكاءٍ مُفرِطٍ، يجالس الأدباء [6]؛ فمن غير المعقول أنْ يحمل الأشرف مع هذه الصفات، صفةَ الانحلال الديني والانغماس بالشهوات، كما يقولون، وأكد محيي الدين بن عبد الظاهر أنه كان يصلي، ويستقبل الحجيج[7]؛ بالإضافة أن شريف مكة نجم الدين أبي نُميّ [8]، كان يخطب للأشرف[9]، فلو كان كما يقول هؤلاء من الفسق والمجون، لانصرف

---

[1] – المردان: من أمرد، وهو الغلام الذي لا شعر على وجهه، فهو يشبه النساء. للمزيد ينظر: ابن دريد، محمد، **جمهرة اللغة**، ج2 257 ؛ ابن منظور، **لسان العرب**، ج4، 408.

[2] – **المقفى الكبير**، ج3، 802.

[3] – الراح: الخمر. للمزيد ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مج4، 289؛ أنيس، إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، ج1، 30.

[4] – **بدائع الزهور**، ج1، 376.

[5] – المقريزي، **المقفى الكبير**، ج3، 802 ؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج1، 376.

[6] – **السلوك**، ج2، 247 ؛ **بدائع الزهور**، ج1، 376.

[7] – **الألطاف الخفية**، ج3، 49.

[8] – هو محمد بن الحسن، بن علي بن قتادة، بن إدريس، أمير مكة وثب على عم أبيه، إدريس بن قتادة في (670هـ/1271م)، فقتله وتولى بعده الإمارة على مكة، ومات فيها سنة (701هـ/1302م). للمزيد ينظر: ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج3، 422 – 423.

[9] – ابن عبد الظاهر، **الألطاف الخفية**، ج3، 20 ؛ الجزيري، عبد القادر، **الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة**، ج1، 610.

شريف مكة عن الدعوة لـه في الخطبة، بل إنّ أمراً كهذا سيعطيه مجالاً لنقد الأشرف ووضع محاربته نصب عينيه.

ويظهر من خلال ما أورده المؤرخون أنَّ هناك تناقضاً واضحاً، فكيف لشخص يتصف بهمةٍ عاليةٍ، وفهمٍ متيقظٍ، وفراسةٍ، وذكاءٍ، وشجاعةٍ، وقدرة على الوقوف في وجه معارضيه، في الداخل والخارج، أنْ يكون منصرفاً للملذات والرَّاح ؟ أليست كل هذه الأمور تتطلب ذهناً نيراً، وفكراً يقظاً، وليس مشتتاً؟

وهناك دلائلَ تثبت أنَّ الأشرف كان حازماً في النهي عن شرب الخمر، وأكل الحشيشة[1] كما فعل بأهل دمشق، عندما رسم بنهيهم عن شرب الخمر، أكثر من مرة،ومنهم أهل الذمة[2]، هذا إلى جانب جانب أنَّه صام شهر رمضان بدمشق، فعرف بصومه، كما ورد في المصادر [3] .

ومن الثابت تاريخياً أنَّ فترة حكم الأشرف كانت ثلاث سنوات، خرج في السنة الأولى من سلطنته إلى منازلة عكا، وافتتحها ثم افتتح الساحل كلَّه [4]، أما في السنة الثانية نازل قلعة الروم، وحاصرها وافتتحها [5]، وخرج لمنازلة بلاد الأرمن في السنة الثالثة، فجاءته مفاتيح قلاعهم وهو بدمشق [6] ويظهر

---

[1] – الحشيشة: نبات مخدر، وهي على أنواع كثيرة، مثل الأفيقون أو الخشخاش الأسود، الذي يستخرج منه الأفيون. للمزيد ينظر: ابن البيطار، عبد الله، **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، ج1، 61، 329 – 331 ؛ ابن فضل الله العمري، **دولة المماليك الأولى**، 129 ؛ أنيس، إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، 176 ؛ الخطيب، مصطفى، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، 144.

[2] – ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 343 ؛ البرزالي، **المقتفى**، ج1، 243 ؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام، حوادث 690 – 700**، 181؛ ابن الوردي، **تتمة المختصر في أخبار البشر**، ج2، 339 ؛ الدويهي، **تاريخ الأزمنة**، 272.

[3] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 131 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 119، 125.

[4] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 126 ؛ ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج1، 137.

[5] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 226 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 109.

[6] – ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 148 ؛ ابن حبيب، **درة الأسلاك**، ج1، ورقة 174.

من خلال ذلك أنَّ السلطان الأشرف كان مشغولاً بأمور الغزو والجهاد، مبعداً نفسه عن التقاعس أو الاستكانة. ويبدو أنَّ مَنْ يعد العدّة لمثل هذه الفتوح تُنفى عنه صفات الانشغال بالملذات، والفسوق والمجون ؛ هذا إذا أخذنا بعين الاعتبار أنَّ الإعداد للحروب، يأخذ وقتاً طويلاً، وتحضيراتٍ كثيرةً.

ولربما كانت هذه الأمور جميعُها مجردَ اتهامات، خاصةً أنَّ أعداء الأشرف كانوا كثراً، فوضعت هذه الاتهامات، لإظهاره بمظهر الخارج عن الدين، فذكر المقريزي مثلاً رواية تكلم فيها عن تطاول الأشرف على حضرة الرَّسول – عليه الصلاة والسلام– ومفاد القصة: "**أن الأشرف و نائبه بدر الدين بيدرا [1] كانا يأكلان، فقام الأخير ومص أصابعه عندما أنهى طعامه، فشعر الأشرف بالاشمئزاز فقال بيدرا: إن هذه لهي سنة النبي – عليه السلام – فرد الأشرف بكلمة (هيْ طاط) وتعني فلاحاً**،" أي أن هذا التصرف يخرج من فلاح [2]، فعدَّ كلامه تنقيصاً لحضرة النبي –عليه السلام–.

ومن خلال استعراضنا للمصادر التاريخية، لم نجد لهذه الرواية ذكراً إلاَّ عند المقريزي في كتابه المقفى الكبير، وفي اعتقادي أنها رواية ملفقة، خاصّةً أنَّها رويت على لسان بيدرا قاتل الأشرف.

كما أثبت المؤرخون، أنَّ الأشرف كان يتكلم اللغة العربية بطلاقة، وحاول كثيراً أن يثير حماسة الناس دينياً، خاصةً عند الفتوحات، وكان يزور قبر أبيه ويوزِّع الصّدقات على الفقراء والقُرّاء والمدرسين،

---

[1] – هو بدر الدين بيدرا المنصوري، أصله من المغل، الذين اسروا بعد وقعة عين جالوت، فكانت منهم أم بيدرا، وهو طفل تحمله على ظهرها في لباد، وحُملت معه إلى مصر، مع الأسرى، وفرقوا على الأمراء وكان بيدرا من نصيب المنصور. للمزيد ينظر: المقريزي، **المقفى الكبير**، ج2، 562 – 563 ؛ ابن تغري بردي، **الدليل الشافي**، ج1، 208.

[2] – **المقفى الكبير**، ج3، 802.

ويدعو إلى قراءة القرآن، والصحيحين: البخاري، ومسلم [1]، والتقرب إلى الله بالدعاء للمسلمين بالنصر. فإذا كان الأشرف كذلك، إذا لماذا يضع نفسه في هذا السياق المتناقض؟.

نشأته وثقافته:-

لم تخبرنا المصادر التاريخية بشكل دقيق إلى حياة الأشرف وطفولته، بقدر ما اهتمت بالأحداث السياسية في تلك الفترة، فوردت إشارات قليلة عن بداية حياته، خاصّةً في الفترة التي أصبح فيها والده سلطاناً للدولة المملوكية، فذكر أن الأشرف كان في شبابه يساعد والده مع أخيه الأكبر الملك الصالح في إدارة السلطنة. ومنها بعث السّلطانُ المنصورُ للأشرف كي يطمئنَّ عن أحوال جيش الأمير عز الدين الأفرم[2]، الذي غزا بلاد النوبة [3]، بأمر من السلطان[4].

---

[1] – ابن عبد الظاهر، **الألطاف الخفية**، ج3، 62 ؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1، 273 ؛ابن أيبك الدودار، **كنز الدرر**، ج8، 307.

[2]– هو عز الدين الأفرم الصالحي، النجمي يقال إنّه حر الأصل، من أهل برقة، وأن اسم أبيه مصطفى، ثم صار من جملة مماليك نجم الدين أيوب، وكان نائب السلطنة عام (678هـ/1279م) حتى عزله حسام الدين طرنطاي. للمزيد ينظر: المقريزي، **المقفى الكبير**، ج2، 328 331.

[3] – بلاد النوبة: أرض في جنوب مصر،بما يعرف اليوم بالسودان وأهلها كانوا من النصارى. للمزيد ينظر: اليعقوبي، أحمد، **البلدان**، 236؛ ابن خرداذبة، عبيد الله، **المسالك والممالك**، 83 ؛ ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج5، 309.

[4] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 155 ؛ ابن دقماق، **النفحة المسكية**، 83.

وقد عمل السلطان المنصور على تحضير ولديه للسلطنة، من خلال تنشئتهما تنشئة سياسية وعسكرية، فكان عند خروجه للحرب، يستخلف ولديه في قلعة الجبل[1]، ويترك السلطنة تحت تصرفهما[2]، وكان يراسلهما من الشام بالبشائر عند الفتح[3]، وكانا يشاركان والدهما في المعاهدات السياسية وتوقيعها ويقسمان مثل أبيهما عند حلف اليمين[4].

وكان الأشرف مولعاً بالصّيد[5]، فكان يضرب بالبندق[6]، والنشاب[7]، وكانت رحلاته للصيد كثيرة كثيرة قبل توليه السلطنة وبعدها، فعند خروجه للشام كان يستفرد ببعض الخاصكية[8]؛ من أجل الصيد

---

[1] – قلعة الجبل: وهي مقر السلطان، ودار مملكته، بناها الطواشي بهاء الدين قراقوش، أيام الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، وموقعها بين ظاهر القاهرة، وجبل المقطم، وما يليه من القرافة المتصلة بعمارة القاهرة. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، 368؛ المقريزي، **الخطط**، ج3، 26؛ كازانوفا، بول، **تاريخ وسط قلعة القاهرة**، 70.

[2] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 122 ؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخ العبر**، مج 10، 868.

[3] – ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج1، 96.

[4] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 98، 163 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 198.

[5] – ابن عبد الظاهر، **الألطاف الخفية**، ج3، 23 ؛ **تشريف الأيام والعصور**، 52 ؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج1، 357.

[6] – البندق: لفظ فارسي، يعني كتل من الطين كالبندق، ثم تجفف بالشمس وتشوى على النار، وتوضع في وسط وتر القوس، ثم تشد مع الوتر وترمى إلى مكان بعيد بدل النبل وقد تكون هذه الكرات من المعدن. للمزيد ينظر: دهمان، أحمد، **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**، 38 ؛ الخطيب، مصطفى، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، 86.

[7] – النشاب: السهم الذي يعلق بالصيد، لأنه مسنن سهل الدخول صعب الخروج، وكان هارون الرشيد أول من لعب من الخلفاء بالنشاب، وذلك يطير طيراً في الهواء أو يرمي غرضاً أو يرفع على رأس رمح أو نحوه ثم يطلب إصابته بالنشاب، وهي لعبة فارسية. للمزيد ينظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج3، 143 ؛ الخطيب، مصطفى، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، 151.

[8] – الخاصكية: لفظ فارسي بمعنى نديم الملك أو السلطان، والخاصكية فئة من المماليك السلطانية، وكان السلطان يختارهم بنفسه من الأجلاب، ويقيمون مع السلطان ويحضرون خلواته. للمزيد ينظر: ابن كنان، **حدائق الياسمين**، 108؛ الخطيب، مصطفى، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، 157.

فيصيد الطير، والكُركِيَّ، والغزال[1]، وكان يمارس لعبة الأكره، أو الكره[2]، وكثيراً ما كان يستمتع بها هو وجنده[3].

وعُرِف عن الأشرف اهتمامه بالجيش، فقد أنفق عليه ثلاث مرات خلال فترة حكمه القصيرة (689 – 693هـ/1290 – 1293م):

الأولى: في أول جلوسه على كرسي السلطنة، والثانية: عند توجهه إلى عكا والثالثة: عند توجهه إلى قلعة الروم [4]، وكان يهتم بشكل كبير بعدتهم وعتادهم وملابسهم[5]، ويشاركهم المناسبات، فكثيرٌ ما ما كان ينزل الميدان ويدعوهم لنصب القبق [6]، ويشاهدهم وهم يتبارون، أو يشاركهم اللعب، ويجزل

---

[1]– ابن عبد الظاهر، **الألطاف الخفية**، ج3، 26 – 28؛ بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 133؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 157.

[2] – الأكره أو الكره: الغرض منها إظهار الفروسية، والتمكن من فعل الحركات، على ظهور الخيل، ويكون لون الكرة أصفر فاقع، وتلعب بقذفها بواسطة الجواكن، أي عصي اللعب، وهم فوق الخيول وفيها يفترق اللاعبون إلى فريقين: فرقة مع السلطان، وأخرى مع أمير الأمراء ثم يُرمى بالكرة بين يدي السلطان، فيكون أول ضارب لها، ويتتابع الأمراء بعد ذلك. للمزيد ينظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، 458 ؛ ابن كنان، **حدائق الياسمين**، 85.

[3] – البرزالي، **المقتفي**، ج1، 237؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 181.

[4] – ابن ايبك الداوادار، **كنز الدرر**، ج8، 352 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 207.

[5] – بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**، 293 ؛ **التحفة الملوكية**، 134.

[6] – القبق: ووصفه أن ينصب عاموداَ خشبياً طويلاً، ويعمل على رأسه دائرة، من ذهب أو فضة، ويجعل في الدائرة طير حمام، ثم يأتي الرامي بالنشاب، وهو سائق فرسه ويرمي عليه، فمن أصاب الدائرة يأخذها. للمزيد ينظر: ابن الجزري **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 154؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 165 ؛ البقلي، محمد قنديل، **التعريف بمصطلحات صبح الأعشى**، 268.

العطايا على الفائزين [1]، ويكون قد لبس ملابس عسكرية، يقال لها قرقل[2]، في عمل أشبه ما يكون سباقاً لاختبار القدرات.

وعُرفَ عن الأشرف حُبُّه لمشاهدة الشّواني [3]، فكان ينزل بنفسه إلى دار الصناعة[4]، ويأمر مماليكه بصنعها حسب مواصفاته، ثم يجهزونها وتحمل فيها العدد من السلاح، والمماليك المقاتلة[5]، ويقف السلطان على ساحل النيل، ويصطف الناس لمشاهدتها، وتدار الشواني، وقد صُنع فيها الأبراج، والقلاع، والنفط، والمكاحل، ويُظهر كلُّ مركبٍ أسلوباً حربياً يفتخر به، وينافس به المراكب الأخرى[6]، في في موقف أشبهَ ما يكون بمناوراتٍ عسكرية تقوم بها هذه المراكب أمام الأشرف.

---

[1] – ابن أيبك الداوادار، **كنز الدرر**، ج8، 134 ؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 253 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 243؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 16.

[2] – القرقل: نوع من الدروع تتخذ من صفائح الحديد، وتغطى بالديباج الأحمر والأصفر. ينظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج2، 143، ج4، 11 ؛ البقلي، محمد قنديل، **التعريف بمصطلحات صبح الأعشى**، 273.

[3] – الشواني: الشيني أو الشونة، وجمعها شواني وشون، وهي سفن حربية كبيرة، تشن الهجوم مجهزة بمدافع. ينظر: دهمان، أحمد، **معجم الألفاظ التاريخية**، 100 ؛ البقلي، محمد قنديل، **التعريف بمصطلحات صبح الأعشى**، 211.

[4] – دار الصناعة: اسم أطلقه العرب في العصور الإسلامية على مركز بناء وصناعة السفن وعرف أيضاً بإسم دار الترسانة. الخطيب، مصطفى، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية،172.

[5] – ابن عبد الظاهر، **الألطاف الخفية**، ج3، 56 – 57 ؛ المقريزي، **الخطط**، ج3، 13 ؛ العيني، **عقد الجمان** ج3، 186 186 ؛ سليم محمد رزق، **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي**، مج8، 47.

[6] – العيني، **عقد الجمان**، ج3، 186 ؛ ماهر، سعاد، **البحرية في مصر الإسلامية**، 117.

* عرف عن المنصور قلاوون قلة معرفته باللغة العربية. ينظر: الذهبي، **تاريخ الإسلام، حوادث 681 – 690هـ**، 383 ؛ المقريزي **السلوك**، ج2، 218.

أما حياته الأدبية كانت زاخرة، فمعرفته باللغة العربية كانت كبيرةً، حتى فاقت معرفة والده بها*[1]، وكان يجالس الأدباء والفقهاء والعلماء والقراء والشعراء[2]، خاصةً بعد الفتوحات والانتصارات، فكثير من الشعراء مدحوه إعجاباً أو طلباً للعطايا،وكانوا يتقصدون إدخال اسمه ومدحه بشكل خاص في نهاية قصائدهم حتى تبقى في مسمعه؛ لأنَّه يعرف اللغة العربية[3]، وكان الأشرف يفهم ما يقصدون في شعرهم، ومن طريف هذا الأمر أنه نزل إلى المدرسة المنصورية، مدرسة والده، وفيها تربته فوجد هناك القضاة، وسائر أرباب الوظائف من الفقهاء والعلماء، والقرّاء، والمؤذنين، وكان ذلك بعد تحرير عكا، فتلقوه بالدعاء والمديح وقام أحد الوعاظ يقال له ابن العنبري[4]، كان قد رتب قصيدة يذكر فيها أمر الغزاة والجهاد فقال في مطلعها:

[البحر الكامل]

زُرْ والديكَ وقِفْ على قَبْريهمِا فَكأنني بِكَ قدْ نُقِلت إليْهِمَا[5]

فتطير الأشرف من هذا الشعر، وقام من المجلس، وهذا بحد ذاته يدل على معرفته بالشعر واللغة. وكان يتدخل في كتّاب الإنشاء، ومنهم كاتب الإنشاء الخاص به ابن عبد الظاهر [1]، فكان يملي

---

[1] – ابن دقماق، **الجوهر الثمين**، ج1، 101 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 217 ؛ القرماني، **أخبار الدول**، مج 2، 274.

[2] – ابن النحاس، أحمد، **مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام**، 949 ؛ المقريزي، **المقفى الكبير**، ج3 801 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 69.

[3] – عبد الرحيم، رائد: **صدى فتح عكا سنة 690هـ في الشعر العربي**، مجلة إربد للبحوث والدراسات، مج 6، العدد1، نيسان 2003، 69.

[4] – هو الواعظ محمد بن محمد، بن عبد الله، بن مهلهل، بن غياث، بن نصر (نجم الدين) وأخذ عن عبد السلام بن غانم وكان صوته عالياً مطرباً توفي عام (710هـ/1310م). للمزيد ينظر: ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج4، 194.

[5] – العيني، **عقد الجمان**، ج3، 69.

عليه بما يجده صواباً، وكان الأخير يجد استحساناً في ذلك[2]، وكان يضع الحواشي في المكاتبات ويضع حرف (خ) ؛ إشارة لاسمه، وقد ألغى المكاتبات التي كانت تبدأ بالدعاء للأمراء والنواب أو بذكر الألقاب[3].

وباستعراضنا لملامح شخصيته وهواياتِه، اتَّضح لنا أنَّ أكثر ما كان يهتم به الأشرف الأمور العسكرية: من الصيد، ولعبة القبق، والأكره، ورمي النشاب، وكان يمارسها مع جنده ومماليكه، أو يكتفي بالنظر إليهم، وهم يتنافسون فيما بينهم، ومجمل هذه الأمور تزيد من فروسيته وتزيد من قدرته العسكرية، ولا تلهيه عن واجباته ومسؤولياته، بل تجعله يبقى على أَهْبة الاستعداد.

ولاية عهد الأشرف:-

---

[1] – هو فتح الدين أبو عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان اختاره الملك المنصور كاتباً للسر، وقد حظي عنده، وعند ولده الأشرف، وتوفي عام (691هـ/1292م)، أما والده محيي الدين بن عبد الظاهر، المؤرخ المشهور وكاتب الإنشاء، للظاهر بيبرس والمنصور قلاوون، وحظي أيضاً عند الأشرف بمكانة كبيرة، وكان يساعد ولده فتح الدين في كتابة الإنشاء، وهو صاحب المصنفات: الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، والألطاف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الملكية الأشرفية توفي بعد وفاة ولده تقريباً بعام عام (692هـ/1292م). للمزيد ينظر: الذهبي، **العبر**، ج3، 377، 378 ؛ ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، ج14، 48 ؛ ابن حبيب، **درة الأسلاك**، ج1، ورقة 170.

[2] – ابن أيبك الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج13، 403 ؛ المقريزي، **المقفى الكبير**، ج3، 801 ؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج1، 376.

[3] – ابن عبد الظاهر، **الألطاف الخفية**، ج3، 37 – 38 ؛ ابن أيبك الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج13، 403 ؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، 366.

ما إنْ اعتلى السلطان المنصور قلاوون عرش السلطنة المملوكية عام (678هـ/1279م)[1]، حتّى أحس بالخطر على نفسه وملكه من كل اتّجاه، فقد خرج عليه نائبه في الشام شمس الدين سنقر الأشقر، الذي تلقب بالملك الكامل[2]، ودخل في حرب ضده، وكان النصر حليف السلطان المنصور قلاوون عليه في نهايتها[3].

ولم تكن الأمور قد استقرت بشكل كامل بعد خلع السلطان السعيد بركة خان، وتشوش الأوضاع الداخلية من جهة بعض الأمراء، الذين وجدوا في أنفسهم الأفضلية في تولّي السلطنة، هذا إلى جانب أن المنصور قد أحس بالخطر؛ بسبب خروجه المتكرر نحو الشام ؛ من أجل محاربة مغول فارس وفرنجة الشام، ونتيجةً لهذه الأسباب المذكورة ؛ كانت الحاجةُ مُلحّةً لتعيين شخص يثق فيه ليستخلفه في القلعة، ويدير شؤون السلطنة، ويضبط أحوالها دون أن يتفاجأ بتمرُّد يكون سببه هؤلاء الأمراء الذين ينتظرون فرصة ينتهزونها. ولمّا اشتدَّ تهديد مغول فارس، لبلاد الشام عَهِدَ السلطان المنصور قلاوون، لأكبر أولاده

---

[1] – ابن المغيزل، **ذيل مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، 94 ؛ ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 54 ؛ الصفدي، **نزهة المالك والمملوك**، 159؛ ابن الوردي، **تتمة المختصر في أخبار البشر**، ج2، 335 ؛ ابن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، ج3، 203.

[2] – هو سنقر الأشقر الصالحي، النجمي، نائب دمشق، ولما تسلطن المنصور قلاوون، خرج المذكور عن طاعته وتسلطن بدمشق ولقب بالملك الكامل، ثم خضع للمنصور، بعد ذلك وقبض عليه الأشرف في سلطنته وقتله عام(692هـ /1292م). للمزيد ينظر: ابن المغيزل، **ذيل مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، 98 ؛ الصفدي، **نزهة المالك والمملوك**، 59 ؛ ابن تغري بردي، **الدليل الشافي**، ج1، 327 ؛ ابن طولون الصالحي، **أعلام الورى لمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى**، 34 ؛ علي، محمد كرد، **خطط الشام**، ج2، 123.

[3] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 94 – 95 ؛ العسقلاني المصري، **الفضل المأثور**، 85.

الصالح علي بالسلطنة من بعده، وذلك عام (679هـ/1280م)[1]؛ حتّى يتفرغ لصد غاراتِهم [2]، فدعا أكابر القوم، وخاطبهم في أمر تفويض ولاية العهد لابنه الصالح علي، فلقي أمره قبولاً منهم، وعيَّنه ولياً للعهد، وتلقب بالملك الصالح [3]، وكان اسمه يذكر مع اسم والده ، على المنابر[4] وبقي الملك الصالح ولياً للعهد حتى شعبان عام (687هـ/1288م)، إذ توفي حينها على أثر إصابته بحمى كبدية [5]، وقيل أن الأشرف قد سمه كما نوهنا سالفاً [6].

---

[1] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 77 ؛ أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج4، 22 ؛ الجعفري، **أنهج الطرايق والمناهج والسلوك**، ورقة 202.

[2] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 77 ؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج1، 357– 358 ؛ سرور، محمد جمال، **دولة بني قلاوون في مصر**، 25.

[3] – أراد المنصور قلاوون ترسيخ مبدأ توريث السلطنة، لأبنائه من بعده، بأن يسلطن ولده في حياته حتى يصرف الأمراء النظر عن الملك، وسدة الحكم من حيث عدم وجود فراغ سياسي في حالة وفاته، ويبدو من ذلك أنه اقتدى بالظاهر بيبرس في مسألة التوريث. ينظر: عاشور، سعيد، **مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك**، 208 ؛ طقوش، محمد سهيل، **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام**، 174.

[4] – العسقلاني المصري، **الفضل المأثور**، 162 – 163 ؛ ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج1، 11.

[5] – العسقلاني المصري، **الفضل المأثور**، 164 ؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 158 ؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1، 143 ؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، 28 ؛ الفيومي، **نثر الجمان في تاريخ الأعيان**، ورقة، 416.

[6] – المقريزي، **السلوك**، ج2، 207.

ثم فَوّض السلطان المنصور قلاوون ولاية العهد لابنه الثاني خليل، وذلك في شعبان من عام (687هـ/1288م)[1] وجاء في نص العهد ".... **هذا عَهْدُنا للسيد الأجل الملك الأشرف صلاح الدين والدنيا فخر الملوك والسّلاطين خليل أمير المؤمنين، أعزنا الله ببقائه....**"[2].

وأُركب الأشرف بشعار السلطنة [3]، وشق المدينة فدخل من باب النصر [4]، وعاد من باب زويلة زويلة [5]، وجميع العساكر والأمراء بين يديه [6]، وخُطِبَ له على المنابر، بعد اسم أبيه وكان يجلس إلى إلى جانبه[7]، واشتغل معه في إدارة السلطنة.

وذكرت المصادر التاريخية أنَّ الملك المنصور قد أعاد النظر في ولاية الأشرف فامتنع عن ختم تقليد بيعته بولاية العهد، فحين تولّى الأشرف السّلطنة، طَلَب كتابَ تقليدِه، من كاتب الإنشاء فتح الدين بن

---

[1] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 249 ؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 60 ؛ ابن شاكر الكتبي، **عيون التواريخ**، ج21، 417 ؛ الفيومي، **نثر الجمان في تاريخ الأعيان**، ورقة 416 ؛ ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج1، 115؛ ابن دقماق، **النفحة المسكية**، 81 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 207 ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 3.

[2] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 251 ؛ النواجي، **الطراز الموشي في صناعة الإنشا**، ورقة 150 – 155 ؛ حمادة، **الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكي**، 193 – 201.

[3] – شعار السلطنة: ويقصد به أنواع الملابس، والأدوات، والترتيبات، التي كان يظهر بها السلطان في المواكب، ينظر: **صبح الأعشى**، ج4، 7 – 8.

[4] – باب النصر: أول من بناه جوهر الصقلي، وقد غير موضعه أمير الجيوش بدر الجمالي، عند قدومه من عكا وتقلد وزارته. ينظر: المقريزي، **الخطط**، ج2، 79.

[5] – باب زويلة: أحد أبواب القاهرة، بناه بدر الجمالي، وزير الخليفة المستنصر بالله، وقيل سمي بهذا الاسم نسبة لقبيلة زويلة التي اختطت حارة زويلة عند بناء القاهرة، ينظر: المقريزي، **الخطط**، ج2، 77 – 78.

[6] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 160؛ الكتبي، **عيون التواريخ**، ج21، 417 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2 207 .

[7] – المقريزي، **السلوك**، ج2، 218.

عبد الظاهر وقال له: " **أين تقليدي ؟** فأحضره إليه خالياً من ختم السلطان وعلامته، واعتذر عن ذلك بأَنَّ السلطان قلاوون قد شغلَهُ أمر الحركة، والفكرة ضد العدو فقال له الأشرف: " **يا فَتْحَ الدين، امتنع السلطان أن يعطني فأعطاني الله** " [1].

وهنا لا بد من طرح سؤال هو: هل حَرَمَ السلطان المنصورُ قلاوون ابنَه الأشرف أم لا؟ إذا كانت الإجابة نعم، فالسؤال الثاني: لماذا ؟.

ترددت الرواية التاريخية التي تتحدث عن أن المنصور قلاوون، لم يختم على كتاب تقليد الأشرف بولاية العهد، على ألسنة المؤرخين نقلاً عن كاتب الإنشاء، فتح الدين بن عبد الظاهر، غير أَنّنا لم نجد أيَّ إشارة من قبل هذا الشخص بوجود هذا الأمر، ولم يتعرض محيي الدين بن عبد الظاهر والد فتح الدين بن عبد الظاهر وكاتب السيرة الأشرفية لمثل هذا الأمر في كُتبه المعروفة، التي هي في متناولنا، ومن المعروف أن فتح الدين بن عبد الظاهر توفي عام (691هـ/1292م) ولحقه والده محي الدين بن عبد الظاهر عام (692هـ/1293م) أي في حياة الأشرف، ومن غير المعقول أن يتكلم كاتب السر عن أمر كهذا لأحد ما خلال حياة السلطان، فلو عاشا بعد وفاة الأشرف خليل فيكون الأمر جائزاً أن تنطلق رواية كهذه منهما بعد وفاة السلطان الأشرف.

ويبدو أنّ هذه الرِّوايةَ مبالغٌ فيها، فعلاقة السلطان المنصور قلاوون، بولده الأشرف كانت قبل وفاته تنم عن وفاق، لا يعكر صفوه شيء، فلم ترد إشارة واحدة في المصادر المعروفة، يظهر من خلالها أنَّ السلطان غير راضٍ عن ولده، أو تدلُّ على وجود خلافٍ بينهم. وتبين لنا أنَّ الخلاف قد جمع بين

---

[1] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 177 – 178 ؛ ابن الفرات، ناصر، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 98 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2 218 ؛ **المقفى الكبير**، ج3، 794، 795.

الأشرف، ونائب السلطنة، في عهد والده حسام الدين طرنطاي [1]، إذ نشأ الخلاف عندما شكا طرنطاي للسلطان المنصور، أمر شمس الدين بن السلعوس [2] الذي كان متولياً الحِسبة [3] بدمشق، ثم أصبح ناظر ديوان الأشرف [4] وربطته به علاقة تجاريةٌ حيث أصبح يتجر له في بضائع للبلاد الشّاميّة، حتى صار مقرَّباً من الأشرف لا يفارقه أبداً[5]، وقيل:إنَّه استأصل من بعض المُقْطِعين[6]، فَشَكَوْا أمرَهم لنائب السلطان آنذاك طرنطاي، الذي بدوره أخبر المنصور، فاعتقلَ ابن السّلعوس ثمَّ جُرِّد من وظيفته، وعوقب، ولزِم دارَه [7].

---

[1] – هو نائب المملكة حسام الدين المنصوري، السيفي، عرف بحزمه، ودهائه، اشتراه السلطان المنصور، أيام أمرته من أولاد ابن الموصلي. للمزيد ينظر: البرزالي، **المقتفي**، ج1، 213؛ الذهبي، **العبر في خبر من عبر**، ج3، 268 ؛ ابن ايبك الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج16، 425.

[2] – هو شمس الدين محمد، بن عثمان التنوخي الدمشقي، كان تاجراً، له خط جيد، فحظي عند الأشرف، وهو أمير فجعله ناظر الديوان عنده ثم ولي حسبة دمشق. للمزيد ينظر: الذهبي، العبر في خبر من عبر، ج3، 381 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 208 ؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج1، 327.

[3] – الحسبة: نظام من النظم الإدارية الإسلامية، يطلق على وظيفة المحافظة على النظام العام والمراقبة، بما يجري بين الناس من معاملات، والفصل الفوري بين المنازعات، مما لا يدخل في اختصاص القاضي. للمزيد ينظر: الماوردي، =علي، **الأحكام السلطانية**، 363؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، 193 ؛ المقريزي، أحمد، **شذور العقود بذكر النقود**، 175 ؛ دهمان أحمد، **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**، 61.

[4] – ناظر الديوان: وهو أمير ديوان المماليك السلطانية، والجاري على ألسنة الناس " كاتب المماليك "، وهذه الوظيفة من أعظم الوظائف. ينظر: ابن كنان، **حدائق الياسمين**، 123.

[5] – بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**، 275 ؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 188 ؛ الذهبي، **العبر في خبر من عبر**، ج3، 381 المقريزي، **السلوك**، ج2، 219.

[6] – المقطعين من الإقطاع: الأراضي التي يستغلها الأمير (المقطع)، ويتصرف بها كيف شاء، وتختلف (مساحتها)، باختلاف حال أربابها حسب درجة الأمير. ينظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، 50.

[7] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 189 ؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 100.

هذا الأمر أغضب الأشرف الذي لم يستطيع أن يفعل شيئاً، أمام استحواذ طرنطاي على السلطان المنصور قلاوون [1]، ومن المؤكد أنَّ طرنطاي كان يكره الأشرف، ويهين نوابه ومماليكه ويتقصدهم، ويرجح أخاه الملك الصالح عليه حتى بعد موته، ولم يلن جانباً من الأشرف بل استمر في عناده [2]، ويبدو أنَّه حاول أنْ يوقع بين الأب والابن في هذا الأمر ويوسع الخلاف بينهما، خوفاً على مصالحه الخاصة من سَطْوةِ الأشرف فخاف على نفوذه وسلطته، وكان يُعرف طرنطاي بغروره واستحكامه.

وإذا افترضنا أنَّ كتاب التقليد لم يوقع كما تحدثت هذه المصادر، فكيف يُخرج الأشرف، ويحتفل به ولياً للعهد أمام الناس وبين يدي الأمراء والقضاة والعساكر [3] ، دون أَنْ يكون كتاب التقليد موقعاً من السّلطان ؟ خاصة أنَّ تحضيرات الاحتفال تستغرق الوقت الطويل في حين أن عملية التوقيع لن تستغرق الشيء الكثير، وكيف يبعث إلى سائر البلاد من مصر والشام ؛ لإعلامهم بولاية الأشرف دون ورقة رسمية من السلطان ؟ وكيف يتسلطن الأشرف دون كتاب تقليد مختوم ؟ خاصّةً أنَّ كثيراً من الأمراء كان يتحين الفرصة للتمرد والجلوس على كرسي السلطنة، فيكون كتاب التقليد غير المختوم سبباً في خلعه أو قتله، ولماذا لم يتحدث أحد خلال سلطنة الأشرف، أنَّ السلطان المنصور قلاوون لم يكن يريده من بعده، وأنه غير شرعي وفي هذه الحال يحق لهم خلعه ؟.

---

[1] – بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**، 274 ؛ ابن أيبك الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج6، 425.

[2] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 180 – 181 ؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 99.

[3] – ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 70 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 217.

ممّا تقدم يتبينُ لنا أن السلطان المنصور قلاوون، كان يُحضِّر الأشرف للسّلطنة من بعده، وهذا ما تمّ في القلعة أثناء غيابه وخروجه للشام، وراسله من هناك، وبادله الابن بدوره فيما يتعلق بالسلطنة، وحين فتح المنصور حصن المِرقب بعث برسالة لولده الأشرف يبشره فيها بالفتح [1].

كما بعث الأشرف للمنصور أثناء حصاره لطرابلس، كتاباً يخبره عن سلامش وخضر ابني السلطان الظاهر بيبرس، بأنهما راسلا الظاهرية * [2]، هذا إلى جانب أنَّ المنصور أشرك الأشرف في توقيع المعاهدات السياسية فكان يؤدي القسم مع والده، كما حدث وأقسم أثناء عقد والده معاهدة مع الملك جيمس الثاني (Jems II) ملك [3] مملكة أرغون [4]، ومن المؤكد أنَّ المنصور أراد من هذا العمل، أن يجعل الأشرف ملمّاً بكلِّ الأمور، التي تتعلق بالسلطنة التي ستحال إليه يوماً ما[5].

وكان المنصور في رحلته الأخيرة للشام، قد استخلف الأشرف في القلعة [6]، فخيَّم المنصور بالقرب من مسجد التبر [1]، في ظاهر القاهرة ؛ نتيجة لوعكة صحية أصابته، وكان الأشرف يهبط بشكل

---

[1] – ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج1، 96.

* نسبة إلى الظاهر بيبرس.

[2] – المقريزي، **السلوك**، ج2، 212.

[3] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 163.

[4] – مملكة أرغون: شرق الأندلس وهي مملكة كبيرة واسعة تشتمل على برشلونة وأرغون وشاطبة وسرقسطة وبلنسية وجزيرة دانية وميورقة. القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، 270.

[5] – الحجي، حياة ناصر: **العلاقات بين سلطنة المماليك والممالك الإسبانية**، 20.

[6] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 122 ؛ **زبدة الفكرة**، 270 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 211.

بشكل يومي من القلعة، يزوره ثُمَّ يرجع ليبيت فيها [2]، وإذا كان المنصور لا يريد ولاية العهد للأشرف، فلماذا لم يفصح عن ذلك، خاصةً أنَّ الفترة الزمنية بين تولية الأشرف ولاية العهد، ووفاة المنصور تقرب من العامين. فلماذا لم يطفُ على سطح الأحداث مثل هذا الأمر. وإذا كان المنصور حاول أن يحرم الأشرف من السلطنة ؛ فلماذا لم يبدُ الأشرف حانِقاً على والده بعد موته ؟ بل أوردت المصادر أنَّ الأشرف، كان دائم الزيارة لقبر أبيه، وكثير التصدق على مُدرّسي مدرسته وقُرّاء تربته، وكثيراً ما كان يدعو لعمل ختم قرأنية حوله[3].

وفي النهاية إذا سلمنا جدلاً أن السلطان المنصور لا يريد ولاية العهد لابنه الأشرف، فلماذا لم يعيِّن ابنه الناصر محمّداً في هذا المنصب بغض النظر عن صغر سنه، وعدم قدرته على تصريف شؤون السلطنة ؟

وفاة الملك المنصور وسلطنة الأشرف:-

---

[1] – مسجد التبر: ذكر في بعض المصادر بمسجد التبن وهذا خطأ وموضعه خارج القاهرة قريب من المطرية، المقريزي، **الخطط**، ج3، 399.

[2] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 122 ؛ ابن المغيزل، **ذيل مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، 125 البرزالي، **المقتفي**، ج1، 208 ؛ الفيومي، **نثر الجمان في تاريخ الأعيان**، ورقة 441 ؛ ابن دقماق، **الجوهر الثمين**، ج1، 99 ؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج1، 360.

[3] – ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1،58؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14،37؛ المقريزي، **السلوك**،ج2، 233.

جلس السلطان سيف الدين قلاوون على عرش السلطنة المملوكية في رجب /تشرين الثاني عام (678هـ/1279م)، بعد خَلْعِ الملك العادل سلامش بن الظاهر بيبرس وكان أتابكا له[1] وتمّ له الأمر، ثم قضى على حركة سنقر الأشقر، الذي حاول الاستقلال بالسلطنة في الشام [2]، وهزمَ مغول فارس، وحرر بلاداً وحصوناً عدّة على السواحل الشامية من الفرنجة[3]، مثل حصن المرقب[4]، عام(684هـ/1285م)[5]، وطرابلس عام (688هـ/1289م)[6].

وعندما عزم المنصور على الخروج لمجابهة الفرنجة في عكا، بسبب نقضهم الهدنة خيَّم في ظاهر القاهرة بقرب مسجد التبر[7]، في أواخر شوال/ تشرين الأول عام (689هـ/1290م) وبقي حتى

---

[1] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 54 ؛ الصفدي، **نزهة المالك والمملوك**، 159؛ بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 91 ؛ أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج4، 345 ؛ ابن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، ج3، 203 ؛ ابن أيبك الصفدي **الوافي بالوفيات**، ج24، 266 267؛ القلقشندي، **مآثر الإنافة**، ج2، 124.

[2] – ابن المغيزل، **ذيل مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، 98 ؛ الصفدي، **نزهة المالك والمملوك**، 59 ؛ ابن تغري بردي، **الدليل الشافي**، ج1، 327 ؛ ابن سباط، **صدق الأخبار**، ج1، 472 ؛ ابن طولون الصالحي، **أعلام الورى**، 34 – 35 ح علي، محمد كرد، **خطط الشام**، ج2، 123 – 124.

[3] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 77 ؛ العسقلاني المصري، **الفضل المأثور**، 141 – 142 ؛ ابن شاكر الكتبي، **وفات الوفيات**، مج3، 203 – 204 ؛ ابن سباط، **صدق الأخبار**، ج1، 447 – 449.

[4] – المرقب: بلدة وقلعة حصينة، تشرف على ساحل الشام، الحموي، ياقوت: **معجم البلدان**، مج 5، 108.

[5] – العسقلاني المصري، **الفضل المأثور**، 14 ؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام حوادث** 681 – 690، 14 ؛ ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج1، 46 ؛ المقريزي، **الخطط**، ج3، 94 ؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج1، 254.

[6] – العسقلاني المصري، **الفضل المأثور**، 149 ؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1، 688 ؛ ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج1، 122؛ المقريزي، **الخطط**، ج1 94.

[7] –العسقلاني المصري، **الفضل المأثور**، 175 ؛ البرازلي، **المقتفي**، ج1، 207 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 211 ؛ ابن سباط، **صدق الأخبار** ج1، 493؛ الكرمي، **نزهة الناظرين**، 108.

توفي في 6 ذي القعدة / 11 تشرين الثاني من السنة نفسها[1]، ودُفن في تربته بالبيمارستان المنصوري[2] بين القصرين [3]، وكانت مدة سلطنته إحدى عشرة سنة وشهرين ونصفاً [4]، وأجمع المؤرّخون على أنّ الملك المنصور كان ملكاً، جليلاً، جميلاً، رؤوفاً عطوفاً، تامَّ الخُلق والخَلق، حسن الهيبة كثير الإحسان، قليل الغضب، ضحوكَ السن، قليل سفك الدماء[5].

جلس الأشرف خليل على عرش السلطنة في ذي القعدة عام (689هـ/1290م)[6]، وخُطِبَ له يوم يوم الجمعة، وسار في موكب والعساكر في خدمته في الميدان الأسود[7]، الذي كان تحت القلعة المعروف المعروف بسوق الخيل بعد أَنْ خَلَعَ [8]، على أعيان العساكر والقضاة جميعِهم[9]، واستقر بحسام الدين

---

[1] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 122 ؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1 208؛ اليافعي، **مرآة الجنان**، ج4، 208.

[2] – البيمارستان: كلمة فارسية، تعني بيت الضعيف. للمزيد انظر: ابن كنان، **حدائق الياسمين**، 163. وأنشأه المنصور بين القصرين وكان داراً للست الملك أخت الحاكم الفاطمي فغير معالمه وزاد فيه. للمزيد ينظر: العسقلاني المصري، **الفضل المأثور**، 166 – 168 ؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، 38 ؛ المقريزي، **الخطط**، ج3، 386 – 390.

[3]– بين القصرين: مكان في مدينة القاهرة، يتضمن قصرين: الأول القصر الشرقي الكبير، والثاني القصر الغربي الصغير، وبينهما ساحة كبيرة للسوق، وفيها الجوامع والمدارس. للمزيد ينظر: المقريزي، **الخطط** ج3، 44، 336.

[4] – الجعفري، **أنهج الطرايق والمناهج والسلوك**، ورقة 202 ؛ المقريزي، **الخطط**، ج3، 94 ؛ العصامي، **سمط النجوم العوالي**، ج4، 25.

[5] – ابن المغيزل، **ذيل مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، 126؛ ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر**،ج8، 302 –303.

[6] – بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**، 272 ؛ **مختار الأخبار**، 91 ؛ ابن دقماق، **الجوهر الثمين**، ج1، 105 ؛ العيني، **عقد عقد الجمان** ج3، 242؛ ابن سباط، **صدق الأخبار**، ج1، 494.

[7] – الميدان الأسود: أصبح فيما بعد مقابر أهل القاهرة، وكان يعرف بالميدان الشريف. للمزيد ينظر: المقريزي **الخطط**، ج2، 43 ابن شاهين الظاهري، **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**، 27.

[8] – خلعة: من خلع يراد بها التعاهد، والخلعة ما يعطيه الإنسان لغيره من الثياب منحة. والجمع خلع. للمزيد ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج9، 492 ؛ المقري، أحمد، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، ج1، 191.

[9] – ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر**، ج8 ،303؛ الصفدي، **نزهة المالك والمملوك**، 164؛المقريزي،**المقفى الكبير**،ج798،3.

طرنطاي نائباً للسلطنة، وخَلَعَ على علم الدين سنجر الشجاعي[1]، وولاه الوزارة، وأرسل للخليفة الحاكم العباسي [2] فاستدعاه وخطب بالمسلمين[3].

وبعد أيام عدة من سلطنته قَبَض الأشرف على نائبه حسام الدين طرنطاي وقتله، وقيل أذاقه صنوفاً من العذاب متهماً إيَّاه بإحاكة مؤامرة ضدَّه حاول فيها قتله، وقد ظهر ذلك عندما ركَّب الأشرف في موكبه وسار وسْط القاهرة في الأسبوع الثاني من سلطنته، إذ سار من قلعة الجبل مارّاً بالميدان الأسود تحت القلعة [4] على عادة السّلاطين، ثم عاد سريعاً للقلعة بعد أن بلغه أنَّ طرنطاي يريد الفتك به[5].

وقيل: إنَّ طرنطاي وقف ومن معه عند باب سارية [6]، فعرف السلطان الأشرف بالأمر، وعند اقترابه من باب سارية انحرف لِيعْبُرَ باب الإسطبل [1] راجعاً إلى القلعة [2]، وطلب طرنطاي فور وصوله،

---

[1] – هو علم الدين سنجر الشجاعي: وزير الديار المصرية ومشد دواوينها، ونائب السلطنة بدمشق، تقلبت الأحوال به أيام المنصور والأشرف وقتل أيام سلطنة العادل كتبغا (694هـ/1294م)، وكان وقتها وزيره. للمزيد ينظر: ابن أيبك الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج15، 475 ؛ ابن تغري بردي، **الدليل الشافي**، ج1، 325 – 326.

[2] – هو أحمد بن الحسن بن أبي بكر بن علي العباسي أمير المؤمنين، الحاكم بن أبي علي، من ذرية المستظهر بن المقتدي، اختفى في واقعة بغداد، وتوجه إلى حسين بن فلاح أمير خفاجة، فأقام مدة ثم وصل إلى دمشق فسمع به المظفر قطز فطلبه، وقدم مصر فقام ببيعة الظاهر بيبرس، وعقد له السلطنة وبويع هو بالخلافة سنة (661هـ/ 1262م)، توفي سنة (701هـ / 1301م)، فكانت خلافته أربعين سنة وأربعة أشهر وعشرة أيام. للمزيد ينظر: ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج1، 119 – 120.

[3] – العيني، **عقد الجمان**، ج3، 24 ؛ السيوطي، جلال الدين، **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، ج2، 87.

[4] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 179 – 180.

[5] – المقريزي، **المقفى الكبير**، ج3، 795.

[6] – باب سارية: وعرف أيضاً بباب الدرفيل، نسبة إلى حسام الدين لاجين الدوادار، دوادار الملك الظاهر بيبرس الذي عرف بالدرفيل وتوفي عام (672هـ/1273م)، كما وأطلق عليه اسم باب المدرج، ويوصل إليه من تحت دار الضيافة، وينتهي منه إلى القرافة فيما بين سور القلعة والجبل. ينظر: المقريزي، **الخطط**، ج3، 33.

وصوله، وكان الأمير كتبغا معه [3] قد نبهه إلى عدم الدخول على السلطان الأشرف خليل وحده، فرد عليه طرنطاي قائلاً: " **والله، لو كنت نائماً ما جَسَرَ خليلٌ ينبهني** " ، فدخل عليه، وكان معه كتبغا فقبض عليه وقتله [4]، وعندما احتج كتبغا أمر الأشرف بسجنه ثم أطلقه فيما بعد[5].

وبعد مقتل طرنطاي، قام الأشرف بمصادرة أمواله ووصفت أنّها عظيمة، فَوُجِد من الذهب ألف ألف دينار وستمائة ألف دينار [6]، هذا إلى جانب الغلال والمماليك والجواري والعدد العسكرية[7]. وقام عامل الأشرف علم الدين الشُّجاعي بمصادرتها، وشفى غليله منه ؛ لما كان بينهما من العداوة أيام

---

[1] – باب الإسطبل: عرف فيما بعد بباب الوراقة والقيسارية، وكان يرسم بالخيل المعدة لركوب الخليفة. فيما بعد عرف بطارمة الإسطبل. ينظر: المقريزي، **الخطط**، ج2، 46 – 47.

[2] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 178 – 179 ؛ المقريزي، **المقفى الكبير**، ج3، 95.

[3] – هو زين الدين كتبغا المنصوري، أسر من عسكر هولاكو آخر سنة (658هـ/1259م)، ثم اشتراه الملك المنصور، وأصبح أتابكاً للناصر في سلطنته الأولى، بعد مقتل الأشرف، ثم عزل الناصر، وتسلطن بنفسه وتلقب بالملك العادل. للمزيد ينظر: ابن أيبك الصفدي، **تحفة ذوي الألباب**، ق2، 893 ؛ ابن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، ج3، 218، ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج3، 348.

[4] – بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**، 272 ؛ الذهبي، **دول الإسلام**، ج2، 113 ؛ الصفدي، **نزهة المالك والمملوك**، 166؛ ابن دقماق، **الجوهر الثمين**، ج1، 88؛ المقريزي، **السلوك**، ج1، 98.

[5] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 180 – 181 ؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، 37 ؛ ابن دقماق، **الجوهر الثمين**، ج1، 105 المقريزي، ج2، 218.

[6] – بيبرس المنصوري، **مختار الأخبار**، 91 ؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1، 213 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 219 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 28 ؛ حيدر الشهابي، **الغرر الحسان**، ج1، 466.

[7] – بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**، 274–275 ؛ ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر**، ج8، 304–305 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 219 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 28–29.

المنصور [1]، وولّى بعده الأميرَ بدرَ الدّين بيدرا نيابة السلطنة[2]، وما لبث حتى عَزَل علم الدين الشجاعي عن الوزارة [3]، وولّى مكانه ابن السلعوس بعد أن أحضره من الحجاز [4]، في حين عَيَّن علم الدين الشُّجاعي على نيابة دمشق بدلاً من الأمير حسام الدين لاجين [5] بعد تحرير عكا في جمادى الآخرة/ حزيران(690هـ / 1291م) [6].

واستطاع الأشرف أن يتخلَّص من صاحب النفوذ الأقوى بعد والده، وهو النائب طرنطاي بدعوى أنه حاول قتله أثناء سيره في الموكب، وهنا لا بد من طرح سؤال هو: هل فكر طرنطاي فعلاً في قتل الأشرف ؟ أم أنَّه مجردُ اتّهامٍ له حتى ينتقم الأشرف لنفسه من طرنطاي، لما بدر منه نحوه في فترة سلطنة والده المنصور قلاوون.

---

[1] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 183 ؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام، حوادث** 681 – 690، 370 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 29.

[2] – بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**، 275 ؛ ابن الوردي، **تتمة المختصر في أخبار البشر**، ج2، 336 ؛ ابن دقماق، **النفحة المسكية**، 88 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 32 ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 4.

[3] – اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج 1، 521 ؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 183 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 235.

[4] – بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**، 276 ؛ اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، مج 1، 521 ؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام، حوادث 690–700هـ**، 44 ؛ اليافعي، **مرآة الجنان**، ج4، 209 ؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، 41 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 221.

[5] – هو حسام الدين لاجين، أو ما يعرف بلاجين الصغير، مملوك السلطان المنصور ونائبه على قلعة دمشق، ولما تسلطن سنقر الأشقر، هجم على القلعة وملكها، وأسر لاجين وبقي حتى هرب سنقر الأشقر، ثم رتب له السلطان المنصور نيابة السلطنة بدمشق، بين عامي (679هـ – 689هـ /1280– 1290م) تولى السلطنة، (696هـ/1297م)، واستمر فيها حتى عام (698هـ/ 1299م) عندما قام عليه أحد الأمراء وقتله وهو يلعب الشطرنج. للمزيد ينظر: ابن أيبك الصفدي، **أعيان العصر وأعوان النصر**، ج4، 165 – 166 ؛ **تحفة ذوي الألباب**، ق2، 182 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 220؛ ابن طولون الصالحي، **أعلام الورى**، 36.

[6] – أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج4، 36.

وكما أسلفنا سابقاً فقد لاحظنا أنّ العلاقة الَّتي جمعت الأشرف وطرنطاي إبان حكم المنصور كانت حادة ومتوترة، وقد ظهر حقد كل منهما على الآخر. وعلى ما يبدو أنَّ شخصية طرنطاي كانت شخصية ملكية، فسطوته كانت كبيرة وأمواله العظيمة التي صادرها الأشرف بعد مقتله كانت تدل على أنَّه كان يستغل منصبه لمصالحه الخاصة، وإن تعمُّدَ طرنطاي إهانة عمال الأشرف ومماليكه إنَّما إهانة للأشرف نفسه بصورة غير مباشرة، فحاول طرنطاي الاقتصاص منه عن طريق إهانةِ أقربِ الأشخاص إليه، حين وشى طرنطاي بناظر ديوان الأشرف ابن السلعوس الذي طُرد وعُوقب من قبل المنصور [1]، هذا الأمر جعل الأشرف يكن الكره لطرنطاي، وأصبح فيما بعد ينتهز الفرص للانتقام منه.

ومن الممكن أنَّ طرنطاي فكّر بالسَّلطنة بعد وفاة المنصور، ولهذا أراد التّخلص من الأشرف، فهو كما يبدو ملكي بطبعه عليه هَيْبَةٌ الملوك، وكأيِّ شخص في مكانته وخبرته وعمره من الطبيعي أن يفكِّرَ في التَّخلُّص من الأشرف، وأن يحل محلَّه في السلطنة.

ومن جهة أخرى لم يكن للأشرف أيُّ وسيلةٍ أخرى للخلاص من نفوذ الأمير طرنطاي السياسي والاقتصادي سوى قتله، ومن هنا يكون قد ضرب عُصفورين بحجر واحد، من ناحية يتخلص من طرنطاي ومن ناحية أخرى يكون مقتله عبرةً لمن تُسوِّل له نفسُه من الأمراء في التطاول على السلطنة.

وليس غريباً أن يفكِّر الأمير طرنطاي في قتل السلطان الأشرف أو خلعه، فبحسب الظروف التي عاشها المماليك، جعلت كلَّ واحد منهم ينظر إلى نفسه، على أنَّه الأجدّرُ للحكم أكثر من زميله، وكانت المنافسة بين الزملاء المماليك، الذين عاشوا ظروفاً متشابهة إلى حد كبير، ويعلم كلُّ مملوكٍ أنَّهُ بغير جهده الشَّخصي، لن يرتقي في مناصب الدولة ؛ فتكون مصلحته الخاصة تطغى على المصالح الأخرى.

---

[1] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 181 ؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 100.

ولو استطاع طرنطاي قتل السلطان الأشرف، لكانت هذه الحادثة حلقة أخرى، من سلسلة حلقات الاغتيالات، والعزل التي طالت سلاطين الدولة المملوكية الأولى والثانية، كما حدث مع الظاهر بيبرس الذي قتل المظفر قطز وتسلطن بعده [1]، واستعان المنصور قلاوون بالأمراء لخلع بركة خان ثمَّ أخيه سلامش [2]، وخرج سنقر الأشقر في الشام على المنصور قلاوون، ورأى أنْ لا شيءَ يميِّز قلاوون. فلماذا لا يتسلطن هو الآخر بالشام ؟ وسيأتي من يقتل الأشرف للأسباب نفسها، فهذه طباع مملوكية، وخروج طرنطاي على الأشرف أمرٌ واردٌ بل إننا نجده أكيداً، وإنْ ذكرت بعض الروايات على أنَّ طرنطاي لم يفكر بقتل الأشرف كون الأخير ابن أستاذه [3]– على حد قوله – والأمر لا يعدو أنْ يكون مجرد أوهام أو تطمينات من قبل طرنطاي حتى لا يشعر الأشرف بالخطر، وبالتالي يحقق مخططه كما فعل السلطان الأشرف عندما عين طرنطاي نائباً للسلطنة وطمأنَهُ حتى لاحت الفرصة بقتله، وبذلك يبدو أنَّ السلطان الأشرف والأمير طرنطاي قد فكَّرا فعلاً بأن يقتل كلّ منهما الآخر، لكن الأشرف كان الأوفر حظاً.

علاقة الأشرف خليل والأمراء:–

من خلال الاطلاع على المصادر التاريخية تبيَّن لنا أنَّ العلاقة التي جمعت الأشرف والأمراء اتسمتْ بالتَّوتر ؛ وذلك لأسباب عدّة، أهمها:–

أولاً – تعيين شمس الدين بن السلعوس وزيراً:–

---

[1] – الملطي، عبد الباسط، **نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين**، 74 – 75.

[2] – العسقلاني المصري، **الفضل المأثور**، 44، 51 ؛ الصفدي، **نزهة المالك والمملوك**، 158 ؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج1، 347 ؛ القرماني، **أخبار الدول**، مج 2، 272 – 273.

[3] – ابن دقماق، **الجوهر الثمين**، ج1، 99 ؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج1، 360.

فوَّض الأشرف خليل الوزارة إلى شخص يعرف بالصّاحب شمس الدين بن السلعوس وكان تاجر قماش من أهل دمشق [1]، ومقرَّباً من تقي الدين بن توبة التكريتي [2] وزير دمشق [3] أيَّام المنصور قلاوون، وبعد فتح حصن المرقب دخل هذا الشخص مصر، ومعه الصاحب بن السلعوس مع المنصور قلاوون عام (684هـ/1285م)، وطلب ابن السلعوس من ابن توبة التكريتي أن يتكلَّم بشأنه مع أحد الأمراء في مصر، حتَّى يوظفه عنده، فتكلم بشأنه مع الأشرف خليل [4]، ووجد الأشرف في ابن السلعوس الخبرة الإدارية ؛ بالإضافة إلى خطّه الجيد فعينه على ديوانه بدمشق، ومن خلال ذلك ارتبط بالأشرف بعلاقة تجارية، فصار يتَّجر له في الأصناف المختلفة من البضائع نحو البلاد الشامية؛ ويحصّل له في كل سنةٍ جملةً من الفوائد، فحظي عند الأشرف خليل، حتَّى صار نديمه لا يفارقه أبداً[5]، وسعى ابن السلعوس عند الأشرف حتى يكلم والده ؛ ليعينه على حسبة دمشق ففعل وتمت له الحسبة [6]، وقيل: إنه اختلس من بعض المقطعين، فشكوا أمرهم لنائب السلطان آنذاك طرنطاي، الذي كان يريد فرصة ينتهزها للاقتصاص

---

[1] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 125 ؛ **مختار الأخبار**، 93 ؛ النويري، **نهاية الأرب**، 31، 188 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 208.

[2] – هو توبة بن علي بن مهاجر بن شجاع المعروف بالبيع ولد (620 – 698 هـ /1223– 1298م) وتعرف بحسام الدين لاجين عندما كان على الشام وعامله، وعرف بظلمه وتوفي (698هـ/1223م). للمزيد ينظر: ابن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، مج 1، 261.

[3] – وزارة دمشق (الشام): غير وزارة الديار المصرية، وهو ما عرف بناظر المملكة الشامية، وكان يطلق عليه لفظ الوزير لصاحبها للمزيد ينظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، 188.

[4] – العيني، عقد الجمان، ج3، 52.

[5] – بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**، 275 ؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج3، 188 ؛ الذهبي، **العبر في خبر من عبر**، 381؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 219.

[6] – الذهبي، **العبر في خبر من عبر**، ج3، 381 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 53.

من الأشرف، فأخبر المنصور قلاوون بما فعل ابن السلعوس، فأمر المنصور قلاوون باعتقال الصاحب ابن السلعوس، وعوقب والتزم داره [1]. وقيل: إنَّ طرنطاي قد وشى به ؛ لتمكّنه من نفس الأشرف فعدّد مساوئه أمام المنصور الذي بدوره أمر بتجريده وعقابه [2]، ونفيهِ إلى الحجاز [3]، وفي رواية أخرى أنَّه خرج مع الحجيج بإرادته [4]، وعندما تسلطن الأشرف خليل، تحدث في البداية لعلم الدين سنجر الشجاعي الشجاعي عن الوزارة [5]، وفي الوقت نفسه ، بعث إلى ابن السلعوس وهو بالحجاز برسالة يقول فيها: " **يا يا شقيرُ، يا وجهَ الخيرِ، تعجَّل بالحضور لتستلم** "[6] فجاء على عجل، واستوزره الأشرف، وعَظُمَ شأنه عنده، وأعطاه أموالاً واقطاعات [7]، وعظم موكبه، وصار الأكابر يزدحمون في موكبه في طرقات القاهرة [8]، حتى إنَّ موكبه كاد أن يشابه موكب السلطان الأشرف نفسه.

---

[1] – بيبرس المنصوري، **مختار الأخبار**، 93 ؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1، 194.

[2] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 189 ؛ العيني، **عقد الجمان**،ج3، 53.

[3] – البرزالي، **المقتفي**، ج1، 194.

[4] – بيبرس المنصوري ؛ **زبدة الفكرة**، 276 ؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 188 ؛ العيني، **عقد الجمان**، 3 233 ؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج1، 367.

[5] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 188؛ ابن حبيب، **درة الأسلاك**، ج1، ورقة 160؛ الجعفري، **أنهج الطرايق، ورقة** 203. 203.

[6] – بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**، 276، مختار الأخبار، 93 ؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج1، 366، وفي روايات قال فيها (يا شقير يا وجه الخير عجل السير فقد ملكنا). ينظر: النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 90 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 221.

[7] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 188؛ ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 67 ؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1، 248 ؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، 41.

[8] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 183 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 221–222 ؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**،ج1،367.

وقد أخذ ابن السلعوس يحاول الاستحواذ على السلطة وإثارة حفيظة الأمراء لأسباب عدة:

أولاً: التَّدقيق في الحسابات والاقطاعات، فأصبح يرتحل إلى المدن لتدقيق حساباتها [1]، وهنا يصطدم معهم كونه دمشقياً، فلم يتقبل الأمراء المماليك هذه الشخصية بسهولة ؛ خاصة أنَّه سيغيِّر جميع الأمور التي اعتادوا عليها منذ زمن طويل.

ثانياً: تقريب الشاميين على حساب المصريين، فقد جاء بعائلته وأقاربه من الشام، وأسكنهم القاهرة، وأقطعهم وعيَّنهم في المناصب، فعيَّن زوج ابنته، سنقر الأعسر على دواوين الشام[2]، بالرَّغم من أنه عوقب وعُزل من قبل الأشرف سابقاً [3]، وقام بعزل قاضي القضاة ابن بنت الأعز [4] وكان له شأنٌ كبيرٌ كبيرٌ في مصر أيام المنصور، وبيده العديد من المناصب، كما ألحق ابن السلعوس بابن بنت الأعز الأذى الكبير أثناء عزله، ووجه إليه الاتهامات من الفسقِ والكفر، فتم تجريده وعقابه، حتى شفع الأمراء فيه [5]، وأحضر قاضي القدس ابن جماعة [1]، وعيَّنه في منصب قاضي القضاة بمصر[2].

---

[1] – بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**، 292.

[2] – البرزالي، **المقتفي**، ج1، 295 ؛ ابن شاكر الكتبي، **عيون التواريخ**، ج23، 46 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 219 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 36.

[3] – ابن شاكر الكتبي، **عيون التواريخ**، ج23، 46؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، 47؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8،103.

[4] – هو عبد الرحمن بن عبد الوهاب، بن خلف بن بدر العلامي، نسبة إلى قبيلة لخم، تولى الوزارة والقضاء أيام المنصور قلاوون، ودرّس بمدارس القاهرة وتوفي في القاهرة عام (695هـ/1296م). للمزيد ينظر: السبكي عبد الوهاب، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج5، 64 – 65 ؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج7، 188.

[5] – ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 57 ؛ الذهبي، **المختار من تاريخ ابن الجزري**، 341 ؛ ابن شاكر الكتبي، **عيون التواريخ**، ج23، 82 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 228 – 229.

ثالثـاً – وضـع نفسـه فـي أبهـة تشـبه إلـى حـد كبيـر أبهـة السـلطان، مسـتغلاً منصـبه فـي تحقيـر الأمـراء واستصـغارهم، والاقتصـاص من كلِّ مَنْ وقف في وجهه أيام المنصور، ومنهم قاضي القضاة ابن بنت الأعز [3].

ومما ساعده على ذلك قربُه من الأشرف، وثقته الزائدة به حتى إنَّه كان يأمر وينهي دون أن يرجع للأشرف [4]، فبسط يده ولسانه على الأمراء والدولة [5]، وأخذت المنافسة بين ابن السلعوس ونائب السلطنة بدر الدين بيدرا تشتد، فكلٌّ منهما حاول استمالة الأشرف إلى جانبه، لكن مكانة ابن السلعوس كانت عظيمة عند الأشرف، فخفِتَ نجمُ بيدرا وازداد الأمر سوءاً حين أخذ ابن السلعوس يحرِّض الأشرف على بيدرا، فأخذ يعطل أموره[6]، وعمد إلى الوشاية به عند الأشرف، خاصة عند رجوعه من حرب أهل جبال كسروان [7]، حيث إنَّ الأشرف بعث بجيشٍ يقوده بيدرا وبعض الأمراء، وعندما وصلوا إلى تلك

---

[1] – هو بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة، ولد سنة (659هـ/1259م)، وتوفي عام (732هـ/1331م). للمزيد ينظر: الذهبي، **العبر**، ج4، 96 ؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج3، 279.

[2] – ابن حبيب، **درة الأسلاك**، ج1، ورقة 160 ؛ الأنصاري، شرف الدين: **نزهة الناظر وبهجة الخاطر**، ج2، 26.

[3] – قيل أن الوزير قد حقد على قاضي القضاة، من أيام المنصور بأنه قد استهان به، ونعته بتاجر البطاين، فلما استوزر اقتص منه. ينظر قصته في العيني، **عقد الجمان**، ج3، 33 وقيل إنّ قاضي القضاة كان يقف بوجه ابن السلعوس، لظلمه وتعسفه. ينظر: ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج7، 189.

[4] – ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر**، ج8، 346.

[5] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 125.

[6] – ابن أيبك الدواداري، **درر التيجان**، ورقة 592 ؛ **كنز الدرر**، ج8، 346 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 222.

[7] – أهل كسروان: أهل جبل الدروز في لبنان. للمزيد ينظر: أبو الفداء، إسماعيل **تقويم البلدان**، 229 ؛ ابن فضل الله العمري، **التعريف بالمصطلح الشريف**، 204 ؛ القلقشندي، **صبح الأعشى** ج13، 248.

الجبال ليّن بيدرا جانبه اتجاههم، ممَّا ساعد في هزيمة الجيش، وعندما عاد بيدرا وعساكره إلى دمشق وجد أنَّ ابن السلعوس أوصل وشايته للأشرف بأن بيدرا أخذ رِشوة من أهل كسروان، فرجع خاسراً، الأمر الذي أدى إلى تعنيف الأشرف لبيدرا، وشتمه أمام الأمراء[1].

وفي حادثة أخرى، ذكر أنه عندما كان السلطان في زيارة لمدينة قوص [2]، في صعيد مصر، صحبة الوزير ابن السلعوس، لتدقيق حسابات المدينة، فوجد الأخير أن بيدرا سيطر على الغلال والإقطاعات، واستحوذ بشكل كبير على الأموال، فوشى ابن السلعوس أمر بيدرا للأشرف، مما عرضه إلى نقمته مرة أخرى [3]، ويبدو أن نفوذ بيدرا الاقتصادي في الدولة كان كبيراً ؛ فبالإضافة إلى إقطاع طرنطاي الذي أُعطي إليه [4]، وقلعة الصُبيّبية[5] التي رسمها له الأشرف [6]، فإنَّه قد زاد إلى ذلك شيئاً شيئاً كثيراً، من نواحٍ اشتراها لديوانه من مقطعيها ومناطق استحوذ عليها، وانبسطت يد نوابه في الأعمال، وكنزوا من الأموال الشيء الكثير، بحيث لم يبقَ إقليم إلا ومعظمه في أيديهم [7]. وكان ذلك بحد ذاته يجعل الأمور لصالح ابن السلعوس من ناحية توفر ذرائع تدين بيدرا، وتجعله شخصية منفره أمام

---

[1] – بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**، 290 ؛ ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 110 – 111 ؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، 45 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 563.

[2] – قوص: مدينة على ضفة النيل الشرقية، وهي باب مكة واليمن والنوبة. للمزيد ينظر: ابن فضل الله العمري شهاب الدين، **مسالك الأبصار**، 86 ابن دقماق، إبراهيم، **الانتصار لواسطة عقد الأمصار**، 28.

[3] – بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**، 292 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 239 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 153.

[4] – بيبرس النصوري، **زبدة الفكرة**، 275.

[5] – الصُبيّبة: اسم قلعة بانياس، وهي من الحصون المنيعة. أما بانياس فهي بلدة صغيرة، تقع في الجهة الغربية لدمشق. ينظر أبو الفداء، **تقويم البلدان**، 249 ؛ ابن فضل الله العمري، شهاب الدين، **دولة المماليك الأولى**، 187.

[6] – ابن عبد الظاهر، **الألطاف الخفية**، ج3، 29.

[7] – بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**، 275 ؛ المقريزي، **المقفى الكبير**، ج2، 567 – 568.

السلطان الأشرف، ومن ناحية أخرى فقد اتسمت هذه الشخصية بقلة خبرتها إدارياً، مقارنة مع ابن السلعوس.

وممّا يدل على ذلك أنَّ المنصور قلاوون كان قد عين بيدرا عام (687هـ/1288م)[1] على الوزارة حتّى عزله، وعين بدلاً منه ابن بنت الأعز مرة أخرى[2]. ولعلَّ فشله في جبال الكسروانيين لم تأتِ صدفة، وهذا زاد من غضب الأشرف عليه، مما قوّى موقف ابن السلعوس عند الأشرف، وزاد من نفوذه فاستهتر بالأمراء، حتى أصبح يناديهم بلا نعوتهم [3] ، فحقدوا على الأشرف وابن السلعوس معاً، وانتظروا فرصة الانتقام منهما، بل إن بيدرا عندما برر قتل الأشرف، شرع بعدِّ سيئاته: كإهماله لأمور المسلمين واستهتاره بالأمراء ومماليك أبيه ووزارته لابن السلعوس،[4] في إشارة إلى أن توزير الأشرف لهذا الرجل كان سبباً في في سوء العلاقة بين الأشرف والأمراء. حتى إن الأمراء الأشرفية الذين لم يظهروا كرهاً لابن السلعوس أيام سلطنة الأشرف والذين عاقبوا قتلته، عدّوه – ابن السلعوس – سببٌ من أسباب قتل سيدهم، فاقتصوا منه وعوقب، كأنَّه أحد قاتليه، وكان علم الدين الشجاعي مَنْ قام بقتله بعد أَنْ استخلص أموال السلطان الأشرف وأمواله منه، ويقال: " **إنَّ لحمه قد أنتن من شدة الضرب حتى قُطع من لحمه الميت**[5] " نكالاً.

---

[1] عُين بيدرا أيام المنصور قلاوون على وزارة السلطنة، إلا أن المنصور عزله عنها، وعين ابن بنت الأعز بدلاً منه، وبسبب المناصب الكثيرة التي كانت بيد ابن بنت الأعز، من أمور القضاء وغيرها، استعف عن الوزارة ثم استرجعت إلى بيدرا. للمزيد ينظر: الذهبي، **المختار من تاريخ ابن الجزري**، 347 – 348.

[2] – الذهبي، **المختار من تاريخ ابن الجزري**، 341 – 342 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 205.

[3] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 191 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 222.

[4] – المقريزي، **المقفى الكبير**، ج2، 565 ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 21.

[5] – الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 194 ؛ الذهبي، **المختار من تاريخ ابن الجزري**، ج1، 363 ؛ اليافعي، **مرآة الجنان**، ج4، 323 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 233.

ويبدو أنَّ ابن السلعوس لم يتصور في ذهنه قدوم هذا اليوم، ممّا زاد في بسط يده ولسانه على الأمراء، وقيل: إنّ أحد أقربائه قد حذَّره من هذا الوضع قائلاً:

[البحر الوافر]

تَنبَّهْ [1] يا وزيرَ الأرضِ [2] واعلمْ بِأنكَ قدْ وطِئْتَ على الأفاعِي

وُكُــنْ باللــهِ مُعتصِمــاً فإنّــي أخافُ عليكَ مِنْ نَهْشِ الشُجاعِي[3]

---

[1] – **تثبت في تاريخ ابن الفرات**، مج8، 177 ؛ **تَوَقَ في عقد الجمان**، ج3، 233.

[2] – **المُلك في عقد الجمان**، ج3، 233.

[3] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 139 ؛ أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج4، 42 ؛ ابن شاكر الكتبي، **عيون التواريخ**، ج23، 153 ؛ ابن حبيب، **تذكره النبيه**، ج1، 173.

ثانياً – عزل الأشرف للأمراء:-

كان من الطبيعي على الأشرف أنْ يعزل حاشية والده، وممَّن لم يثِقْ بهم من الأمراء والنّواب، وعلى وجه الخصوص نوّاب البلاد الشامية، فيبدو أنَّ طولَ مدة توليهم النيابة، قد جعلت الأشرف يخاف تمرُّداً يحدث هناك ضده، فعمد إلى عزلهم، وطلب منهم القدوم إلى الديار المصرية ليبقوا أمام عينيه؛ ويبدو أيضاً أن الأشرف كان متخبطاً في سياسته تجاه الأمراء، فتارة يعزل، وتارة يسجن، وتارة أخرى يطلق ويعفو، ثم يعطيهم الإقطاعات والأرزاق، ثم يقبض عليهم مرة أخرى ؛ ليعاقبهم أو يقتلهم، أو حتى يطلقهم ويعفو عنهم، ممّا يدفع الأمير المعزول، للوقوف مع الأمراء الآخرين يداً واحدة في وجه الأشرف، كما حدث مع حسام الدين لاجين [1].

تولى لاجين نيابة الشام للمنصور قلاوون منذ عام (679هـ/1280م)، وبقي على منصبه حتى عام (690هـ/1291م)، وكان الأشرف في بداية سلطنته، قد بعث له بكتاب يبقيه على نيابة السلطنة. ثم بعد تحرير عكا أمسكه مع أمراء آخرين [2]، بدعوة تعاونه مع الأمير طقصوا[3]، والد زوجة لاجين، الذي كان على علاقة مع نائب السلطنة السابق حسام الدين طرنطاي فاتُّهموا جميعاً بتآمرهم ضد الأشرف [4]

---

[1] – ابن ايبك الصفدي، **تحفة ذوي الألباب**، ق2، 182 ؛ دهمان، أحمد، **ولاة دمشق في عهد المماليك**، 70.

[2] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 129 ؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام، حوادث** 681–690 45 – 46 ؛ حيدر الشهابي، **الغرر الحسان**، ج1، 467.

[3] – هو سيف الدين طقصوا من أكابر أمراء المصريين، زمن المنصور وهو حَمُو الأمير حسام الدين لاجين، قام الأشرف بقتله (691هـ/1292م). للمزيد ينظر: الذهبي، **تاريخ الإسلام، حوادث** 690 – 700 هـ، 121 ابن أيبك الصفدي، **الوافي بالوفيات** ج16، 467.

[4] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 132 ؛ ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 17 ؛ الذهبي، **المختار من تاريخ ابن الجزري**، 353.

وبعد اعتقال لاجين أطلقه الأشرف بعد مدة قصيرة [1]، ثم قبض عليه مرة أخرى بعد أَنْ هربَ من وجه الأشرف خليل ليشي به أحد العرب، ويسيّر إلى مصر، ويحكم عليه بالإعدام مع أمراء آخرين منهم: سنقر الأشقر [2] الذي اتّهم باستصغاره الأشرف أيّام حصار قلعة الروم [3] ، وأناب علم الدين الشجاعي [4] على دمشق، تعويضاً له عن الوزارة التي تَحَدّث له فيها من قبلُ ابن السلعوس وسرعان ما عزله [5]، وعين مكانه عز الدين أيبك الحموي [6]، وقد تم تجميع الأمراء المعتقلين في السجن المعروف بالجب [7]

---

[1] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 180 ؛ **زبد الفكرة**، 283؛ المقريزي، **المقفى الكبير**، ج3، 778 ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 11.

[2] – ومن المعروف أن سنقر الأشقر بعد أن خرج على السلطان المنصور قلاوون عام (679 هـ/ 1280م) إستقر في قلعة صهيون ثم أنهى ما بينه و بين السلطان قلاوون من خلاف ثم أن سنقر الأشقر لم يغثْ السلطان المنصور قلاوون أثناء حصار قلعة المرقب عام (684هـ/1285م) فكان حانقاً عليه، ووجه إليه جيش بقيادة نائبه حسام الدين طرنطاي، وأحضره معه بعد أن سلم قلعة صهيون ثم تصالحا مرة أخرى وأرجعه إليها ويبدو أن الأشرف خليل لم يسامح سنقر الأشقر بما فعل بوالده فظل يُكن له الكره حتى لاحت الفرصة له بقتله. للمزيد ينظر: ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 78، 148 ؛ بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية** 94، 117 ؛ ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج1، 180.

[3] – العيني، **عقد الجمان**، ج13، 131 – 134.

[4] – بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**، 283 ؛ **التحفة الملوكية**، 129 ؛ ابن أيبك الدواداري، **درر التيجان**، ورقة 592 ؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام، حوادث** 681–690هـ، 46 ؛ ابن أيبك الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج15، 475 ؛ ابن حبيب، **تذكرة النبيه**،ج1، 142.

[5] – بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**، 290؛ ابن الوردي، **تتمة المختصر في أخبار البشر**، ج2، 399؛ ابن أيبك الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج15، 476 ؛ **تحفة ذوي الألباب**، ق2، 191 .

[6] – عز الدين أيبك الحموي، ولاه السلطان الملك الأشرف عقيب قدومه من قلعة الروم، عوضاً عن علم الدين الشجاعي على دمشق، وباشر النيابة فيها. للمزيد ينظر: ابن أيبك الصفدي، **تحفة ذوي الألباب**، ق2، 191 ؛ ابن طولون الصالحي، **أعلام الورى**، 36.

[1] ومنهم: لاجين وسنقر الأشقر وطقصوا وغيرهم وأمر بخنقهم فماتوا جميعاً، غير لاجين الذي وجد فيه الرَّمق، فرقّ له السلطان وأطلقه ، وقيل إنَّ بيدرا استعطف السلطان فأطلقه وأعطاه إمرة مئة فارس[2] وأقطعهُ أراضي [3].

إنَّ عملية عزل الأمراء وعقابهم ثم العفو عنهم قد أوقعت الأشرف في خطأ كبير، إذ زاد خوفهم منه، وفي الوقت نفسِه زادت نقمتهم عليه، ومن هؤلاء لاجين الذي ساهم وبشكل كبير في إحاكة المؤامرات ضده، حيث قام بتحريض الأمراء عليه بشكل مباشر وغير مباشر، و منهم النائب بيدرا الذي وجد أنَّ العزل سيطوله عاجلاً أم آجلاً. ونلاحظ أنَّ مجموعة الأمراء الذين تآمروا على الأشرف وقاموا بقتله كانوا من النواب الذين تم عزلهم، فلاجين كان نائب دمشق، وقرا سنقر كان نائب حلب [4]، بالإضافة إلى طقصوا وجرمك الناصري وأنغاي السلحدار [5]، وبهادر رأس نوبة [1]،وآقسنقر الحسامي والطنبغا

---

[1] – الجب: مكان عمره المنصور عام (681هـ/1282م) في القلعة، يحبس فيه الأمراء، كان مظلماً كثير الوطاويط، كريه الرائحة يقاسي فيه المسجون ما هو كالموت وأشد منه، وبقي حتى قام السلطان الناصر بردمه. ينظر: المقريزي، **الخطط**، ج3، 6.

[2] – أمير مائة: يكون على مائة فارس، ويستطيع أن يصل إلى إمره ألف فارس، ضمت وقعة من الأمراء وهذه الطبقة هي أعلى مراتب الأمراء على تقارب درجاتهم ومنهم يكون أكابر أرباب الوظائف والنواب. ينظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، 14.

[3] – بيبرس المنصوري، **مختار الأخبار**، 95 ؛ **زبدة الفكرة**، 288 ؛ الذهبي، **دول الإسلام**، ج2، 217 ؛ ابن أيبك الدواداري، **درر التيجان**، ورقة 592 ؛ **كنز الدرر**، ج8، 344 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 239 ؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج1، 369.

[4] – ابن حبيب، **درة الأسلاك**، ج1، ورقة 169 ؛ حيدرالشهابي، **الغرر الحسان**، ج1، 468، وكان نائباً على حلب منذ عام عام (681هـ/1282م). ينظر: ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج1، 73.

[5] – السلحدار: وهي جمع سلاح ودار ممسك، وهو المسؤول عن السلاح وحمله. للمزيد ينظر: ابن طولون الصالحي، محمد، **نقد الطالب لزغل المناصب**، 63 ؛ ابن كنان، **حدائق الياسمين**، 109.

الجمدار[2] ومحمد خواجا والأمير بيسرى [3]، وكان الأشرف قد أخرجه من السجن، بعد ثلاثةَ عشرَ عاماً، وأعطاه الأرزاق، وكان يُسلِّي السلطان ويُضحكه [4]، ثم قام بقتل الأشرف مع الأمراء الآخرين، [5] وبالتالي يبدو أنه كان من الممكن للأشرف، أن يتلافى نقمة الأمراء من خلال اعتماده سياسة ثابتة بعيداً عن التخبط في الرأي، و عدم الثبات في المواقف تجاههم.

ثالثاً – شخصية السلطان الأشرف:-

---

[1] – رأس نوبة: وظيفة من وظائف أرباب السيوف، وموضوعها الحكم على المماليك السلطانية والأخذ على أيديهم، وقد جرت العادة أن يكونوا أربعة أمراء. ينظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، 18، ج5، 455.

[2] – الجمدار: كلمة وأصلها فارسية من مقطعين: (جاما) وتعني الثوب، (ودار) وتعني ممسك، وهو المهتم بلباس الملك. ينظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، 459.

[3] – بيسرى، بدر الدين الصالحي، كان من أعيان الدولة وقبض المنصور عليه، وبقي في السجن سنين، ثم أن الأشرف أطلقه وأعاد إليه رتبته. للمزيد ينظر: أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج4، 40 ؛ ابن أيبك الصفدي، **أعيان العصر وأعوان النصر**، ج2، 199 ؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج1، 37.

[4] – بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**، 292.

[5] – أسماء الأمراء الذين قتلوا الأشرف ذكروا في: بيبرس المنصوري، **مختار الأخبار**، 95 ؛ ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر**، ج8، 347، 348؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام، حوادث** 690 – 700هـ، 182؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 152 ؛ ابن دقماق، **الجوهر الثمين** ج1، 111.

عُرِفَ عن الأشرف أَنَّه ذو مخافة وسطوة، فلم يثق بالأمراء وبمماليك والده، ولم يثقوا به أيضاً [1]، فلم يقربهم كما فعل والده، ولم يُبقِ حوله من المقربين عدا وزيرهِ ابنِ السلعوس، لذلك خافه الأمراء واتَّحدوا ضده، وربما كان السَّبب الأقوى في هذا الجفاء موقف الأمراء من ابن السلعوس الذي أخذ يأمر وينهي[2]، ولقي على يديه الأمراء الإذلال الذي لم يعهدوه، وكثيراً ما حرض ضدَّهم ووشى بهم. فتفضيل الأشرف لابن السلعوس دون غيره من الأمراء، ثم إنَّ تَنَفُذَ هذا الوزير في أمور الدولة، جعل بقية الأمراء يكرهون الأشرف خليل ويقطعون حبل الود معه، ويبدو أنَّ نجاح الأشرف في فتوحاته قد دفعه إلى درجة الغرور والخُيلاء، فأكثر من الاستهتار بالأمراء [3]، حتى بلغ حدّ إطلاق النّكات عليهم في مجلسه كما حصل مع نائب قلعة دمشق الأمير أرجواش [4] ، الذي وصف بالشجاعة والغرور وكرهه للمزاح، فلم يتجرأ أحدٌ من أصدقائه على ممازحته، وعندما علم الأشرف بذلك أراد أن يختبر ذلك، فبينما كان أرجواش بين يدي الأشرف مع مجموعة من الأمراء، وكان من بينهم رجل يعرف بالأمير شرف الدين بن الخطير الروميّ، عُرف عنه " **بالانبساط والانشراح** " أَنِسَ الأشرف به، وأومأ إليه أن يبسط على أرجواش ويمازحه، فنظر ابن الخطير إلى أرجواش، وقال للأشرف: " **كان لوالدي المملوك بالروم، حمارٌ أشهبُ أعورُ أشبه شيء**

---

[1] –ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر**، ج8، 346 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 208 ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 260 ؛ **المنهل الصافي**، ج5، 272.

[2] – المقريزي، **السلوك**، ج2، 222 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 66.

[3] –ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج1، 369.

[4] – هو علم الدين أرجواش، كان من مماليك المنصور، وكان مقداماً، شجاعاً، فذهبت عينه، في بعض حروبه، وكان جافياً، لا يعرف الهزل فولاه نيابة القلعة بدمشق واستمر حتى دولة الأشرف. ينظر: ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج1، 349.

بهذا الأمير علم الدين[1]، فضحك الأشرف وغضب أرجواش وقال: " **هذه صبيانية** " فاشتد غضب الأشرف، وأمر بالقبض عليه، وضُرِب بين يديه ضرباً كثيراً، ثم سُجِن مع الأسرى حتى عُفي عنه [2].

ويبدو مما سبق أن سياسة الاستهتار التي اتبعها الأشرف تجاه أمراء سلطنته، جعلتهم يشعرون بالكره له من ناحية، ويتوقعون تعرضهم للعزل، أو الضرب، أو القتل، من ناحية أخرى، مما دفعهم ذلك إلى توحيد جهودهم للخلاص منه.

مقتله:-

توجه الأشرف خليل إلى الإسكندرية لتفقد أحوالها وجمع حواصلها [3]، ورافقه الأمراء ووزيره ابن السلعوس، وعندما توقفوا في الطّرانة بالبحيرة [4]، سبقه وزيره إلى الإسكندرية كي يمهد لزيارة الأشرف [5]، وفي الطرانة اختصَّ الأشرف بأمير شكاره [6] شهاب الدين أحمد بن الأشل، وتوجها معاً إلى تروجه[1]

---

[1] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 210 211 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 226.

[2] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 210 – 211 ؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1، 237 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 226 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 67.

[3] – حواصل: وهو نظر الجهات، وموضوعه التحدث في أحوال جهات الوزارة، من متحصل ومصروف أو حمل لبيت المال وغيره. ينظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، 33.

[4] – الطرانة: مكان يقع بالبحيرة، بحيرة الاسكندرية، وهي ليست بحيرة ماء، إنما كورة معروفة من نواحي الاسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج 1، 351، ابن شاهين الظاهري، **زبدة كشف الممالك**، 35.

[5] – الذهبي، **تاريخ الإسلام، حوادث** 690 – 700، 181؛ ابن شاكر الكتبي، **عيون التواريخ**، ج23، 149.

[6] – أمير شكاره: شكار كلمة فارسية تعني: الصيد، وأميرها هو: المتحدث على الطيور الجوارح. للمزيد ينظر: ابن طولون طولون الصالحي، **نقد الطالب لزغل المناصب**، 67؛ ابن كنان، **حدائق الياسمين**، 129.

للصيد، وكان فيها الكثير من الطيور فرمى بالبندق واصطاد الكثير، ولم يكن يتقلد سيفاً، بل كان وسطه مشدوداً ببند، وعلم الأمراء أن الأشرف بمفرده، وقيل: إنَّ الأمير حسام الدين لاجين، قد دخل على مجلس بيدرا، أثناء تناوله الطعام، وهمس بأذنه، فوقف وجَمَعَ الأمراء وتوجهوا نحو تروجه[2] حيث الأشرف، فلما رأى الأشرف غبارهم من بعيد، بعث بابن الأشل ليعرف خبرهم فلم يردوا على سؤاله وأكملوا طريقهم إلى الأشرف، وعندما وصلوه ابتدأ بيدرا بضربه ضربةً تلقَّاها بيده فجرحه، فصاح لاجين قائلاً: " **من يرد السلطنة لا تكون هذه ضربته** " [3] أَيْ أَنَّ لاجين استهتر بضربة بيدرا، وبيَّن أنّها ضعيفة، ثم ضرب لاجين الأشرف ضربةً قويةً أسقطته عن حصانه، وتتابعَ ضربُ الأمراء له حتّى مزقوه، وقام بهادر رأس نوبة بشقه من أسفله لحلقه، وأبقوْه ملقىً في البرية يومين [4].

ثم وقع اتفاق الأمراء المتآمرين[5] على بيدرا سلطاناً ولقّبوه بالملك القاهر[1]، لكن المؤرخ بيبرس المنصوري في كتابيه (زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة والتّحفة الملوكية في الدولة التركية) القاهر[2]، أما في

---

[1] – تروجه: قرية بمصر من كورة البحيرة، من أعمال الإسكندرية وقيل اسمها تُرنجة. للمزيد ينظر: الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، مج 2، 27.

[2] – ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر**، ج8، 347 ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 19.

[3] – ابن الجزري، **تارخ حوادث الزمان**، ج1، 191 ؛ العصامي، **سمط النجوم العوالي**، ج4، 26.

[4] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 262 ؛ المقريزي، **المقفى الكبير**، ج3، 801 ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 24؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج1، 375.

[5] – الأمراء هم: لاجين، قرا سنقر، طقصوا، جرمك الناصري، أنغاي السلحدار، وبهادر رأس نوبة، آقسنقر الحسامي، الطنبغا الجمدار، محمد خواجا والأمير بيسرى. بيبرس المنصوري، **مختار الأخبار**، 95 ؛ ابن أيبك الدواداري، **كنز**

كتابه (مختار الأخبار) فأوردَ الظاهر[3]، وهنا لا نستطيع أن نقدّر الخطأ هل يعود إلى المؤرخ نفسه أم على الناسخ أو إلى المحقق؟ وهناك مصادر أخرى ذكرت لقبه الأوحد [4]، ثم إن الأشرف نُقل بوساطة عامله في تروجه عز الدين أيدمر الفخري [5]، إلى القاهرة وعُمِلَ له عزاءٌ عظيمٌ ودفن بتربته [6] . وذكر المؤرخ ابن شاكر الكتبي أنه دفن بتربة والدته [7]، ويوافقه ابن تغري بردي في ذلك [8] إلا أن ابن شاكر الكتبي بيَّن في كتابه (عيون التواريخ) أنه دفن في تربة والده [9]، وإن كان دفن في تربته، فيعود ذلك لاهتمامه بها في أثناء حياته، فقد أوقف عليها القرى فلماذا يتم دفنه بتربة والده أو والدته؟!

الدرر، ج8، 347 – 348 ؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام، حوادث** 690 – 700 هـ، 182 ؛ ابن دقماق، **الجوهر الثمين**، ج1، 111؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 152.

[1] – بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**، 296، **التحفة الملوكية**، 136؛ النويري، **نهاية الأرب** ج31، 263 ؛ اليافعي، **مرآة الجنان**، ج4، 222؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 214.

[2] – **زبدة الفكرة**، 296، **التحفة الملوكية**، 136.

[3] – **مختار الأخبار**، 96.

[4] – ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 191 ؛ ابن أيبك الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج13، 40 ؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، ج5، 276 ؛ العصامي، **سمط النجوم العوالي**، ج4، 26.

[5] – عز الدين أيدمر الفخري: لم أجد له ترجمة في الكتب المعروفة.

[6] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 262 ؛ ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج1، 167 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 206.

[7] – **فوات الوفيات**، مج 1، 201.

[8] – **النجوم الزاهرة**، ج8، 32.

[9] – **عيون التواريخ**، ج23، 106.

وكانت وفاة السلطان الأشرف خليل في (12 محرم 693هـ/2 كانون الأول 1293م) [1]، وكانت مدة سلطنته ثلاث سنوات وشهرين وأربعة أيام [2]، وقيل فيه:

[البحر الكامل]

وافوهُ غدراً، ثم صالوا جُملةً بالمشْرَفيِّ على المَلِيكِ الأشرف

وَلَّى شهِيداً نحو روضاتِ الرِّضى يختالُ بينَ مُزهَّرٍ وَمُزخرفِ

وَمَضَى يقُولُ لقاتِلِيهِ: تربصَّوُا بَيْنِي وبينكُمُ عِراصُ الموقِفِ [3]

وعُرفت حادثة مقتل الأشرف بحادثة الأيدي والأرجل ؛ لأنَّ كلَّ مِنْ شارك فيها قد قطعت أيديهم وأرجلُهم ؛ إذ نفذ فيهم علم الدين الشَّجاعي، وكتبغا أشدَّ أنواع العذاب [4]، مثلما فعلوا ببهادر رأس النوبة وأقوش الموصلي وكانا ممن شاركوا في قتل الأشرف، فضربت رقبتيهما ثم استطاعوا القبض على أنغاي السلحدار، ومحمد خواجا، والطنبغا الجمدار، وآقسنقر الحسامي، فاعتقلوا جميعاً، ثم قطعت أيديهم وصلبوا، وحمّلوا على الجمال وأيديهم التي قطعت في أعناقهم قد علقت، ورأس بيدرا على رمح معهم ثم

---

[1] – الصفدي، **نزهة المالك والمملوك**، 169؛ الذهبي، **الإعلام بوفيات الأعلام**، مج1، 472؛ اليافعي، **مرآة الجنان**، ج4، 222؛ الجعفري، **أنهج الطرايق والمناهج والسلوك**، ورقة 203 ؛ السيوطي، **حسن المحاضرة** ج2، 87.

[2] – ابن ايبك الدواداري، **كنز الدرر**، ج8، 351 ؛ ابن سباط، **صدق الأخبار**، ج1، 501.

[3] – ينسب ابن حبيب هذه الأبيات لنفسه في كتابه **درة الأسلاك**، ج1، ورقة 180 في حين ينسبها في كتابه **تذكرة النبيه** لبعض الأدباء الذين لم يذكرهم. ينظر: **تذكرة النبيه**، ج1، 168.

[4] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 139 ؛ ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 210 الذهبي، **تاريخ الإسلام، الإسلام، حوادث** 690– 700، 29 ؛ ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، مج 7، 738.

داروا بهم في القاهرة [1]، في حين توارى حسام الدين لاجين في جامع ابن طولون [2] المهجور، وبقي مختفياً حتَّى أمّنه كتبغا أتابك الملك الناصر محمد بن قلاوون [3]، الذي تسلطن بعد أخيه الأشرف، وكان صغيراً لا يتجاوز التاسعة من عمره * [4]. وهنا لا بدّ من طرح أسئلة عدة منها: هل كان كتبغا يعلم بالمؤامرة التي أحاكها الأمراء ضدَّ الأشرف ؟ وكيف كان موقفه اتجاهها ؟ فعندما سئل بيدرا بعد مقتل الأشرف:" **هل كتبغا له علمٌ بالقضية ؟ أجاب: نعم، هو أول مَنْ أشار بها** "[5].

ومن خلال الاطلاع على المصادر التاريخية لاحظنا إشاراتٍ تبين موقف كتبغا من قتل الأشرف، وأنَّه كان على دراية وعلم بأمر المؤامرة مسبقاً، ويمكننا الاستدلال على ذلك من خلال عدّة أمور:

---

[1] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 183 ؛ ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 195 – 196 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 223.

[2] – جامع ابن طولون الصالحي يقع على جبل يشكر بنى هذا الجامع الأمير أبو العباس أحمد بن طولون سنة (263هـ/ 1264م). للمزيد ينظر: المقريزي، **الخطط**، ج3، 142.

[3] – ابن أيبك الصفدي، **أعيان العصر وأعوان النصر**، ج4، 167 ؛ العصامي، **سمط النجوم العوالي**، ج4، 27.

* ولد الناصر محمد في (الخامس عشر من محرم 684هـ/ الرابع والعشرين من نيسان 1285م). للمزيد ينظر: ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 17 ؛ وقيل إنه ولد في السادس عشر من محرم. للمزيد ينظر: ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر**، ج8، 272 – 273 المقريزي، **السلوك**، ج2، 119.

[4] – ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج1، 169 ؛ المقريزي، **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**، 126 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 222.

[5] – ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 193 ؛، الذهبي، **المختار من تاريخ ابن الجزري**، 362 ؛ ابن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، ج1، 408 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 248.

أولاً: كان كتبغا أحدَ المقربين لنائب السلطنة السابق، حسام الدين طرنطاي [1]، والمقتول على يدي الأشرف كما وسبق وبيّنا، وكان قد عمل على تنبيه صاحبه من الأشرف، وأنَّه سيفتك به، لكن طرنطاي لم يستمع إليه، أو أنَّه كان يدبر أمراً آخرَ، فعندما أُلقي القبضُ على طرنطاي كان كتبغا معه، وحاول منعَ قتله فعرض نفسه للاعتقال، قبل أنْ يطلق سراحَه الأشرف [2].

ولم يكن لكتبغا نشاط يذكر في سلطنة الأشرف كالأمراء الآخرين سوى جهده في فتح عكا، واستسلام المتحصنين في الأبراج على يديه [3]، ويظهر لي أن قلة نشاطه تعود إلى عدم رضاه عن وضع السلطنة أو سُخطه على الأشرف خليل ؛ لأنه قتل صديقه حسام الدين طرنطاي.

ثانياً: قبل خروج بيدرا من الطرانة مع الأمراء المناوئين له وصل كتبغا والأمراء الأشرفية – مماليك الأشرف خليل – يطلبون بيدرا والتقوا قاتلي الأشرف، سأل كتبغا بيدرا: أين السلطان ؟ وقبل أن يجيبه بيدرا، رماه بسهم، وتبعه بقية الأمراء بسهامهم حتى قتلوه [4]، ويبدو أن كتبغا أراد قتل بيدرا بسرعة، قبل أن يظهر شيئاً يدلل على معرفته – كتبغا– بأمر قتل الأشرف أمام المماليك الأشرفية.

ثالثاً: عند اختفاء لاجين وشمس الدين قراسنقر بعد مقتل الأشرف قام كتبغا بمصالحتهما والصفح عنهما [5]، وأثار بذلك حفيظة الأمراء الأشرفية، ممَّا يثبت أنَّ كتبغا كان متواطئاً مع القتلة.

---

[1] – العيني، **عقد الجمان**، ج3، 30.

[2] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 180؛ ابن شاكر الكتبي، **عيون التواريخ**، ج23، 46، ورقة 203 ؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 100.

[3] – ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 7.

[4] – ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمانج**193،1 ؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات** 170،8 ؛ العيني، **عقد الجمان** 214،3.

[5] – ابن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات** 3، 218 ؛ العيني، **عقد الجمان**، 238 ؛ العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج3 348.

رابعاً: عندما تسلطن الناصر محمد بن قلاوون في المرة الأولى (693 – 694 هـ /–1293 – 1295م) وكان صغيراً في التاسعة من عمره، وَوَضَع كتبغا نفسه أتابكاً له وعلم الدين الشجاعي وزيراً [1]، تخلص كتبغا من الأخير بدعوى أنَّه يريد السلطنة [2]،وعزم على عزل السلطان الناصر بدعوى صغر سنه [3]، ثمَّ تولَّى السلطنة وتلقب بالملك العادل (694 – 696هـ/ 1295– 1296م) وعين حسام الدين لاجين نائباً له[4]، بالرغم من أنّه كان من المشاركين في قتل الأشرف، وهذا بدوره يثبت أنَّه كان عازماً على هذا الأمر منذ البداية.

رأي المؤرخين في الأشرف:–

تعرَّض المؤرّخون لذكر السلطان الأشرف خليل وتعددت آراؤهم واختلفت فيه، فبعضهم من عدّه شهيداً ووصفه بأجمل الصفات، وبعضهم الآخر وجد فيه شخصاً مغروراً منحلاً دينياً ووضيعاً، بل إنَّ بعض المؤرخين احتاروا في شخصيته.

ومن جملة آراء المؤرخين ما وصفه به ابن عبد الظاهر، حيث قال: أنَّه كان ذا فكرٍ وقَّاد، وذكاءٍ مفرطٍ، وذهن متيقِّظٍ، وإدراكٍ حسنٍ وذا تعطُّفٍ وتلطُّفٍ وقويّ الإحساس[5] ومما قاله فيه:

[البحر الطويل]

---

[1] – ابن دقماق، **الجوهر الثمين**، 1، 111 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 234؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 41.

[2] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 142 ؛ العيني، **عقد الجمان** ج3، 235 – 236.

[3] – الذهبي، **تاريخ الإسلام وحوادث** 691 – 700، 34 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 259.

[4] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 144 ؛ ابن شاكر الكتبي، **عيون التواريخ** 23، 177 – 178 ؛ ابن حبيب، **تذكرة النبيه** ج1، 179؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج3، 348.

[5] – ابن أيبك الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج13، 403 – 404.

فَفِي كُلِّ أرضٍ رحمةٌ مُستَمِرةٌ عليه وبــرٌّ دائمٌ ليــس يُتــركُ

وذلك بابنٍ شَرَّفَ الله اسمهُ وأعطــاهُ ما لــم يعطُهِ متمــلكُ

صلاحُ بلادِ اللهِ والخَلقِ كُلِّهِم ومن شأوهُ فيما انتحَى ليسَ يُدركُ

كريمٌ شجاعٌ عادلٌ متــورعٌ حلــيمٌ علــيمٌ راحــمٌ متنسكُ

فلا زالَ في عِزٍّ ومُلكٍ وبَسْطَةٍ به الحَقُّ يحيا والأباطِيــلُ تُهلكُ [1]

ووصفه بيبرس المنصوري ؛ أنّه " **كان ملكاً مستحكِماً لم يختلف فيه اثنان ولا تحركت شَفَةٌ ولا لسان** [2]"، ووصفه النُّويري أنَّه شجاعٌ كريمٌ مظفرٌ في حروبه [3]. وعدّه اليونيني "**شهيداً مظلوماً**"، وأنَّ جميع من وافق على قتله كان قد أحسن إليه ووفاه وأعطاه، وكان يحبّ أهل الشام [4]، وعلى أنَّه ملكٌ جليلٌ، جميلٌ، شجاعٌ، كريمٌ، خفيف الركاب، عالي الهمة، يملأ العين ويرجف القلب، وفي الوقت نفسه منهمكٌ باللذّات، لا يعبأُ بالتحرزِ لنفسه لفرط شجاعته ويتفق كل من ابن أيبك الدواداري [5] والذهبي [6] وابن أيبك الصفدي [7]،وابن شاكر الكتبي [1]، وابن حبيب [2]، وابن دقماق [3] والمقريزي [4]، وابن تغري بردي[5]،

---

[1] – **الألطاف الخفية**، ج3، 19 – 20، وقد يكون هناك خلل في هذه الأبيات ذلك أن محقق الجزء الثالث من كتاب **الألطاف الخفية** هو أكسل موبرج وهو مستشرق ولعله أخطأ في نقل وتثبيت الأبيات.

[2] – **زبدة الفكرة**، 272.

[3] – **نهاية الأرب**، ج31، 262.

[4] – على لسان اليونيني ذكره ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 27.

[5] – **كنز الدرر**، ج301،8 – 302.

[6] – **تاريخ الإسلام، حوادث** 691 – 700، 181.

[7] – **الوافي بالوفيات**، ج13، 399.

بردي[5]، وابن إياس [6]. وعدّه البدر العيني شجاعاً، عاليَ الهمة، إلا أنَّه كان حادَّ النفس، فيه استهتار، واستخفاف بأكابر الأمراء، وكان لا يفتكر ما يفتكره الملوك من العواقب [7]. وهذه الأوصاف في مجملها تصب في معنىٍ واحدٍ يقودنا إلى إعظام شخصية الأشرف خليل وإكباره من قبل المؤرخين على اختلاف طبقاتهم.

ويذكر الباحث الغربي وليم موير (William Muir) في كتابه "**تاريخ دولة المماليك في مصر**" أَنَّ الضربة القاتلة التي قضت على جنود الصليب كانت بيد رجل وضيع الخلق، وهو السلطان الأشرف خليل وقد وصفه بهذا المؤرخون أنفسهم [8] على حد قوله، في إشارة للمؤرخين المسلمين الذين ذكروا الأشرف وأرّخوا له، حيث ذكر هذا المؤرخ – موير – أنَّ المؤرخين المسلمين ذكروا أنَّ الأشرف كان مكروهاً، بسبب " **معاقرته الخمر والفسق بالمردان (بالفتيان) والانغماس بالشهوات** [9] "، وقد نوَّهنا في البداية على أنَّ هذه التهم قد انحصرت في روايتين هما للمقريزي وابن إياس وقد جاء في نصيهما كلمتا " **رمي ومال** " وتبيَّن لنا أنَّ الكلمتين " رُميَ " و " مال " في النصين لا يدلان على الانغماس، كما زعم

---

[1] – **فوات الوفيات**، مجلد 1، 406.

[2] – **تذكرة النبيه**، ج1، 167.

[3] – **النفحة المسكية**، 91.

[4] – **المقفى الكبير**، ج3، 805.

[5] – **النجوم الزاهرة**، ج8، 27 ؛ **المنهل الصافي**، ج5، 280.

[6] – **بدائع الزهور**، ج1، 376.

[7] – العيني، **عقد الجمان**، ج3، 207 – 208.

[8] – موير، وليم: **تاريخ دولة المماليك في مصر**، 70.

[9] – نفسه، 70.

وليم موير، وفي الوقت نفسه لا نستطيع الجزم أن الأشرف خليل لم يشرب الخمر، خاصة أن المماليك قد جاؤوا من بلاد لها عاداتها وتقاليدها التي تعودوا عليها، ومنها شرب نبيذ لبن الفرس (القمز)[1]، وكان السلطان الظاهر بيبرس قد شرب من هذا الشراب [2] ؛ وكذلك السلطان المنصور قلاوون [3]، وهذا يجعل يجعل شرب السلطان الأشرف لهذا النوع من المسكرات وارداً، لكن لا نستطيع القول إنَّه كان منغمساً في الشّراب والخمر، وهذا من شأنه يضعف اتهامات مَنْ تجرأ على هذا السلطان الذي حل محل والده في نُصرةِ المسلمين وتحرير أراضيهم من الاحتلال.

ومن جهة أخرى من يبحث في حياة الأشرف خليل يجد فيها انشغالاً كبيراً على المستوى الدّاخلي والخارجيّ، ولا يجد فيها الفراغ الذي يتحدث عنه وليم موير، بل إنَّ هذا المؤرّخ عَمدَ إلى التجريح وبشكل سافر ؛ ليصف الأشرف خليل بالوضاعة والانحطاط والانحلال الديني، معتمداً على المصادر التي عارضته وهاجمته دون أن يعطي نفسه فرصة الاطّلاع على ما ذكره المؤرخون المعاصرون للأشرف، وما أَضْفوا عليه مِنْ مدح وثناء، ونجده أيضاً قد ربط هذه الصفات بجملة يسبقها التحدث عن إسقاط دولة الصليب على الساحل الشامي، ممَّا يؤكد حقدَه كونُ الأشرف قد عمل على تطهير الساحل من الصليبيين، فمن الطبيعي أنْ نجدَ من يصفه بهذه الصّفات من المؤرِّخين الغربيِّين الذين دافعوا عن الحملات الصليبية بصورة أو بأخرى.

ومما سبق ذكره نستنتج:

---

[1] – القمز: أو نبيذ يقمر، يتخذ من ألبان الخيل يعنى بشربه الترك والتتر. دهمان، أحمد، **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**، 151.

[2] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 61 ؛ بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 86.

[3] –بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 105.

1- أن السلطان الأشرف خليل قد نشأ نشأة أدبيّةً عسكرية، واتّصف بصفات الشجاعة والإقدام، وهذا بحد ذاته أعطاه صفة الجدية التامة والتخطيط السليم للسير على منوال والده في مقاومة الأعداء، وتحرير البلاد، كما سنلاحظ في الفصل الثاني.

2- أن سياسة الأشرف خليل كانت حكيمة في مجملها، رغم ما شابها من تناقضات طغت على سياسته في بعض الأحيان مما دفع بعض المؤرخين إلى مهاجمته والتشكيك في جهوده .

وختام المقال في الشبهات التي أثارها هؤلاء المؤرخون حول شخصيته إن هذه الطائفة من المؤرخين لم تأخذ إلاّ الجانب السلبي لشخصيته، ولم تأخذ جانباً آخر مما هيأ لبعض الباحثين الغربيين انتهاز الفرصة السانحة للطعن في شخصية الأشرف خليل وتشويهها والانتقاص من مكانته ؛ لدوره الفعّال في إنهاء الاحتلال الفرنجي.

3- كان قد أُخِذّ على السلطان الأشرف خليل عدم اتّخاذه سياسةً ثابتةً اتجاه أمراء دولته ممّا انعكس سلباً على شخصيته، وبذلك اندفع المؤرخون إلى التمايز في وصفه وخلطوا بين صفاته الجدية والهزلية، وشككوا في قدراته.

4- لعل قسطاً كبيراً من الشبهات والتناقضات التي نُسجت حول شخصية الأشرف خليل يعود مردّها إلى أن عملية قتله كانت على يد الأمراء فجعلت سيرة حياته عُرضة للأقاويل والآراء المتضاربة التي تُجافي الواقع، وبهذه الآراء البعيدة عن الصواب بدا الأشرف خليل، وكأنَّه مستحق لتلك النهاية التي أودت به، وأنه غير جدير أن يرتبط اسمه بخروج آخر فرنجي من البلاد الشامية وغير جدير بفتوحاته العظيمة.

الفصل الثاني

العلاقات الخارجية في عهد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون

1- علاقة الأشرف خليل بفرنجة الساحل الشامي

أ- العلاقات بين دولة المماليك والفرنجة قبيل تحرير عكا

ب- العوامل التي ساعدت المماليك على تحرير عكا والساحل الشامي

ج- استعدادات الأشرف خليل للخروج إلى عكا

د- استعدادات الفرنجة (الصليبيين)

هـ- حصار مدينة عكا

و- سقوط مدينة عكا

ز- الاحتفال بتحرير مدينة عكا

ح- تحرير الساحل الشامي

- صور
- صيدا
- بيروت
- طرطوس
- عثليث
- جبيل

2- علاقة الأشرف خليل بالغرب الأوروبي والممالك الإسبانية

أ- الغرب الأوروبي

ب- الممالك الإسبانية

3- علاقة الأشرف خليل مع مغول فارس وحلفائهم (إيلخانية فارس)

أ- مغول فارس

ب- جهود الأشرف خليل لفتح قلعة الروم كحلفاء لمغول فارس

أ- استعدادات الأشرف لتحرير قلعة الروم

ب- حصار قلعة الروم وسقوطها

د- الاحتفال بنصر قلعة الروم

4- علاقة الأشرف خليل بمملكة أرمينيا الصغرى

5- علاقة الأشرف خليل بمملكة النوبة

1- علاقات الأشرف خليل مع فرنجة (الصليبيين) الساحل الشامي:-

أ- العلاقات بين دولة المماليك والفرنجة قبيل تحرير عكا:-

اتسمت أوضاع الفرنجة في البلاد الشامية قبيل تحرير عكا بالتفكك والضعف، لعدم وجود شخصية حكيمة قوية تجمع شتاتهم [1]، وكان التنافس على أشُدِّه – بين الفرق الدينية العسكرية المتمثلة في الداوية [2]، والاسبتارية [3]، والتيوتون [4] –على التجارة والسيطرة البحرية من جهة، والزعامة الدينية من جهة

---

[1] – توفيق، عمر كمال، **الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين**، 258 ؛ العبادي، أحمد، في **التاريخ الأيوبي والمملوكي**، 246.

[2] – الداوية: لفظ أطلقه المؤرخون المسلمون على جمعية فرسان المعبد Templiers، وقد أسسها هيج دي بيز عام (1119م) لحماية طريق الحجاج المسيحيين بين يافا وبيت المقدس، ثم تحولت إلى هيئة حربية دينية، فكان لهم الأثر الكبير ؛ في الحروب الصليبية. للمزيد ينظر: الصوري، وليم، **الحروب الصليبية**، ج2، 345؛ ج3، 68.

[3] – الاسبتارية: لفظ أطلقه المؤرخون المسلمون على جمعية فرسان الهسبتالين Hospitallers الذي يرجع تأسيسها إلى عام (493هـ-/1099م) على يد بلسيد جيرارد بعد استيلاء الصليبيين على بيت المقدس، وكانوا يهتمون بالحجاج والمرضى. للمزيد ينظر: الصوري، **الحروب الصليبية**، ج3، 103 ؛ سميث، رايلي، **الاسبتارية**، 322 ؛ عوض، محمد، **الحروب الصليبية**، 31 ؛ انظر بشكل تفصيلي:

Roulx **, les Archives Bibliotneoque le Tresor De lordne desaint- Jean. delawille la**.

[4] – التيوتون: فرقة ظهرت كأحد نتائج الحملة الصليبية الثالثة بعد العام (586هـ/1190م) فبعد احتلال عكا استقرت هذه الطائفة المكونة من الألمان في المدينة (عكا)، وأنشؤوا مستشفى خاصاً لرعاية المرضى والجرحى ؛ وذلك بموجب مرسوم خاص صدر من البابا، وعرف هذا المستشفى بالمستشفى الألماني. للمزيد ينظر: ؛ حسين، حسن عبد الوهاب، **تاريخ جماعة التيوتون**، 92 – 95.

king ,E.G ,Knight Hospitaleries, 305; Stewart, M.A, Auprey, **Palestine Pilgrams Text Society,** 53. Rachard, Jean, **the latin kingdom of Jerusalem**, 428.

أخرى[1]، وفي هذا الوقت حاول السلطان المنصور قلاوون الاستفراد ببعض أقطاب الفرنجة، فقام بمهاجمة بعض الحصون والقلاع الفرنجية وعقد المعاهدات مع أقطاب أخرى.

ولم تَكُن الأوضاع السياسية في أوروبا أفضل حالاً؛ إذ انشغلت انجلترا عن المشرق الفرنجي بسبب توسعات الملك إدوارد الأول (Edward I)[2] في اسكتلندا[3]، وكان الصراع الإيطالي الإسباني على صقلية [4] شديداً [5]، وبالتالي انعكست هذه النزاعات على الفرق الدينية العسكرية وعلى الفرنجة (الصليبيين) في الساحل الشامي.

هذا في وقتٍ كانت دولة المماليك قد وقعت فيه بين عدوين متحالفين (المغول في المشرق والفرنجة على الساحل الشامي) جمعهما هدف مشترك: وهو القضاء على الدولة المملوكية، وأراد السلطان المنصور قلاوون أن يستفرد بعدو واحد، فحارب المغول وهادن الفرنجة [6]، وعقد معاهدة مع إمارة

---

[1] – باركر، آرنست، **الحروب الصليبية**، 134؛

king ,E.G ,Knight Hospitaleries , 291.

[2] – هو ملك انجلترا الملقب بطويل الساقين من طول ساقيه، وهو من الأصل النورماندي، جلس على كرسي السلطنة عام (673هـ/1274م) حتى (706هـ/1307م). للمزيد ينظر: البستاني، **دائرة المعارف**، مج2، 696 – 697.

[3] رنسيمان، ستيفين، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3، 690 – 691.

[4] – صقلية: وهي جزيرة في البحر المتوسط على شكل مثلث متساوي الساقين زاويته الحادة في غرب الجزيرة وهي في الشرق من الأندلس وتحاذيها أفريقيا (تونس) من الغرب. للمزيد ينظر: ابن حوقل، **صورة الأرض** 118.

[5] – Stevensons , W.B **, The crusaders in The East**, 348.

[6] – حجة، شوكت، **علاقات بين دولة المماليك الأولى ودولة ايلخانية فارس**، 173 ؛ حسين، حسن عبد الوهاب **الهدن بين المنصور قلاوون والفرنجة في بلاد الشام (مؤتمر بلاد الشام فترة الصراع الإسلامي الفرنجي)**، 784.

طرابلس عام (680هـ/1281م)، لمدة عشر سنوات[1]، ثم انضم إليها كل من عكا وصيدا وبيروت وعثليث [2] عام (682هـ/1283م) [3]، وقد تضمنت هذه المعاهدة: السماح للسفن المصرية بالقدوم إلى موانئهم، وأن يتعهد أمراء الفرنجة بعدم إقامة تحصينات جديدة، وإعطاء الأمان لرعايا السلطان جميعهم، وفي المقابل دخول هؤلاء الفرنجة إلى الموانئ الإسلامية والإتجار بها [4].

واستطاع السلطان المنصور قلاوون أن يضمن الفرنجة إلى جانبه أثناء تمرد نائب الشام سنقر الأشقر وخروجه عليه، خاصة وأن السلطان المنصور قد خاف من إستقطاب فرنجة الساحل الشامي لهذا النائب؛ فأسرع بعقد المعاهدات معهم حتى لا تستغل هذه الإمارات حدث تمرد سنقر الأشقر لصالحها، فيزيد الوضع سوءاً على السلطان المنصور[5].

---

[1] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 210 .

Stevensons , W.B , **The crusaders in The East**, 348.

Holt , p. m , **The Age of the crusades** , 103

[2] – عثليث: اسم حصن على الساحل الشام على البحر المتوسط يعرف باسم الحصن الأحمر. للمزيد ينظر: الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، مج4، 85 ؛ البغدادي، عبد المؤمن، **مراصد الاطلاع**، مج2، 920، وهي الآن من قرى قضاء حيفا. ينظر: الدباغ، مراد، **بلادنا فلسطين**، ج1، ق1، 201.

[3] – Rachard, Jean, **the latin kingdom of Jerusalem**,428.

[4] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 34 – 42 ؛ العسقلاني المصري، **الفضل المأثور**، 161، توفيق، عمر كمال، **الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين**، 257.

[5] – حسين، حسن عبد الوهاب، **تاريخ جماعة التيوتون**، 320.

ثم تغيرت الأحوال مع المغول، حين تولى تكودار [1] (Takudar) الإيلخانية وأشهر إسلامه، إذ بعث برسالة إلى المنصور قلاوون، يريد الصلح والمهادنة [2]، وبذلك شعر المنصور بالأمان من جهة الشرق؛ فوجه نظره نحو الحصون الفرنجية التي لم تدخل في المعاهدات، وزحف نحو حصن المرقب [3] الخاضع للاسبتارية ؛ فحاصره حتى افتتحه، ودكّ أسواره عام (684هـ/1285م)[4]، وبعد انتصاره الكبير زحف نحو حصن اللاذقية عام (686هـ/1287م) وافتتحه أيضاً [5]، ثم زحف نحو إمارة طرابلس عام (688هـ/1289م) وحررها بعد أن نقضت الهدنة من قبل أهلها [6]، وبذلك أصبح تحرير عكا مرمى حجر حجر أو أدنى.

---

[1] – تكودار بن هولاكو بن جنكيز خان، ملك المغول جلس على كرسي الملك بعد موت أخيه أبغا بن هولاكو (681هـ/1282م) وعمره يومئذٍ ثلاثون عاماً، وأشهر إسلامه وتسمى أحمد، وانتشر الإسلام في تلك المناطق، وبنى المساجد وصار يتخذ الأحكام الشرعية الإسلامية حتى قام عليه ابن أخيه أرغون بن ابغا وقتله وتولى الحكم بعده. للمزيد ينظر: ابن العبري، **تاريخ الزمان**، 344 ؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، حوادث 681 – 690 هـ، 139 ؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج2، 254 – 255.

[2] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 106 ؛ العسقلاني المصري، **الفضل المأثور**، 101 ؛ الصياد، فؤاد، **الشرق الإسلامي في عهد الأيلخانيين**، 135 ؛ حسن، ريم محمود، **العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في أوائل عصر أسرة قلاوون**، 157.

[3] – ينظر وصف حصن المرقب في كتاب ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 88.

[4] – العسقلاني المصري، **الفضل المأثور**، 14 ؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، 681 690، 14.

[5] – الصفدي، **نزهة المالك والمملوك**، 163؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، حوادث 681 – 690، 14 ؛ **دول الإسلام**، ج2، 28؛ ابن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، ج3، 24.

[6] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 151 ؛ العسقلاني المصري، **الفضل المأثور**، 147 ؛ عاشور سعيد، **مصر والشام في عصر الأيوبيين والصليبيين**، 215.

وكانت عكا قبل سقوطها قد حوت مزيجاً من العناصر الفرنجية (الصليبية) المختلفة التي هربت من أنطاكية وطرابلس، وغيرهما من المدن والحصون التي استولى عليها المسلمون[1]، وشكل هذا المزيج قومون[2] عكا الذي مثل جميع الطوائف الدينية العسكرية[3].

سيطرت مملكة نابولي [4] على عكا، حتى عام (685هـ/1286م) وكان أصحابها من عائلة أنجو (Ango) [5] ،الذين ولّوا عليها نائباً اسمه أودو بواليشيان(Audo Pualishian) [6] ، في حين كانت مملكة قبرص [7] ، تحاول مدّ سيطرتها عليها خاصة أنها خضعت لبقايا عائلة لوزجنان(Lusgnan)[8]، لوزجنان(Lusgnan)[8]، أصحاب مملكة بيت المقدس اللاتينية، فأراد ملوك قبرص فرض سيطرتهم على

---

[1] – رنسيمان، ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3، 664، 670 ؛ عاشور، سعيد، **الحركة الصليبية**، ج2 1122 ؛ الزركاني، خليل، **العلاقات الاقتصادية في الحروب الصليبية (مؤتمر بلاد الشام في فترة الصراع الإسلامي الفرنجي)**، 833.

[2] – قومون: كلمة تعني عند الأوروبيين في العصور الوسطى، المدينة التي تتمتع بالاستقلال السياسي، والحكم الذاتي، وفقاً لقوانين وتنظيمات تخدم مصالح الطبقة التجارية، الخطيب، مصطفى، **معجم الألفاظ والمصطلحات المملوكية**، 357.

[3] – رنسيمان، ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3، 664، 670 ؛ عاشور، سعيد، **الحركة الصليبية**، ج2 1122.

[4] – نابولي: مدينة إيطالية كانت تحكم بذلك الوقت لعائلة دانجو _أنجو. للمزيد انظر: البستاني، **المعارف**، مج4 778.

[5] – Prawers, Joshua, **The Latinkingdom of Jerusalim**, 40, king, E.G, Knight, **Hospitaleries**, 286 – 287.

[6] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 34، (وذكر اسمه بأودو). ينظر: رنسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3، 664.

[7] – قبرص: جزيرة في بحر الروم (المتوسط). ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج4، 305.

[8] – عائلة لوزجنان: وهم من نسل ملك مملكة بيت المقدس اللاتينية بلدوين الأول (494 – 512هـ/1100 – 1118م) شقيق الملك جودفري (493 – 494هـ/1099 – 1100م) أول ملوك مملكة بيت المقدس اللاتينية. للمزيد ينظر :

Prawers , Joshua , **The Latinkingdom of Jerusalim** , 40, ؛

Holt , p. m , **The Age of the crusades** , 32 – 33.

باركر، آرنست **الحروب الصليبية**، 205 ؛ ماير، هانس، **تاريخ الحروب الصليبية**، 494.

عكا وغيرها من الحصون الشامية، كونها من حقهم الشرعي من وجهة نظرهم، وبسبب موت شارل أنجو (Sharl Ango) ملك نابولي، وغرق خليفته الملك شارل الثاني (Sharl II) في حرب صقلية، التي كان يريد انتزاعها من الأسبان [1]، وبعد المسافة بين مملكة نابولي وعكا، والأحداث المتسارعة في المشرق، كل ذلك أوجب وجود جهة قريبة تمد عكا وقت الحاجة بالإمدادات اللازمة لحرب المسلمين، الذين أصبحوا قاب قوسين أو أدنى من عكا، فوجه فرنجة عكا أنظارهم نحو هنري الثاني (Henry II) (684-690هـ/1285-1291م)[2] ملك قبرص، الذي أرسل بدوره مبعوثاً إلى عكا؛ ليجري مفاوضات حول ضم ضم عكا إلى ملكه [3]، وأعرب فرسان الاسبتارية والتيوتون عن قبولهما، ووافقت الداوية بعد تردد، بسبب العداء الذي جمع بينها وبين الملك هيو (Huyue)، والد الملك هنري الذي عمل على مصادرة الداوية في مرحلة سابقة [4].

---

[1] – رنسيمان، ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3 669.

Stevenson. **The crasadersin in The Eest** , 348; Rachard, Jean, **the latin kingdom of Jerusalem**, 421.

[2] – هو ابن الملك هيو الثالث (ت 683هـ/1284م) ملك قبرص وهو من بقايا أسرة لوزجنان الذين سمّوا أنفسهم ملوك بيت بيت مملكة المقدس اللاتينية. ينظر:

king ,E.G **,Knight Hospitaleries,**287 Prawers, Joshua , **The Latinkingdom of Jerusalim**,40.

باركر، آرنست، **الحروب الصليبية** 205 ؛ العبادي، أحمد، **في التاريخ الأيوبي والمملوكي**، 246.

[3] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 141.

[4] – رنسيمان، ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3، 659.

غير أن أودو بواليشيان (Audo Pualishian) رفض أن يتخلى عن نيابته لملك نابولي، ولقي مساندة من الكتيبة الفرنسية [1]، وتحصن في القلعة؛ وبعد طول محادثات أقنع مقدمو الطوائف الدينية العسكرية الثلاثة أودو بواليشيان (Audo Pualishian)، أن يسلم إليهم القلعة، وبالتالي أصبحت عكا تابعة لهنري الثاني (Henry II) ملك قبرص[2]، ودخلها في جمادى الأولى /حزيران من عام (685هـ/ 1286م) [3]، فاستقبله قومون عكا بفرح وسرور، غير أن هنري لم يستطع الإقامة في بلاد الشام حينئذ، بسبب الخلاف الذي كان على أشده بين فرسان الفرنجة من ناحية، وبسبب منعه من التدخل في شؤونهم من ناحية أخرى؛ هذا فضلاً عن اتصافه بالضعف والتردد[4]، لذلك أقام في قبرص مكتفياً بإرسال النجدات بين حين وآخر إلى فرنجة الساحل الشامي كلما دعت الحاجة إلى ذلك [5].

ب- العوامل التي ساعدت المماليك على تحرير عكا والساحل الشامي:-

ما إن نقضت هدنة عكا من قبل الفرنجة حتى عمد السلطان المنصور قلاوون، إلى الإستعداد والتجهيز للحرب والسير نحوها وما أن وصل في مسيره خارج القاهرة حتى فاجأه الموت[6]، ثم استلم السلطان الأشرف خليل سدة الحكم، وعمل على ضبط أمور دولته في الداخل، حتى يمكنه ذلك من

---

[1] – ذلك أن فرنسا كانت تدعم الملك شارل أنجو ضد الإسبان في صراعهم على صقلية. ينظر: رنسيمان، ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3، 664.

[2] – King ,E.G **,Knight Hospitaleries** , 278; Benvenisti, Moren**, the Crusaders in the Holy Land**,90.

[3] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 141 .

[4] – king ,E.G ,Knight Hospitaleries , 295.

[5] – رنسيمان، ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3، 667.

[6] – العسقلاني، المصري، **الفضل المأثور**، 175؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، 37.

مواصلة ما بدأه والده من السير نحو عكا[1]، ومن ذلك أحبط مؤامرة أحاكها له نائبه الأمير حسام الدين طرنطاي، وعزل بعض الأمراء والوزراء وخلع على البعض ضماناً لولائهم، ووزع الصدقات على المدارس، وأمر بتجهيز العساكر في مصر والشام والإنفاق عليها[2]، ومما يلفت نظرنا في هذا المجال أن الأشرف قام بقطع الطريق على من حاولوا التقليل من شأنه، وعمدوا إلى وصفه بصفات تصغر من أهليته لتولى السلطنه وقيادة الحرب، وهو أنه اعتمد في حملته على بعض القادة من الأمراء ذوي الخبرة العسكرية من مماليك والده، وهذا بحد ذاته يبعد عنه صفة الأنانية وعدم الدراية، وإلا لإعتمد على مماليكه عديمي الخبرة لحصار مدينة محصنة ومزدحمة بالعساكر، ومن هؤلاء القادة: عز الدين أيبك الأفرم الذي قاد حملة ضد مملكة النوبة [3]، وبلبان الطباخي [4] الذي اشترك في حروب كثيرة للسلطان المنصور قلاوون [5]، وعز الدين أيبك الحموي [6] وبدر الدين بكتاش [7].

---

1 – Abu Mustafa Ayman, **the trad Roads in Palestine During the Mumluk peiode**, 29.

2 – العيني، **عقد الجمان**، ج3، 57؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 111.

3 – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 154 ؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 82.

4 – هو سيف الدين المنصوري من مماليك المنصور قلاوون والأشرف، وكان أميراً للحصون حتى عينه الأشرف على حلب بدلاً من قرا سنقر، وتوفي عام (700هـ/ 1300م). للمزيد ينظر: الصفدي، **أعيان العصر**، 42 – 43.

5 – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 60، 80 ؛ بيبرس المنصور، **التحفة الملوكية**، 95.

6 – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 89، 95 – 97.

7 – هو بدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح منسوب إلى الأمير فخر الدين ابن الشيخ، وكان من أكابر الأمراء، توفي عام (706هـ/ 1306م). للمزيد ينظر: ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج2، 14؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج3، 385.

ومما يؤكد على شخصية الأشرف القيادية أنه أحكم سيطرته على الحملة والأمراء، وراقب كل صغيرة وكبيرة؛ حتى أنه قام باعتقال عدد من الأمراء الذين أثاروا الشك عنده وأبعدهم عن الحملة[1] كما فعل عندما أمسك – وهو يحاصر عكا– نائب صفد علاء الدين ايدغدي الألدكزي، واعتقل نائبه على دمشق الأمير حسام الدين لاجين، والأمير تقصو والد زوجته والأمير أبو خرص؛ حتى لا تتهيأ لهم الفرصة للخيانة أو الغدر به [2]. ومن خلال ما سبق يبدو أن ذلك بعطي الأشرف صفة الإنسان المتزن في تصرفاته، بعيداً عن الإستهتار الذي حاول البعض إتهامه به.

ومما سهل مهمة الأشرف خليل في تحرير مدينة عكا، حال الفرنجة داخلها ؛ انقسامهم جعل عكا قبيل التحرير عبارة عن مجموعة من الدويلات المتناقضة المصالح، بعضها يعمل باسم ملك فرنسا، والبعض الآخر باسم ملك إنجلترا والبعض الثالث باسم ملك بيت المقدس المقيم في قبرص؛ هذا إلى جانب التنافس التقليدي بين الاسبتارية والداوية، بهذا لم تستفد عكا من مناعة أسوارها أو من النجدات التي وصلت إليها من قبرص ورغم ذلك نسي هؤلاء أحقادهم وحاربوا جنباً إلى جنب [3].

---

[1] – ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر**، ج8، 308 ؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1، 230 ؛ ابن سباط، **صدق الأخبار**، ج1، 498.

[2] – ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 44؛ الذهبي، **تاريخ الاسلام**، حوادث 680 – 690، 49.

[3] – King , E. J , **The Kinghts Hospital Lers**, 293 – 294.

Prawer , Joshua **, The Latin King dom of Jerusalem**294.

إلا أن تجهيزات السلطان الأشرف خليل كانت على أكمل وجه، فقد احتوى جيشه على أسلحة امتازت بقوتها وخفتها، وأجمع المؤرخون على أن مجانيق[1] الحملة كانت متنوعة من الإفرنجي واللاعب والشيطاني والقرابغا[2]، علاوة على التحاق المهندسون والبنائون والحجارون بالعساكر المملوكية، وساهموا بشكل كبير في نقض أسوار عكا والحصون الأخرى، وانضم أيضاً المتطوعة والسوقة والجمّالين، الذين أسهموا بشكل كبير في خدمة العساكر المملوكية من السقاية، وغسل ملابس الجند على الرغم من خروج كثيراً منهم من أجل الغنائم [3].

نقض الهدنة ووفاة المنصور

عُقدت الهدنة بين أهل عكا والسلطان المنصور قلاوون في 5 ربيع الأول / 3حزيران من عام (682هـ/1283م)[4]، وناب عن الطرف الفرنجي نائب شارل أنجو (Sharl Anjo) أودو بواليشيان

---

[1] – مجانيق: مفردها منجنيق وهو آلة من خشب، لها دفتان قائمتان بينهما سهم طويل، رأسه ثقيل، وذنبه خفيف، وفيه تجعل كفة المنجنيق التي تجعل فيها الحجر يجذب حتى ترفع، سافله على أعاليه، ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذي فيه الكفة فيخرج الحجر. للمزيد ينظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج2، 142 – 144.

[2] – النويري، **نهاية الإرب**، ج31، 198 ؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1، 232 ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 5– 6؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 111.

[3] – Donald. P , the fall of Akka in 690 / 1291 from studies in Islamic **History and civilization** , 164 – 165.

[4] – ينظر نص المعاهدة في كتاب ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 34، 43 ؛ توفيق، عمر كمال، **الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية**، 273، حطيط، أحمد، **قضايا من تاريخ المماليك**، 79.

* اسبتار الأرمن هم أنفسهم جماعة التيوتون، ويبدو من كلمتي الأرمن والأمن اللتين ظهرتا في بعض المصادر العربية الإسلامية تعنيان كلمة الألمن، أي الألمان أو الجماعة الألمانية والبرجان اللذان دافعت عنهما هذه الجماعة كانا برج القديس نقولا، والبرج الملعون. للمزيد ينظر: حسين، حسن عبد الوهاب، **تاريخ جماعة التيوتون**، 326، 333.

(Audo Pualishian) والمقدم أفرير كليام ديباجوك (Afrer Kiliam Debagok)، مقدم الداوية وهو وليم دي بياجيو (William de Beyujeu)، والمقدم أفرير نيكول (Afrer Nicols)، مقدم الاسبتارية، والمارشال أفرير كورات (Afrer Korat) نائب مقدم اسبتار الأرمن* [1].

وعندما دخل هنري الثاني (Henry II) عام (685هـ/1286م) عكا تقدم إلى المنصور قلاوون بتجديد الصلح، وإبقاء الأمور كما هي عليه إبان هدنة عام (682هـ/1283م)[2] لكن الفتوحات الإسلامية لحصون ومدن الفرنجة في الشام شكلت صدمة لسكان عكا؛ خاصة سقوط إمارة طرابلس عام (688هـ/1289م) [3]، عندئذ اعتقدوا أن سقوط عكا قد أصبح أمراً واقعاً لا محالة، فارتاع أهلها رغم استعدادهم للمواجهة الحتمية.

وفي هذا الوقت كان البابا نقولا الرابع (Nicolos IV)، في إيطاليا قد قدَّم استغاثة لملوك أوروبا لحماية المشرق الفرنجي من المسلمين؛ بسبب خسارتهم عدداً من المدن والحصون، لكنه لم يجد آذاناً مُصْغِيَة من ملوكها، بسبب انشغالهم في حروبهم الداخلية [4]، غير أن البندقية صاحبة النفوذ الأقوى في عكا، وجدت نفسها في مأزق حال سقوط المدينة، مما يعطل أمورها التجارية، فتبنت رؤية البابا [5]،

---

[1] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 34 – 35.

Holt , p. m , **The Age of the crusades** , 102.

[2] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 141.

[3] – علي، محمد كرد، **خطط الشام**، ج2، 124 – 125 ؛ العريني، السيد الباز، **المغول**، 314.

Abu Mustafa Ayman, **the trad Roads in Palestine During the Mum lukpeiode**, 423- 424.

[4] – king ,E.G **,Knight Hospitaleries**, 289

Grousset , Rene **, Histoire des croisades** , 721.

رنسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3، 676 – 677 .

[5] – عاشور، سعيد، **الحركة الصليبية**، ج2، 1120 ؛ العريني، السيد الباز، **المغول**، 315.

وانضم إليها مجموعة قليلة من شمال إيطاليا وصفوا بفقرهم وتزمتهم الديني، ثم دخلت شخصيات أُخرى اتصفت بالسكر والانحلال، كانت تريد تصيد الغنيمة من وراء الحملة [1].

لم يكن البابا راضياً عنهم، لكنه قبلهم؛ لعدم وجود غيرهم، وجعلهم تحت قيادة أسقف طرابلس يوحنا جراياللي (John Garaelle)، الذي قدم إلى روما لاجئاً بعد سقوطها عام (688هـ/1289م)، وقام البنادقة بتقديم عشرين سفينة بقيادة ابن دوقهم نقولا ثيبولا (Nicolos Thebola)، وذلك بناءً على طلب البابا مدعوماً بخمس سفن من ملك أراغون جيمس الثاني (Jemes II) [2]، الذي كان قد عقد معاهدة مع الملك المنصور في 13 ربيع الآخر/ 23 نيسان من عام (689هـ/1290م) وقد أخلَّ بالعهد وساعد الفرنجة[3].

وبعد وصول الحملة إلى عكا في شعبان / آب عام (689هـ / 1290م) أثار القادمون الشغب، لأنهم كانوا في حالة من السكر والفجور؛ إضافة إلى شعورهم بالحقد والضغينة ضد المسلمين فتعرضوا لمسلمي عكا [4].

واختلفت الراويات حول نقض الهدنة حيث تذكر الرواية الأولى التي أوردها ابن أيبك الدواداري: " **أن مجموعة من الفقراء المسلمين كانوا في أحد مساجد عكا وقت صلاة الظهر فأرادوا أن يؤذنوا داخل**

---

1 – Abu Mustafa Ayman, **the trad Roads in Palestine During the Mum lukpeiode**, 424 , Trac, henry , The carscades , 268 Rachard, Jean**, the latin kingdom of Jerusalem** , 424-425.

2 – Rachard, Jean, **the latin kingdom of Jerusalem** , 424.

3 – رنسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3، 690 – 691 ؛ العريني، السيد الباز، **المغول**، 315.
ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 156 – 157.

4 – Trac, henry , **The carscades** , 269.
Rachard, Jean, **the latin kingdom of Jerusalem**, 42.

المسجد خلسة، خوفاً من الفرنجة، إلا أن أحدهم أراد أن يتحدى الفرنجة فصعد فوق المسجد، وجهر بالأذان، وسمعه الفرنجة، وكانوا من المجموعة الإيطالية المتزمتة فدخلوا المسجد وقتلوا جميع مَنْ فيه"[1]، والرواية الثانية التي يجمع عليها كثير من المؤرخين تؤكد أن الفرنجة الإيطاليين قد تعرضوا للتجار المسلمين [2] أثناء تواجدهم في عكا لبيع سلعهم، واختلط على الإيطاليين الأمر، فلم يستثنِ المسيحيون السريان من القتل لأنهم اعتبروا كل ذي لحية مسلم [3]، وفي الروايتين وجد المنصور خرقاً لشروط المعاهدة المذكورة، سواء كانت مسؤولية الخرق من قبل المسلمين أو الفرنجة، ويبدو أنَّ المنصور قلاوون كان يتحين الفرصة؛ لنقض المعاهدة على أقل من هذا للخروج نحو عكا، ولم يقبل أيَّ عذر قدمه رسل عكا، وقدم وليام بياجو (William Peaugeu) اقتراح تسليم القتلة المسؤولين عن الحادث للسلطان المنصور قلاوون لكن قوبل هذا الاقتراح بالمعارضة من الفرنجة [4]، واقترحوا تقديم اعتذارات للسلطان المنصور قلاوون في محاولة منهم لصرف نظره عن تحرير المدينة، والتمسك بالمعاهدة لكنهم فشلوا في ذلك [5].

---

[1] – ابن ايبك الدواداري، **كنز الدرر**، ج8، 301 ؛ حسين، حسن عبد الوهاب، **الهدن بين المنصور قلاوون والفرنجة في بلاد الشام (مؤتمر بلاد الشام في فترة الصراع الإسلامي الفرنجي)**، 793.

[2] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 122 ؛ العسقلاني المصري، **الفضل المأثور**، 173 ؛ أسطفان الدويهي، **تاريخ الأزمنة**، 266.

[3] – رنسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3، 692 ؛ حجازي، فايزة، **أهل الذمة في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي**، 290.

[4] – Rachard, Jean, **the latin kingdom of Jerusalem**, 42.

[5] – Holt , p. m , **The Age of the crusades**,10.

.Grousset , Rene **, Histoire des croisades** , 750.

وأعلن المنصور قلاوون النفير العام وقام بإجراءات عدة منها أنه: رسم بخروج سنقر الأشقر وجماعة من المماليك إلى جينين[1] لمراقبة عكا، وأوكلهم بمهمة إعلام المسلمين المتوجهين إليها أن الفرنجة قد نقضوا الهدنة [2] حرصاً على سلامتهم، كما وندب شمس الدين الأعسر إلى جبال بعلبك [3]، ووادي مربين في البقاع اللبناني؛ لقطع الأخشاب وتجهيز المنجنيقات [4]، ويبدو أن الأعسر ومن معه تعرضوا إلى انهيارات ثلجية أثناء عملية قطع الأشجار وجرّها، كادت أن تودي بحياتهم [5].

وبعد انتهاء الاستعدادات خرج المنصور قلاوون بنفسه على رأس العساكر المملوكية في أواخر شوال / تشرين الأول من عام (689هـ/1290م)، وخيم بمسجد التبر خارج القاهرة، إلا أنه توعك وازداد عليه المرض حتى توفي في 6 ذي القعدة/ 11 تشرين الثاني عام (689هـ/1290م) [6].

ج- استعدادات الأشرف خليل للخروج إلى عكا:-

لم يكن لوفاة السلطان قلاوون أي أثر في تبدل الموقف السياسي والعسكري للمماليك اتجاه الممتلكات الفرنجية المتبقية على الساحل الشامي، حيث أصر ابنه وخليفته السلطان الأشرف خليل على

رنسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3، 692 ؛ أبو عليان، عزمي، **مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين**، 84.

[1] – العيني، **عقد الجمان**، ج3، 55.

[2] – العيني، **عقد الجمان**، ج3، 54 – 55.

[3] – بعلبك: مدينة قديمة البناء في الشمال الغربي لدمشق، لها قلعة عظيمة ويستدير بالمدينة سور منيع. للمزيد ينظر: ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار**، 123.

[4] – ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 93 ؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1 ؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، 32. Donald. P , The fall of Akka in 690/1291from Studies in Islamic **History And Civilization** 167 – 168. نصر الله، سعدون، **رحيل الصليبيين عن الشرق في العصور الوسطى**، 131 ؛ الطراونة، طه ثلجي، **مملكة صفد في عهد المماليك**، 63.

[5] – ابن الفرات: **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 93 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 217.

[6] – العسقلاني المصري، **الفضل المأثور**، 175 ؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1، 207 – 208 ؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، 37 ؛ الدويهي، **تاريخ الأزمنة**، 266.

إتمام مشروع التحرير[1]، ثم قام بإعلان النفير العام مرة أخرى في الشام والديار المصرية، بتجهيز الجيش والزردخاناه[2] ، وإعداد المنجنيقات والنجارين والحجارين وغيرهم والاستكثار من العدد[3]، واستدعى الأمير بدر الدين بكتوت العلائي – وكان مجرداً على حمص[4] من قبل المنصور قلاوون – مع جماعة من الأمراء إلى جنين مع سنقر الأشقر[5]، وندب عز الدين أيبك الأفرم أمير جاندار [6] إلى دمشق؛ لاستكمال استعدادها [7].

وبعث سيف الدين طغريل الإيغاني إلى الحصون والممالك؛ لحثهم على الاستعجال بتحضير آلات الحصار والاستكثار منها [8] وبعث إلى نائبه في الكرك بيبرس المنصوري[1] يطلب منه تحضير مقاتليه،

---

[1] – الحروب، محمد، **دور المماليك في تصفية الوجود الصليبي من فلسطين وبلاد الشام**، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة عين شمس، 2009، 340.

[2] – الزردخاناه: كلمة من مقطعين (الزرد) وتعني الدروع، و(خاناه) وتعني بيت أي بيت الدروع. للمزيد ينظر القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، 10.

[3] – بيبرس المنصوري، **مختار الأخبار**، 91 ؛ **التحفة الملوكية**، 126 ؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 195 الذهبي، **المختار من تاريخ ابن الجزري**، 338.

[4] – حمص: مدينة تقع على الطريق الواصل بين دمشق وحلب وهي القريبة من الحدود اللبنانية السورية، ويمر بها نهر العاصي. للمزيد ينظر: شامي، يحيى، **موسوعة المدن العربية والإسلامية**، 55.

[5] – العيني، **عقد الجمان**، ج3، 55.

[6] – أمير جاندار: كلمة من مقطعين (جان)، وهي بالتركية الروح و (دار) بالفارسية مسك أي ممسك الروح، وهو المتحدث المتحدث على دخول الأمراء إلى السلطان حيث يدخل أمامهم. للمزيد ينظر: القلقشندي، **صبح الأعشى** ج4 20 ؛ ابن كنان، **حدائق الياسمين**، 130 ؛ التونجي، محمد، **المعجم الذهبي**، 199.

[7] – بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**، 278 ؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1، 222 ؛ ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 42.

[8] – بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**، 278 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 223 ؛

Donald. P , The fall of Akka in 690/1291from Studies in Islamic **History And Civilization** , 168.

مقاتليه، و تجهيز الآلات والحجارين والنجارين، وما إن جهز نفسه النائب حتى توجه صوب غزة ليجتمع بعساكر السلطان الأشرف [2].

وفي دمشق استعد الناس للمشاركة في تجهيز السلاح وصنع المنجنيقات [3]، وبعد الانتهاء من تجهيزها، اشتركت العامة من القضاة والمدرِّسين والقراء في جرِّها إلى الجسورة[4]، وكانت أول كتيبة خرجت بقيادة الأمير علم الدين الدواداري[5]، ثم إن قوات حصون المرقب، والأكراد [6]، وعكّار[7]، وطرابلس بقيادة بلبان الطباخي، قد زحفت نحو دمشق بالتزامن مع قوات حماة [8]، بقيادة صاحب حماة

---

[1] – هو الأمير ركن الدين بن عبد الله المنصوري الحاجب، كان من مماليك الملك المنصور قلاوون، تولى الكرك في عهد الأشرف، ثم عزل وولي الحجوبية في عهد الناصر. للمزيد ينظر: ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج2، 14 ؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج3، 474 – 475.

[2] – بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**، 278.

[3] – البرزالي، **المقتفي**، ج1، 222 ؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، 37 – 38 ؛ ابن النحاس، **مشارع الأشواق**، 949؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 56.

[4] – الجسورة: يبدو أنها إحدى ضواحي دمشق، لم أجد معلومات عنها.

[5] – هو سنجر بن عبد الله الدواداري الناصري كان من أعيان أمراء الملك المنصور قلاوون، ثم ولد الأشرف خليل، مات من جرح أصابه خارج حلب سنة (697هـ/1298م). ينظر: ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 42؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1، 223 – 224 ؛ ابن تغري بردي، **الدليل الشافي**، ج1، 345 ؛ 43.

[6] – حصن الأكراد: هو حصن منيع على الجبل الذي يقابل حمص من جهة الغرب. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان** مج2، 264.

[7] – حصن عكار: حصن قريب من مدينة طرابلس. للمزيد ينظر: **القلقشندي**، ج4، 235.

[8] – حماة: مدينة بين حمص وحلب وهي لبقايا ملوك بني أيوب. للمزيد ينظر: ابن حوقل، **صورة الأرض**، 176 ؛ ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار**، 66.

الملك المظفر ابن المنصور [1] (683 – 698هـ / 1284 – 1299م)، واشترك المؤرخ أبو الفداء في الحملة، وكان آنذاك أمير عشرة [2]، وتحدث عن الرحلة ما بين حصن الأكراد وعكا حيث شارك في جر العرادة [3]، التي عرفت بالمنصورة؛ وقد قاسى أبو الفداء مع بقية أفراد جيش حماة البرد والأمطار وموت الثيران التي تجر العرادة، وغوصها في الطين وكانوا قد عملوا على تفكيكها، وجرها قطعاً على عجلات يفوق عددها المائة، وفرقت على العسكر الحموي حتى يستطيعوا جرها، وكان نصيب أبي الفداء عجلة واحدة كونه كان حينذاك أمير عشرة، واستغرقت الرحلة بين حصن الأكراد وعكا شهراً كاملاً، في حين كانت تستغرق في الأحوال العادية ثمانية أيام للفارس [4]، وفي دمشق اجتمعت العساكر الحموية بآخر الكتائب المملوكية، وخرجت معاً بقيادة النائب حسام الدين لاجين نحو مدينة عكا[5]، وفي البحر عمل المسلمون على تحضير الشواني في مدينة اللاذقية* [6].

---

[1] – هو تقي الدين محمود، ابن السلطان الملك المنصور ناصر الدين بن محمد بن الملك تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب استلم حماة بعد وفاة أبيه (683هـ / 1284م) وتوفي عام (698هـ/ 1299م). للمزيد ينظر: أبو الفدا، **المختصر في اخبار البشر**، ج4، 53؛ ابن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، مج4، 12 – 13.

[2] – أمير عشرة: هو الأمير على عشرة فرسان. انظر: كنان، **حدائق الياسمين**، 108.

[3] – عرادة: آلة أصغر من المنجنيق تقذف الحجارة على مسافات طويلة ويرمى بها النفط المشتعل اتجاه الأعداء. ينظر: عدوان، أحمد محمد، **العسكرية الإسلامية في العصر المملوكي**، 63.

[4] – أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج4، 34 ؛ ابن الوردي، **تتمة المختصر في أخبار البشر**، ج2، 336 ؛ ابن سباط، **صدق الأخبار**، ج1، 495 ؛ الدويهي، **تاريخ الأزمنة**، 267.

[5] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 196 ؛ ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 42.

* اللاذقية: أكبر المدن السورية الواقعة على ساحل المتوسط، وبها يمر الطريق الساحلي، الذي يصل الساحل السوري الحدود اللبنانية جنوباً، وبالحدود التركية شمالاً. للمزيد ينظر: شامي، يحيى، **سورية المدن العربية الإسلامية**، 63.

[6] – الذهبي، **تاريخ الإسلام**، حوادث 681 – 690، 50.

أما في مصر فبدأت أولى التجهيزات من قبل السلطان الأشرف خليل، حيث عمد إلى تجهيز الجيش والإنفاق عليه لاستكمال العدد والملابس له [1]، وقام بتجهيز الشواني واستعراضها وتجهيز المنجنيقات والمدافع، وما تحتاج من نفط وملح وغيره، وكان عددها حوالي 60 شونة [2]،واشترك في الحملة عدد كبير من السوقة والحرافيش [3] والجمالين والسقائيين [4]، الذين اختصوا لخدمة الجيش، ونزل ونزل الأشرف إلى تربة والده، وتصدق بالأموال والثياب على القراء والفقراء والمساكين [5] محاولاً شحذ الهمم وجمع الكلمة. ثم في 3 ربيع الأول / 4 آذار عام (689هـ / 1290م)[6]، اجتمع بعساكر الكرك في في غزة بقيادة بيبرس المنصوري، واستمر في سيره مع العساكر حتى وصل عكا في 4 ربيع الآخر / 5 نيسان من العام نفسه، إذا استغرق مسير العساكر شهراً كاملاً [7] .

---

[1] – ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر**، ج8، 352 ؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج1، 368.

[2] – ماهر، سعاد، **البحرية في مصر**، 117.

[3] – الحرافيش: لفظ أطلق في العصر المملوكي على ما يعرف بالعيّارين والشّطار والزُّعار أو العياق، ويشمل هذا المصطلح الطبقة الدنيا من المجتمع الإسلامي، وكانت تنتشر في الأسواق والحمامات وأكثرهم من الشحاذين والمعوقين والمصابين ببعض العاهات، وتميزوا بألبستهم الرثة، وتظهر هذه الفئة بشكل فعال في الحروب والفتن فتنظم نفسها ويقاتلون عراة وفي أوساطهم المأزر. للمزيد ينظر: السبكي، **معيد النعم ومبيد النقم**، 147 – 148 ؛ الخطيب، مصطفى، **معجم المصلحات والألقاب التاريخية**، 141 ؛ الوقاد، محاسن، **الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية**، 162– 163.

[4] – السقاؤون: كانوا يقومون بنقل المياه وتوزيعها على أحياء القاهرة وغيرها من المدن بواسطة الجمال. للمزيد ينظر: رزق، رزق، علاء طه، **عامة القاهرة في عصر سلاطين المماليك**، 98 ؛ قاسم، عبد قاسم، **دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي**، 130.

[5] – ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 111؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 19.

[6] – ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 43؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1، 225 ؛ الذهبي، **المختار في تاريخ ابن الجزري**، 338 ؛ المقريزي، **المقفى الكبير**، ج3، 795.

[7] – ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 43 ؛ ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر**، ج8، 308 ؛ المقريزي، **المقفى الكبير**، ج3 795.

وكانت قوات الشام تقف حول أسوار عكا، وقد ورد في بعض المصادر أنه اجتمع عليها حوالي 160 ألف مقاتل و60 ألف راجل، منهم المتطوعة والسقاؤون والجمالون والسوقة وقيل إنَّ المتطوعة كانوا أكثر من الجند [1].

وفي اليوم التالي لوصول الأشرف وصلت عدد الحصار، وتمّ نصبها في 4 أيام وقدر عدد المنجنيقات على أنها 72 منجنيقاً [2] بينما قدرها البعض الآخر بأنها 92 [3]. وكانت هذه المنجنيقات متنوعة ما بين قرابغا وشيطانية، بلغ عددها خمسة عشر منجنيقاً، غير الإفرنجي والمنصوري [4]، وكان هناك عرادة عرفت باسم الغاضبة، وميزتها أنها أخف وزناً من البقية ولكنَّها من طراز بالغ القوة والتأثير [5]. لذلك اتصف الجيش الإسلامي بالضخامة، وإننا لا نجد استغراباً من هذه الأرقام لأكثر من سبب:

أولاً: في تلك الفترة أي قبيل معركة عكا، خاض المسلمون أكثر من معركة ضد الفرنجة والمغول والأرمن [6]، فمن الطبيعي أنْ يهتموا بجمع السلاح وآلات الحصار والاستكثار منها لمواجهة الخطر الفرنجي [1].

---

[1] – ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج5، 272

Grousset, Rene, **Histoire des croisadec**, 752 Benvenisti, Moren, **the Crusaders in the Holy Land**, 91.=

[2] – ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 45 ؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، حوادث 681 – 690 هـ، 44 ؛ **المختار من تاريخ ابن الجزري**، 338.

[3] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 188 ؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 111؛ المقريزي، **السلوك**، ج1، 223؛ **الخطط**، ج3، 94.

[4] – ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج5، 272.

[5] – رنسيمان، ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3، 695.

[6] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 27، 28 ؛ بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 113 118 – 120.

ثانياً: شمل الجيش الإسلامي عناصر من القبائل العربية الشامية، وعناصر من الأكراد والتركمان والشركس [2]، وانعكس هذا الأمر على قوة الجيش الإسلامي بحيث كانت العساكر متنوعة من جميع النواحي.

ثالثاً: إن استعداد المماليك لتحرير عكا أخذ زمناً طويلاً؛ فمنذ نقض الهدنة مروراً بوفاة المنصور قلاوون وتولي السلطان الأشرف خليل السلطنة كانت فترة طويلة من شوال/ تشرين الثاني عام (689هـ/ 1290م) [3]، إلى ربيع الأول / آذار من عام (690هـ/ 1291م) [4] حوالي خمسة شهور، هي فترة تمكن فيها المماليك من تجهيز عساكرهم على أكمل وجه للمعركة الحاسمة.

وبوصول العساكر إلى عكا انقسمت إلى ميمنة يقودها صاحب حماة الملك المظفر بن المنصور في شمال المدينة، وكان البحر على يمينهم [5]، وميسرة بقيادة الأمير بدر الدين بكتاش رابطت في

---

[1] – البرزالي، **المقتفي**، ج1، 222 ؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، 37 – 38.

[2] – ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج 8، 5.

[3] – العسقلاني المصري، **الفضل المأثور**، 175 ؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1، 207 – 208 ؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، 37 ؛ الدويهي، **تاريخ الأزمنة**، 266.

[4] – ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 43 ؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1، 225 ؛ الذهبي، **المختار من تاريخ ابن الجزري**، 338 ؛ المقريزي، **المقفى الكبير**، ج3، 795.

[5] – ابن المغيزل، **ذيل مفرج الكروب**، 141؛ أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج4، 34 ؛ ابن الوردي، **تتمة المختصر في أخبار البشر**، ج2، 336 ؛ ابن سباط، **صدق الأخبار**، ج1، 495 .

الجنوب الغربي لخليج عكا [1]، أمَّا بقية العساكر فكانت تنتشر في الوسط بين الميمنة والميسرة، ونصب الأشرف دهليزه [2] قبالة برج المندوب البابوي [3].

د – استعدادات الفرنجة (الصليبيين):-

منذ أن عدّ المنصور حادثة التعرض للتجار المسلمين نقضاً للهدنة، شعر فرنجة عكا بالخوف والارتباك، فاستنجدوا بالغرب الأوروبي وقبرص، التي لبى ملكها الدعوة بسرعة عندما أرسل قوة من الفرسان قدرت بـ 200 فارس و 500 من المشاة [4]، وسوى ذلك استعد أهالي عكا من النساء والشيوخ وغيرهم للنجاة بأنفسهم والهروب منها – عكا – من خلال السفن التي جاءت بها القوة العسكرية وعلى رأسها سفينة الملك هنري الثاني (Henry II)[5]، ووصلت في تلك الاثناء مجموعة أخرى من الفرسان أرسلها ملك إنجلترا إدوارد الأول (Edward I) [6].

حاول فرنجة عكا إقناع السلطان المنصور قلاوون بعدم مسؤولية أهل عكا عن الحادث، كون المسؤولين عن الحادث ممن كانوا مسؤولين عن الحملة الأخيرة التي قدمت من البندقية وقد اتصفوا بالسكر والعربدة، وحاول فرنجة عكا تبرير موقفهم للسلطان المنصور قلاوون فبعثوا برسولين يطلبان من

---

[1] – رنسيمان، ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3، 698.

[2] – دهليز: لفظ فارسي بمعنى: معبر ما بين الباب والدار ودخل العربية خلال العصور الوسطى وهنا يعني خيمة السلطان. ينظر: الخطيب، مصطفى، **معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية**، 86.

[3] – رنسيمان، ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3، 698.

[4] – بيبرس المنصوري، **مختار الأخبار**، 91 ؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام، حوادث** 681 – 690هـ، 45 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 223 ؛ زقلمة، أنور، **المماليك في مصر**، 87.

[5] – king ,E.G **,Knight Hospitaleries** , 294 .

[6] – رنسيمان، ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3 ؛ العريني، السيد الباز، **المغول**، 316.

Addison, ud charlest, **the knights Templars**,187.

السلطان التمسك بالمعاهدة، ولم يعطِ السلطان المنصور قلاوون اهتماما بهذه السفارة فعاد الرسولان خائبين[1] وتمسك بالحل العسكري. حتى جاء خبر وفاة السلطان المنصور قلاوون ليريحهم قليلا بأن الحملة نحو عكا ستنتهي بوفاته[2]، لكن فرحتهم لم تستمر طويلاً، حين علموا أن خليفته السلطان الأشرف خليل بن قلاوون سيكمل ما بدأه والده، وبعثوا سفارة جديدة للسلطان الأشرف خليل لعلهم ينجحوا في تجديد المعاهدة، وكان السلطان الأشرف حازماً وصارماً فلم يذعن لمطلبهم[3]، وتم اعتقال رسل الفرنجة[4]، وفي الوقت نفسه عمد الفرنجة إلى تحصين المدينة، واستكمال استعداداتهم منتظرين قدوم الأشرف وعساكره، إذ أمر الملك هنري الثاني (Henry II) بتحصين الأبراج والأسوار[5].

وحشدت الفرق الدينية العسكرية كالداوية والاسبتارية والتيوتون الرجال المنضويين تحت لوائها [6] وتم وتم تجنيد كل شخص قادر على حمل السلاح من سكان عكا؛ إضافة إلى المقاتلين الهاربين من المدن والحصون التي تم تحريرها قبيل حصار عكا من المرقب، واللاذقية، وطرابلس وغيرها، وبذلك قدر عدد من احتشد بداخل مدينة عكا من الفرنجة ما بين 30 – 40 ألف منهم 14 – 18 ألف مقاتل من المشاة،

---

[1] – العسقلاني، المصري، **الفضل المأثور**، 173.

[2] – عاشور، سعيد، **الحركة الصليبية**، 1123 ؛ حسين، حسن عبد الوهاب، **تاريخ جماعة التيوتون**، 331.

[3] – المقريزي، **السلوك**، ج2، 222.

[4] – وتم اطلاق الرسل بعد تحرير المدينة. ينظر: الذهبي، **تاريخ الإسلام، حوادث** 681 – 690، 56.

[5] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 126 ؛ عاشور، سعيد، **مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك** 218.

[6] – بيبرس المنصوري، **مختار الأخبار**، 91؛ **زبدة الفكرة**، 279؛ حسن، ريم محمود، **العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في أوائل أسرة قلاوون**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، 2006، 168.

king ,E.G ,**Knight Hospitaleries** , 291.

وحوالي 700 – 800 فارس[1]، وتمَّ إعداد مجلس دائم للحرب ممثل من جميع الفرق الدينية العسكرية، وضم أكبر الشخصيات وأكثرهم خبرة، وفي مقدمة هؤلاء ويليم بياجيو(William de biajeio) مقدم فرسان الداوية، وماثيو دي كليرمونت (Mathew de cler mont) مقدم الاسبتارية[2].

وكانت مدينة عكا قبل الحصار محصنة بسورين: داخلي وخارجي وتقوم عليهما أربعة أبواب[3]، وضم السوران اثني عشر برجاً على أبعاد متساوية، على امتداد السورين[4] وكان منها: البرج الإنجليزي الذي شيده إدوارد الأول (Edward I)، وبرج كونتيسة بلوا (Kontesa balwa)، ثم البرج الملعون[5] على السور الداخلي، وقد عُمِّر قبيل التحرير على نفقة الحجاج الزائرين بفترة وجيزة، إضافة إلى ما صرفه البابا نقولا الرابع على تحصينات المدينة والمعدات الحربية[6]، وقبالة برج هنري برج والده الملك هيو الثالث (683هـ/1284م)[1].

---

[1] – king ,E.G ,**Knight Hospitaleries**, 293, Grousset , Rene , **Histoire des croisadec** 750
Stevenson **, The crasadersin in The Eest ,** 253

رنسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3، 697.

[2] – King ,E.G **,Knight Hospitaleries** , 293

[3] – ماير، هانس، **تاريخ الحروب الصليبية**، 496. king ,E.G **,Knight Hospitaleries** , 281.
Benvenisti, Moren**, the Crusaders in the Holy Land,**94

[4] – ينظر: ملحق رقم (1).

[5] – البرج الملعون: أو البرج اللعين (البغيض)، ويقع إلى الشمال الشرقي من مدينة عكا، ويلتقي عنده سوران ضخمان وهو وهو مشهور من الحصار الذي تم عام (586–587هـ/ 1190 – 1191م)، ويبدو من تسميته بالملعون أنه كان عصياً على الفرنجة في ذلك الحصار. للمزيد ينظر:
Benvenisti, Moren, **the Crusaders in the Holy Land,** 91.
الصوافي، طالب، **القلاع والحصون في شمال فلسطين في فترة صراع الفرنج الإسلامي**، 197.

[6] – Rachard, Jean, **the latin kingdom of Jerusalem**, 423
423

واجتمعت قوات قبرص بقيادة هنري الثاني(Henry II)، وكان قد جاء متأخراً مع أخيه أملريك (Amlareek) وتحصنا في برج هيو الثالث (Huyue III) وبرج الملك هنري الثاني (Henry II)، بينما وقف على يمينهم الفرسان الفرنسيون والإنجليز، ثم تلتهم قوات البنادقة والبيازنة، فضلاً عن جند قومون عكا، أما على يسار الملك هنري (Henry II)، فتحصنت قوات الاسبتارية والداوية في أبراجهم[2] وتمركزت الداوية في أقصى شمال المدينة مقابل عساكر نيابة حماة [3]، في حين وقف التيوتون معززين الكتيبة الملكية عند البرج الملعون[4] وبرج القديس نقولا (Nicolos) الذي كان المقر الرئيسي للجماعة – التيوتون – [5]، في حين لم يشترك الجنويون في الدفاع عن المدينة بسبب حرصهم على عدم نقض المعاهدة التي أبرمت مع السلطان المنصور قلاوون عام (688هـ/1289م)[6].

هـ – حصار مدينة عكا:–

بدأ حصار عكا في 3 ربيع الآخر/ 5 نيسان من عام (690هـ/ 1291م) [7]، وصارت منجنيقات السلطان تقذف يومياً الأحجار الضخمة أو القوارير[1] الممتلئة بالنفط على أسوار المدينة[2]، وأُمطرت

Addison, ud charlest, **the knights Templars**, 184

[1] –رنسيمان، ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3، 397.

[2] – المرجع نفسه، 397 – 398.

[3] – أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج4، 34.

[4] – Grousset**, Rene Histoire des croisades** , 757

رنسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3، 698 ؛ حسين، حسن عبد الوهاب، **تاريخ جماعة التيوتون**، 332.

[5] – رنسيمان، ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3، 698 ؛ حسين، حسن عبد الوهاب، **تاريخ جماعة التيوتون**، 332.

[6] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 166.

[7] – **كنز الدرر**، ج8، 308 ؛ ابن الجزري ؛ **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 45 ؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات** ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 223.

المدينة بالسهام على المدافعين الذين تحصنوا بالأبراج، وعمد المهندسون والنقابون والحجارون، إلى البحث عن ثغرات في أسوارها، منذ الأيام الأوائل للحصار [3]، ومنذ البداية عمد الفرنجة إلى جر المسلمين، لحرب واحدة ومفصلية، فأبقوا الأبواب مفتوحة [4]، وقاموا بحراستها، وخرج فرسانهم يطلبون المسلمين للقتال [5]، وفي المقابل خرج بضع فرسان من المسلمين لمجابهتهم وأفشلوا محاولات استدراجهم، وبذلك لم يظهر المسلمون أي قوة في بداية الحصار، وتجلدوا بالصبر والثبات، مع قصف المدينة والبحث عن ثغرات في الأسوار، وهذا ما علق عليه ابن منكلي فقال: " **ينبغي للمقاتلة إذا حاصروا قلعة أن لا يظهروا قوة ولا معرفة بالقتال عند ابتداء الحصار، بل يُظهرون كل يوم شيئاً مستغرباً** " [6] حتى يقنع العدو بقوة خصومهم.

---

[1] – القوارير: وهي أواني مصنوعة من الصلصال يُجعل فيها النفط ويرمى بها على الحصون والقلاع لإحراقها. للمزيد ينظر: ابن فضل الله العمري، **التعريف بالمصطلح الشريف**، 273 ؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج2، 145.

[2] – بيبرس المنصوري، **مختار الأخبار**، 91 ؛ اليافعي، **مرآة الجنان**، ج4، 209 ؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 112 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 223 ؛ الدجاني، هادية وآخرون، **الصراع الإسلامي الفرنجي على فلسطين**، 559.

[3] – رنسيمان، ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3، 701.

[4] – أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج4، 34 ؛ بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 126.

Holt , p. m , **The Age of the crusades** , 104.

[5] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 126 ؛ أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج4، 34 ؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 198.

[6] – **الأدلة الرسمية في التعابي الحربية**، 216 – 217.

وبعد أن فقد الفرنجة الأمل في استدراج المسلمين لمعركة مفتوحة، أغلقوا الأبواب، وتحصنوا بالأسوار، واستخدموا أسلوباً آخر في القتال تمثل في المثل السوقي القائل: "**أن خير وسيلة للدفاع الهجوم**"؛ بخوض حملات ليلية على العساكر المملوكية، وهم نيام بأسلوب الكرِّ والفرِّ [1].

وقد تحصن مقابل ميمنة العساكر المملوكية فرسان الداوية الذين تحصنوا في برجهم بعزم وشدة يدافعون عنه، وكان الداوية قد سيروا في البحر سفينة مبطنة بجلد الجواميس [2]، حتى لا يحدث خرقٌ في السفينة من سهام المسلمين فتغرق، وكانت تحمل عرادة (مدفعية) ضخمة تقصف ميمنة العساكر المملوكية ليلاً ونهاراً، حتى جاءت ريح عاصفة في إحدى الليالي، فانكسرت هذه العرادة [3]، وفي الوقت نَفْسِهِ تكرر سؤال الفرنجة للأشرف بالصلح والتخلي عن الحصار مقابل تقديم الجزية، وفي العادة كان الأشرف خليل يبادر الرسل بقوله: "**لا صلح عندنا إلا أن تسلموا الحصن بأمان** " فيرجعوا خائبين[4].

وفي رواية أوردها البدر العيني (ت 855هـ/1451م) أنَّ الأشرف أُحْبِط من جراء شدة مقاومة الفرنجة للحصار وأنه أراد الصلح في تلك اللحظة وترك المدينة، غير أنَّ الجمالينَ والسوقة والحرافيش صاحوا بمواصلة الحصار فآثر المواصلة [5]، وبصدد هذه الرواية إننا نجد فيها مبالغة وبعدا عن المنطق، المنطق، والقصد منها إظهار السلطان الأشرف خليل بمظهر المحبط والمتخاذل، ويبدو أن موقف الأشرف خليل كان غير ذلك، فهل من المعقول أن يناقش السلطان الأشرف أمراً عسكرياً وقراراً حاسماً

---

[1] – رنسيمان، ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3، 702.

[2] – أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج4، 34؛ Holt , p. m , **The Age of the crusades** ,104

[3] – أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج4، 34 ؛ ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج1، 137.

[4] – العيني، **عقد الجمان**، ج3، 62 ؛ عاشور، **العصر المماليكي في مصر والشام**، 75.

[5] – العيني، **عقد الجمان**، ج3، 61.

كهذا مع السُّوقة والجمالين ؟ أم أنَّ لديه مجلساً من كبار الأمراء والفرسان المماليك ذوي الخبرة ؟ وهل من الممكن أن يفقد الأشرف خليل هيبته، أمام خصومه في التجربة الأولى له ؟ إذاً فمن غير المقنع، أن يضع الأشرف خليل نفسه في موقف يخسر فيه أمام الفرنجة وأمام خصومه، وأمام المماليك كافة؛ ومن جهة أخرى اتفق بعض المؤرخين، ومنهم البدر العيني أن الأشرف كان ذا هيبة وجسارة [1]، وتركه حصار عكا ينافي هذه الصفة التي ذكرها؛ هذا إلى جانب أن البدر العيني توفي عام (855هـ/1451م)، وبالتالي لم يكن شاهد عيان للحدث، ولم تزودنا المصادر القريبة والمعروفة بمعلومات أخرى عن هذه الرواية.

وفي وقت شدد فيه المماليك الحصار، استمات فرسان الفرق العسكرية المختلفة أكثر من ذي قبل في الدفاع عن عكا، مما أدى إلى قتل كثير منهم، وقام سكان المدينة بإغاثة الجرحى ودفن القتلى وكان لأخوات الاسبتارية الدور البارز في عمليات الإغاثة [2].

وعندما كثف المماليك قصف المدينة بالمنجنيقات، أخذت مقاومة المدينة تنهار شيئاً فشيئاً، وأبراجها تتهاوى واحداً تلو الآخر[3]، فتم تقويض البرج الإنجليزي وبرج الكونتيسة بلوا (Kontesa balwa)، أما برج هيو (huyue) ؛ فبعد أن وجد الفرسان أنَّه غير قادر على الصمود، أخلوه وأشعلوا النار فيه،وتركوه ينهار مع الأسوار القائمة عند باب القديس أنطوان (Antwan)، وبرج القديس نقولا (Nicolos) [4]، لكن عزيمة الفرنجة لم تتوقف، إذ أخذوا يخرجون من المدينة ويباغتون المسلمين وهم نيام، وقيل: إن أحد

---

[1] – العيني، **عقد الجمان**، ج3، 207 – 208.

[2] – king ,E.G ,**Knight Hospitaleries** , 293

[3] – Rachard, Jean, **the latin kingdom of Jerusalem**, 428.

الدويهي، **تاريخ الأزمنة**، 267 ؛ ابن خلدون، **تاريخ العبر**، مج10، 870.

[4] – رنسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3، 703.

قاطني مدينة عكا من المسلمين قد رمى ورقة مربوطة بنصل سهم من أسوار عكا، يحذر فيها الأشرف من مباغتة ليلية خطط لها فرسان الفرنجة، وفي تلك الليلة قام الفرنجة بمباغتة ميمنة العساكر المملوكية، وكان قائد الميمنة صاحب حماة الملك المظفر بن المنصور قد أخرج المسلمين من الخيام، ونصب للفرنجة كميناً في حال عودتهم، ووضع فرقة أخرى من المسلمون حول الخيام تختبئ في جنح الظلام، فلما هاجم الفرنجة المعسكر المملوكي وجدوا الخيام فارغة، فقام المسلمين بالإغارة عليهم وقتلوا العديد منهم، وفي طريق العودة تنبه الفرنجة للكمين، فغيروا طريقهم، وفشلت مساعي صاحب حماة في القضاء على المباغتين الفرنج، إلا أنَّه أوقع في صفوفهم كثيراً من الخسائر[1].

و- سقوط مدينة عكا:-

دام حصار المسلمين لمدينة عكا مدة أربعةٍ وأربعينَ يوماً [2]، ويظهر أن ذلك يعود إلى شدة المقاومة داخلها، وقوة حصانتها، وتمتع فرسانها بالشجاعة والوحدة، رغم ما كان بينهم من خلاف.

ويتحدث المؤرخ بيبرس المنصوري كشاهد عيان عن جهده الشخصي في الحملة فيقول إنه وجد ثغرة في السور الخارجي بسبب نقب المنجنيقات له، عمد إلى توسيعها، وردم الخندق بين السورين حتى يستطيع إيجاد فتحة في السور الداخلي، تكون ممراً للعساكر المملوكية داخل مدينة عكا، وبعد استشارة السلطان الأشرف، نشط ومن معه في الليل إلى وضع لباد بين السورين، كغطاء حتى لا يراه الفرنجة من على الأبراج، وقاموا في الصباح بتوسيع الثغرة بالمعاول، إلا أنَّ الفرنجة رأوهم وقصفوهم بالحجارة لكنهم

---

[1] – أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج4، 35 ؛ ابن سباط، **صدق الأخبار**، ج1، 496.

[2] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 199 ؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 112 ؛ المقريزي، **السلوك** ج2، 224.

فشلوا في إصابتهم، وبذلك نجحت العساكر المملوكية في الدخول لعكا [1]، بعد أن أمر السلطان الأشرف بشَنّ هجوم كبير نحوها، كان من نتائجه فتح الأبواب، ثم اندفعت العساكر المملوكية نحو البرج الملعون وكتيبة الملك هنري الثاني (Henry II) [2]، وكان ذلك يوم الجمعة 17 جمادى الأول/ 18 أيار من عام (690هـ/ 1291م) وضربت الكوسات [3] مرة واحدة، فهزمت كتيبة الملك هنري و سقط البرج الملعون، بعد أن تخلى عنه مدافعوه؛ بسبب انتشار خبر مقتل قائده ويليم بياجو (William de Peagou) فتركوه وراءهم، واستطاع المماليك أن يضعوا السلالم على الجدار دون إعاقة لاقتحامه[4]، وكان ذلك مقدمة لانهيار مقاومة المدينة، وسقوطها قبل أنْ تعلو شمس ذلك النهار[5].

وانتشرت الفوضى بين الفرنجة وازدحموا على الميناء لمغادرة المدينة [6]، ومنهم الملك هنري الثاني (Henry II) وأخوه أملريك (Amlrek) تاركين الفرسان لمصيرهم[1]، وتزاحم الناس في القوارب [2]

---

[1] – **التحفة الملوكية**، 127 ؛ **زبدة الفكرة**، 274 ؛

Donald. P , The fall of Akka in 690/1291from Studies in Islamic **History And Civilization** , 170.

[2] – Grousset , Rene **, Histoire des croisadec** , 750.

[3] – الكوسات: الطبول وتفسير بعضهم صنوج من نحاس يشبه الترس الصغير يضرب بأحذها الآخر ؛ دهمان، أحمد، **معجم المصطلحات المملوكية**، 132.

[4] – Rachard, Jean, **the latin kingdom of Jerusalem**, 428.

[5] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 127 ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 8 ؛

Grousset , Rene , **Histoire des croisadec**, 765; Stewart, M.A, Auprey, **Palestine Pilgrams Text Society**,57.

[6] – الذهبي، **المختار من تاريخ ابن الجزري**، 338 ؛ ابن الوردي، **تتمة المختصر في أخبار البشر**، ج2، 336 ؛ المقريزي، **السلوك** ج2، 223 ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 6.

Rachard, Jean, **the latin kingdom of Jerusalem**, 428

وبالرغم من وفرتها إلا أن المياه الضحلة منعت دخول السفن الكبيرة، وبسبب الأعداد الهائلة تعرض كثير من الهاربين للغرق[3]، فكانت تقف على مسافة من الشاطئ، وتنقل الركاب من قارب إلى آخر للوصول إلى السفن الكبيرة، وطمع التجار وأصحاب القوارب في أخذ الأموال، مقابل ترحيل السكان عن المدينة المنكوبة [4]،بينما وقف ماثيو دي كلير مونت (Mathew Cler de mont) وبعض الفرسان على مقربة من الشاطئ لإعاقة وصول المماليك وكسب الوقت ليصل أكبر عدد من السكان [5].

وصمد فرسان الداوية والاسبتارية والتيوتون في أربعة أبراج شواهق وسط مدينة عكا وهي برجا الداوية والاسبتارية وبرجا اسبتار الأرمن – التيوتون – [6]، وازدحمت هذه الأبراج بالفرسان والمدنيين من النساء والأطفال والشيوخ هرباً من وجه المقاتلين المسلمين الذين سيطروا على المدينة، وفي اليوم التالي طلب فرسان الداوية الأمان فأمنهم السلطان الأشرف مقابل إخراج الناس من البرج والتسليم ووضع سناجقه

---

1 – king ,E.G **,Knight Hospitaleries** , 295

2 – العيني، **عقد الجمان**، ج3، 58 ؛ رنسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3، 706

Addison, ud charlest, **the knights Templars**,189

3 – Rachard, Jean**, the latin kingdom of Jerusalem**, 428

Benvenisti, Moren, **the Crusaders in the Holy Land**, 92.

4 – رنسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3، 706.

king ,E.G **,Knight Hospitalerie**, 295

5 – Rachard, Jean, **the latin kingdom of Jerusalem**, 428

6 – الذهبي، **دول الإسلام**، ج2، 213 ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 7.

[1] على أعلى البرج، ووُكِّلت المهمة لخمسة أمراء من المماليك، وما أن دخلوا برج الداوية حتى أغلق الفرنجة الأبواب، وقاموا بقتل الأمراء الخمسة، وإلقائهم من أعلى البرج[2]؛ واعتصم الداوية بالبرج مرة أخرى، ثم قام الأشرف بحصار البرج والتشديد عليه مرة أخرى في اللحظة التي قام فيها أصحاب أبراج الاسبتارية والتيوتون بالتسليم للأشرف على يد الأمير كتبغا [3]، وعندما رأى فرسان الداوية ذلك، طلبوا الأمان مرة أخرى فأُمنوا، ثم عزل النساء والأطفال عن الرجال، وقتل الرجال لغدرهم بالأمراء في البرج [4]، وقد استمر تحرير الأبراج واحدا تلو الآخر مدة اثني عشر يوما بعد سقوط عكا[5].

أما عن سبب قتل الأمراء الخمسة وإلقائهم من برج الداوية فقيل: إنَّ هؤلاء الأمراء تعرضوا للأطفال والنساء، وأصبحوا يريدون الغنيمة، وبصدد البحث عن حقيقة هذه الحادثة يمكن القول أنها قد تكون ملفقة من الفرنجة لتبرير فعلتهم، ويمكن لنا أن نتأكد من خلال عدة أمور:

1- إن عملية قتل الأمراء الخمسة الذين دخلوا برج الداوية، جميعهم قتلوا دون أن يبقى شاهداً واحداً منهم يبين لنا سبب مقتلهم؛ لتصبح رواية مقتلهم هي رواية واحدة، تنطلق على ألسنة الفرنجة دون غيرهم، وليس أكثر من تبرير لهم في قتل هؤلاء الأمراء، أنهم تعرضوا للأطفال والنساء في محاولة أخذهم الغنائم.

---

[1] – السناجق، مفردها سنجق، وهي الأعلام أو الرايات التي تحمل خلف السلطان عند ركوبه، وهي من شعار الملك. للمزيد ينظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج2، 134 ؛ ج4، 8.

[2] – العيني، **عقد الجمان**، ج1؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 7.

[3] – ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج1، 137.

[4] – مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 2 ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 7 ؛ الطراونة، طه ثلجي **مملكة صفد في عهد المماليك**، 66 ؛ نصر الله، سعدون، **رحيل الصليبيين عن الشرق في العصور الوسطى** 135.

[5] مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 3 ؛ البرزالي، **المقتفي**، 233.

2- إن وجود خمسة من المماليك في برج اكتظ بفرسان الفرنجة، بعد مدة طويلة من الحصار والقصف والقتل، يجعل الأمر استفزازا كبيرا لدى قاطني هذا البرج، الأمر الذي أدى إلى قتل الأمراء نكاية بما فعله المماليك بهم.

3- يحتمل وجود معارضة من قبل بعض فرسان الداوية، على ما ارتأته قيادتهم من تسليم البرج للسلطان الأشرف خليل، مما أدى إلى تعرضهم للأمراء المماليك لوضع حد لعملية التسليم وإغلاق أبواب البرج.

4- إننا لا نجد استغرابا من التطلع للغنيمة، لكن أليس من المنطق أن ينتظر هؤلاء الأمراء عملية تسليم البرج ليغنموا؟ وما الذي يجبر هؤلاء الأمراء من أخذ سكان البرج غنيمة والمدينة كلها أصبحت تحت سيطرتهم ؟

وعندما أصبحت المدينة بكاملها تحت سيطرة المماليك، أضحى الفرنجة فيها ما بين قتيل أو أسير أو غريق أثناء هروبهم بالسفن، وقد غرقت بعض السفن التي حملت أكثر من طاقتها أثناء هروبهم، وبعضها وصلت إلى قبرص ومن ثم إلى أوروبا [1]، ومن بقي من الفرنجة في المشرق وزعوا على الحصون بعد أن طلبوا الأمان [2] وتحدث بعض المؤرخين عن عمليات القتل التي تمت في مدينة عكا ضد الفرنجة، فمثلاً ذكر المقريزي (ت 845هـ/1441م) أن حوالي عشرة آلاف من الفرنجة طلبوا الأمان، وتم تفريقهم على الأمراء الذين بدورهم قاموا بقتلهم جميعاً [3]، وفي رواية أخرى للمؤرخ نفسه، تبين أن

---

[1] - حسين، حسن عبد الوهاب، **تاريخ جماعة التيوتون**، 334 ؛ سميث، رايلي، **الاسبتارية**، 322 ؛ عوض، محمد، **الحروب الصليبية**، 33.

[2] - الذهبي، **تاريخ الإسلام**، حوادث 681 - 690هـ، 56 ؛ **دول الإسلام**، ج2، 215 ؛ الغزي، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، 170.

Conder , R. E , **Claude Reignier , Syrian stone – Lore , the monumental History of Palestine** , 399-400.

[3] - **السلوك**، ج2، 223.

المسلمين أسروا بعض الفرنجة، فأطلقوا عدداً منهم ووزع الآخرين على الحصون [1]. وهذا بدوره يلفت نظرنا إلى مدى التناقض الذي وقع فيه المقريزي، ويبدوا أن معلوماته قد استقاها من جهات مختلفة.

ونتج عن تحرير مدينة عكا الكثيرُ من الأمور والتغيرات على المستويين الداخلي والخارجي للسلطنة المملوكية من أهمها :

1- نهاية الوجود الفرنجي بعد احتلال دام حوالي قرنين من الزمان [2].

2- كان صدى تحرير عكا قد أثار الرعب والخوف فيه نفوس فرنجة الشام، مما سهل مهمة المماليك في تحرير الحصون الأخرى [3].

3- أصبحت حدود السلطنة المملوكية من أرمينيا شمالاً حتى النوبة جنوباً آمنة [4].

4- أمر الأشرف بهدم أسوار عكا [5]، حتى لا يتحصن فيها الفرنجة مرة أخرى، ويتخذوها ملاذاً لهم، وقد ذكر المؤرخون أن الأشرف خليل أمر بهدم عكا عن بكرة أبيها، بما فيها الأسوار والأبراج، والكنائس [6]،

---

[1] – **السلوك**، ج2، 231.

[2] – مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 3؛ نصر الله، سعدون، رحيل الصليبيين عن الشرق، 135.
Sharon , m , **the history of Palestine** , 46

[3] – **ابن سباط، صدق الأخبار**، ج1، 497.

[4] – الدريني، عبد المعطي، **العلاقات بين المماليك والفرنج، مؤتمر بلاد الشام في فترة الصراع الإسلامي الفرنجي**، 916.

[5] – ابن الوردي، **تتمة المختصر في أخبار البشر**، ج2، 336 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 231.

[6] – بيبرس المنصوري، **مختار الأخبار**، 92 ؛ الشهابي، **الغرر الحسان**، ج1، 467.

لكن بعض الإشارات تدلل على أنَّ هذه الأقوال مبالغ فيها، ومثال ذلك قول الشاعر شهاب الدين محمود[1]:

[البحر الطويل]

مَرَرْتُ بعكَّا بَعْدَ تعليقِ سُورِهَا وزند[2] أوار النار في وسطها وَار[3]

وعاينتها بعد التنصر قَدْ غَدتْ مجوسيّـةَ الأبـراجِ تسجــدُ للنّار[4]

ومن هذين البيتين يتبين لنا أن الهدم طال السور والأبراج ولم يطل المدينة كلها، وقد ارتأى السلاطين المماليك ومن قبلهم الأيوبيون في هدم القلاع والحصون الساحلية، وهي ضمن استراتيجية تهدف إلى منع الفرنجة من الاستفادة من هذه التحصينات، فيما لو قُدر لهم العودة مرة ثانية، لأنها ستشكل خطراً على المماليك، ولم تكن هذه السياسة تنطبق إلا على القلاع والحصون الساحلية، أما الداخلية فلم يقم الأيوبيون ومن بعدهم المماليك بهدمها، بل قاموا بترميمها وتحصينها وبناء ما هدم منها وشحنوها بالرجال والسلاح [5]، ولابد من الإشارة إلى أن بعض المؤرخين قصد من عملية الهدم،أن

---

[1] – هو شهاب الدين محمود الحلبي، ولد بدمشق عام (644هـ/1246م)، وتوفي عام (725هـ/1324م). للمزيد ينظر: ابن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، مج4، 82.

[2] –الزند: عود الثقاب ويقال زندان أي عودان، أحدهما الثقاب يقدح بالاخر، من اجل اشعال النار، العودان للمزيد ينظر:ابن دريد، **جمهرة اللغة** ج2، 260 ؛ الجوهري، **الصحاح**، ج2، 480

[3] – وار: اشتعل، يخرج منه النار. للمزيط ينظر: ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ج1،177.

[4] – ابن الجزري، **حوادث الزمان**، ج1، 51 ؛ ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج1، 128؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 14.

[5] – الصوافي، طالب، **القلاع والحصون في شمال فلسطين في فترة صراع الفرنج الإسلامي**، 284 – 285.

الأشرف قلد والده عندما هدم مدينة طرابلس وأعاد بناءها من جديد عام (688هـ/1289م) [1] ثم إن البعض ذكر أن السلطان الأشرف خليل بدأ بتدمير المدينة، تدميرا منهجيا، حيث قام بتفكيك الأبراج وتحصينات المدينة، وأغلق الميناء بالحجارة[2]، وهذا يؤكد أن الأشرف خليل لم يهدم المدينة كلها، بل إنه أراد أن يضمن عدم رجوع الفرنجة إليها، وعدم استغلال تحصيناتهم، وإثبتت عمليات التنقيب الأثرية في الوقت الحاضر، وجود كثير من معالم ذلك العهد، من أبراج ومعالم ومساكن مما يثبت أنها لم تدمر بالكامل[3].

ز- الاحتفال بتحرير عكا:-

كان لتحرير مدينة عكا صدى في نفوس المسلمين بسبب النصر الكبير، والتخلص نهائياً من الفرنجة، ففي 12 جمادى الآخر/12 أيار حين وصل الأشرف إلى دمشق زينت المدينة وبسطت طرقها بالشقق [4] والحرير[5] تحت أقدام حصان السلطان الأشرف، ولم يكن يبسط من قبل للسلاطين والملوك،

---

[1] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 151 ؛ العسقلاني المصري، **الفضل المأثور**، 147 ؛ ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج1، 122.

[2] – Benvenisti, Moren**, the Crusaders in the Holy Land**92-93.

[3] – المرجع نفسه، 92–93

[4] – ومفردها شقيقة أي شقائق النعمان، وهي نوع من الأزهار ونسبت إلى النعمان بن المنذر، لأنه حمى أرضاً فكثر فيها ذاك النوع من الأزهار. للمزيد ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مج1، 182 ؛ الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، مج 6، 398.

[5] – ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 52 ؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1، 236 ؛ المقريزي، **المقفى الكبير**، ج3، 796.

وخرجت العامة لملاقاته مع القضاة الأربعة في موكب ضخم وسط المدينة، وهم يحملون الشموع احتفالاً بالأشرف المكلل بالنصر [1] وخرجوا للميدان، ولعب السلطان بالأكره [2].

ثم ارتحل إلى القاهرة ودخلها يوم الإثنين 9 شعبان/ 7 آب (690هـ/1291م)،حيث تكرر مشهد احتفالات دمشق بها، ثم خرج من باب زويلة وصعد إلى القلعة [3]، وحضر للعب الأكره في الميدان[4]، وكانت القاهرة قد زينت وخرج سكانها لملاقاته بموكب ضخم من طبقات المجتمع كافّة، وكعلامة للنصر ونكاية بالفرنجة قام السلطان الأشرف خليل بنقل رخام بعض الكنائس التي كانت مقامة في عكا إلى القاهرة [5]، ومنها باب كنيسة [6]، حمل بقواعده واعضاده وقد ركب على باب مدرسة الناصرلاحقا[7].

وتدافع الشعراء إلى بابه في وصف النصر والمعركة [8] وقد وصل عدد القصائد في تحرير عكا سبع قصائد [9]، منها قصيدة للشاعر شهاب الدين محمود الحلبي عرفت بالبائية ومنها قوله[10]:

---

[1] – البرزالي، **المقتفي**، ج1، 231 ؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، 115.

[2] – بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**، 283.

[3] – مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 3 ؛ ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر**، ج8، 312 ؛ العيني، **عقد الجمان** ج3، 65.

[4] – البرزالي، **المقتفي**، ج1، 236.

[5] –العيني، **عقد الجمان**، ج3، 63.

[6] –بعض المصادر تتحدث انه هذا الباب باب لكنيسة القديس اندروا .للمزيد ينظر:

Benvenisti, Moren, **the Crusaders in the Holy Land**،92.

[7] –العيني، **عقد الجمان**، ج3، 63.

[8] – عبد الرحيم، رائد، **صدى تحرير عكا**، سنة 690هـ، 72.

[9] – المرجع نفسه، 55 – 56.

[10] – ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 61 ؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، 40؛ سليم، محمود رزق، **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي**، مج8، 51.

[البحر البسيط]

الحمد لله ذلّت [1] دولة الصلب وعز بالترك [2] دين المصطفى العربي

هذا الذي كانت الآمالُ لو طُلبت رؤياه في اليوم لاستحيَتْ من الطلبِ

ما بعد عكا وقد هدّت [3] قواعدها في البحر للشرك [4] عند الدين من أرب[5]

ومن عجائب تحرير عكا أن صلاح الدين الأيوبي، قد حررها من الفرنجة في ربيع الاخر/ حزيران (583هـ/ 1187م) [6]، ثم استرجعها الفرنجة يوم الجمعة 17 جمادى الآخرة / 13 تموز عام (587هـ/1191م) [7]، واستمرت حتى جاء السلطان الأشرف خليل فحررها منهم مرة أخرى يوم الجمعة 17 جمادى الأولى / 18 أيار عام (690هـ/1291م)، أي بعد قرابة مائة عام، فكأنما قدّر الله أن تحرير هذه المدينة في اليوم والتاريخ ذاته، الذي أخذت فيه على يد سلطانٍ آخر لُقِّب أيضاً بصلاح الدين وهو الأشرف خليل، لذلك أشاد الشعراء بهذا التوافق ما بين السلطانين: السلطان صلاح الدين الأيوبي والسلطان الأشرف خليل بن قلاوون [8] وقال شمس الدين بن غانم [9]:

---

[1] – **زالت في تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 61 ؛ **كنز الدرر**، ج8، 325 ؛ **البداية والنهاية**، ج14، 40.

[2] – **بالقول في عقد الجمان**، ج3، 72.

[3] – **هدمت في تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 61.

[4] – **المشرك في تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 61.

[5] – مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 5 ؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام، حوادث** 681 – 690، 59 – 60 ؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، 40 ؛ ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر**، ج8، 315 316.

[6] – ابن شداد، **النوادر السلطانية**، 79.

[7] – ابو شامة، **أخبار الدولتين**، ج4، 262؛ ابن شداد، **النوادر السلطانية**، 171.

[8] – عبد الرحيم، رائد، **صدى تحرير عكا سنة 690هـ في الشعر العربي**، 62 – 63.

[9] – هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن غانم. للمزيد انظر: ابن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، مج1، 127.

[البحر المتقارب]

مليكان قَدْ لُقّبا بالصَّلاح فهذا [1] خليل وذا يوسفُ

فيوسفُ لاشكَّ في فضله ولكنْ خليلٌ هو الأشرف [2]

وقال شهاب الدين محمود الحلبي أيضاً:

[البحر البسيط]

آتيتها[3] يا صـلاحَ الدِّينِ معتقداً فإنَّ ظَنَّ صلاحِ الدِّين لم يَخَبِ

أدركت ثأر صلاح الدين إذ غضبت[4] منه لسرٍّ طواه الله في اللقب*[5]

ومزج الشعراء المسلمون بين سقوط عكا ونهاية ذل المسلمين بعد احتلال الفرنجة لهذه المناطق حوالي مائتي عام، وقال محيي الدين بن عبد الظاهر مهنئاً:

[البحر الخفيف]

بعث النصر للبلاد بريداً يتخطّى تهايماً ونجوداً

بفتح كنا نراه قريـــباً ويراه دين الصليب بعيداً

---

[1] – **وذا في الوافي بالوفيات**، ج13، 404 ؛ **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 218.

[2] – ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 118 ؛ ابن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، مج1، 410 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 74– 75.

[3] – لبيتها في **تاريخ ابن الفرات**، مج7، 117 ؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 206 ؛ **لقيتها في كنز الدرر**، ج8، 318.

[4] – غصبت، **في الوافي بالوفيات**، ج13، 409.

* **الكتب في عقد الجمان**، ج3، 74 ؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 206.

[5] – مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 9 ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث 681 – 690، 61 ؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 13، 409.

قال: بُشراكم سيوف الأعادي تحددها سلاحاً وقيوداً [1]

وقال أيضاً:

يا بني الأصفر قد حلّ بكم نقمةُ الله التي لا تنفصلْ

قد نزل الأشرف في ساحلكم فأبشروا منه بصفعٍ متصلْ [2]

ولم يقف دور الشعراء عند هذا الحد، بل أخذوا يذكّرون بنصر المماليك المؤزر في عين جالوت، كما الحال عند شافع بن علي المعروف بالعسقلاني المصري [3] الذي قال في تحرير عكا:

[البحر الكامل]

حكمتْ برفع لوائك الأقدارُ فإليك بالنَّصر العزيز يُشار

أقبلتَ والأتراكُ حولك أنجمُ وتمامُ وجهِكَ بدْرها السيّار [4]

وقد أطال الشعراء في مدح الأشرف وقادة التحرير ووصف النصر الكبير، ومنهم شمس الدين بن سباع المعروف بابن الصائغ حين قال:

[البحر الكامل]

يا أشـرفَ الدنيا تهنَّ فإنـــه تحرير سواك بمثله لم يحكم

أشبهتَ معتصم الخلافةِ[5]همةً فالروم فيك ديارها لم تُعصم [6]

---

[1] – العسقلاني المصري، **الفضل المأثور**، 178.

[2] – ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 114.

[3] – هو شافع بن علي بن عباس بن إسماعيل الكناني العسقلاني سبط الشيخ محيي الدين بن عبد الظاهر، وقيل ابن أخته ولد (649هـ/1251م) وتوفي عام (730هـ/1329م). للمزيد ينظر: ابن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، مج3، 93، ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج2، 184 – 186.

[4] – العسقلاني المصري، **الفضل المأثور**، 181.

[5] – **الخلايق في كنز الدرر**، ج8، 315.

للمزيد ينظر: ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 50.

[6] – وجاء على النمط التالي: أشبهتَ مقتسم الخلافة همة فالروم منك ديارها لم تعصم. ينظر: مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 4.

ح- **تحرير الساحل الشامي:-**

في الوقت الذي وصلت فيه أخبار تحريرعكا، لباقي المعاقل الفرنجية على الساحل الشامي أرسل السلطان الأشرف خليل عساكره نحو المدن والحصون التي ما زالت تحت السيطرة الفرنجية، وقد ساعد خبر تحريرها ، على دب الرعب في قلوب سكان تلك الحصون [1]، مما ساعد على تحريرها بشكل سريع عن طريق الأمان أو عنوة.

- **صور:-**

بعد معركة حطين عام (583هـ/1187م)، بقيت صور بيد الفرنجة حيث لم يستطع صلاح الدين الأيوبي تحريرها لحصانتها وصمود الفرنجة فيها[2]، وحلول فصل الشتاء الذي أجبر جيشه على الرحيل [3]، وبذلك استقر فيها قادة الفرنجة الهاربين من وجه صلاح الدين ، وعلى رأسهم القائد كونراد مونتيفرات (Konrad montivirat)، فنشاطه الكبير؛ إضافة إلى المساعدات التي بذلها ملك صقلية وليم الثاني (Wiliam II)، حال دون سقوط المدينة [4]، وبقي الحال كذلك إلى أن توفي كونراد مونتيفرات (Konrad montivirat)، عام (595هـ/1198م)، وتزوجت أرملته الأميرة إيزابيلا (Ezabila) من هنري كونت شمبانيا(Henery kont Shambania) وهو ابن أخت الملك الإنجليزي، ريتشارد قلب الأسد (Richard Coeurde Lion) ثُمَّ انتقلت صور، إلى حكم ابنة إيزابيلا (Ezabila) الكبرى ماريا

---

[1] – ابن سباط، **صدق الأخبار**، ج1، 497.

[2] – Benvenisti, Moren**, the Crusaders in the Holy Land**, 7, 46.
Rachard, Jean, **the latin kingdom of Jerusalem**, 426.

[3] – ابن شداد، **النوادر السلطانية**، 84.

[4] – رنسيمان، ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3، 20، 29 ؛ سيتون، كينيث، **تاريخ الحروب الصليبية**، 279.

(Maria)، ثم بقيت تحت حكم هذه الأسرة، حتى الأميرة مارغريت (Margrete) [1]، التي عقدت معاهدة مع السلطان المنصور قلاوون عام (682هـ/1283م)[2]، وأظهر أهلها الطاعة للمنصور طيلة هذه السنوات، ولما نازل الأشرف خليل عكا، جهز الأمير علم الدين الصوابي[3] والي صفد [4]، إلى جهة صور؛ لحفظ الطرق واستطلاع الأخبار [5]، فلما أُخذت عكا وأُحرقت وعلا دخانها وهرب أهلها علم أهل صور بذلك ؛ فهربوا وأخلوا المدينة، ودخلها علم الدين الصوابي، بأمر من الأشرف خليل الأشرف خليل في 17 جمادى الآحرة / 19 أيار من عام 690 هـ/ 1291م، وكتب بالبشارة إليه ثم أمر بتخريبها؛ وبقي في صور من الفرنجة الذين استغاثوا وطلبوا الأمان من الصوابي فأمنهم [6].

---

[1] – رنسيمان، ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3، 239.

[2] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 106.

Holt, p. m, **The Age of the crusades**,102.

Stevensons , W.B , **The crusaders in The East** , 348.

[3] – لم أجد ترجمة له في كتب التراجم المعروفة.

[4] – مدينة صفد: مدينة فلسطينية قديمة، تقع في الشمال تبعد عن القدس حوالي 128 ميل، للمزيد: ينظر: الدباغ، مصطفى، **بلادنا فلسطين**، ج6، ق2، 75 – 76.

[5] – البرزالي، **المقتفي**، ج1، 233؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، حوادث 681 – 690، 48 ؛ **دول الإسلام**، ج2، 214.

[6] – الذهبي، **تاريخ الإسلام**، حوادث 681 – 690، 48 ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 8.

- **صيدا:-**

بعث الأشرف خليل فرقة عسكرية يقودها الأمير علم الدين الشجاعي نحو صيدا [1]، وهي بلدة صغيرة ذات حصن، وبينها وبين دمشق ستةٌ وستون ميلاً [2]، وكانت حصينة، لها قلعتان عظيمتان، أحدهما قِبْلية والأُخرى شمالية ، وكان يتبعها جزيرة في البحر قريبة منها[3] ، وبعد دخولها من قبل الفرقة العسكرية المملوكية، استعصى عليهم أحد الأبراج لا تصل إليه حجارة المنجنيق، وبقي الحال حتى تم تحريرها في 15 شعبان / 13 آب من عام (690هـ/1291م)، بعد أن هرب سكانها وأُحرقت الأبراج[4]، ثم ثم أن السفن الحربية المملوكية التي حضرت من اللاذقية استطاعت حصار مراكب الفرنجة المحملة بالهاربين عند ميناء البترون [5] واستولت عليها[6].

---

[1] – البرزالي، **المقتفي**، ج1، 250 ؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 121.

[2] – ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج3، 437 ؛ أبو الفداء، **تقويم البلدان**، 248 – 249.

[3] – البرزالي، **المقتفي**، ج1، 250 ؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، 39 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 226؛ الشهابي، حيدر، **الغرر الحسان**، ج1، 467.

[4] – الذهبي، **تاريخ الإسلام، حوادث** 681 – 690 هـ، 50 ؛ **دول الإسلام**، ج2، 214؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 226؛ الدويهي، **تاريخ الأزمنة**، 268.

[5] – البترون: اسم حصن بين جبيل وأنفا على ساحل البحر المتوسط. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج1، 338 ؛ البغدادي، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، مج 1، 163 ؛ ابو حجر، آمنة، **موسوعة المدن العربية**،428.

[6] – الذهبي، **تاريخ الإسلام، حوادث** 681 – 690هـ، 50.

- **بيروت:-**

حررها صلاح الدين الأيوبي بعد معركة حطين (583هـ/1187م) [1] ، ولكن الفرنجة استعادوها بعد حين خلال الحملة الصليبية الثالثة، وخضعت لباليان أبلين(balien a Ibilin) ملك بيت المقدس إلى حين وفاته عام(646هـ/1247م)، ثم خضعت لابنه يوحنا أبلين (John aIbilin) حتى وفاته عام (663 هـ / 1264م)؛ فانتقلت بيروت إلى حوزة ابنته الكبرى إيزابيلا (Ezibila) [2]، وبعد وفاتها عام (681هـ /1282م) انتقلت بيروت إلى حوزة أختها من أمها الأميرة إيشيفيا (Ishevia) [3]، وكانت الأخيرة قد عقدت معاهدة مع السلطان المنصور قلاوون عام (682هـ/ 1283م) وبعد تحرير عكا أمر السلطان الأشرف خليل علم الدين الشجاعي بالتوجه نحو بيروت [4]، وكان أهل بيروت متمسكين بالهدنة، وبالرغم من ذلك فإنهم كانوا قد غدروا بالمسلمين في الحصون الغربية، وقتلوا عدداً منهم فأراد الأشرف تأديبهم [5].

.[5]

ثم أنه خدعهم حين طلب منهم أَنْ يأتوا إليه بأولادهم ونسائهم، وما يعز عليهم في القلعة، فعزل الرجال عن النساء والأطفال، ورمى بالرجال في خندق، وسيطر على المدينة والقلعة[6]، في 23 رجب/22 رجب/22 تموز من عام (690هـ/ 1291م) [1].

---

[1] – أبو شامة، **الروضتين في أخبار الدولتين**، 323 ؛ ابن شداد، **النوادر السلطانية**، 80 ؛ **الأعلاق الخطيرة**، 103؛ صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، 34.

[2] – رنسيمان، ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3،401، 565.

[3] – المرجع نفسه، 586.

[4] – ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 121 ؛ الدويهي، **تاريخ الأزمنة**، 268 ؛ اليافعي، **مرآة الجنان**، ج4، 209.

[5] – ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 54 ؛ الشهابي، **الغرر الحسان**، ج1، 468.

[6] – الذهبي، **تاريخ الإسلام، حوادث الزمان** 681 – 690 هـ،50–51 ؛ اليافعي، **مرآة الجنان**، ج4، 209 ؛ علي، محمد كرد، **خطط الشام**، ج2، 128.

- **طرطوس:-**

كانت تعرف مدينة أنطرسوس، وهي مدينة مشهورة كانت ثغراً على ساحل البحر المتوسط، وكان قد استحدثها الخليفة المأمون [2]، وكان المماليك قد تسلموها من الفرنج بالأمان في 5 شعبان /3 تموز من عام (690هـ/1291م) [3]، ثم انتقل الفرنجة منها إلى جزيرة أرواد[4] ، وبقوا يمارسون أعمال القرصنة ضد المسلمين ، حتى تم تحريرها عام (702هـ/ 1302م) زمن الناصر محمد بن قلاوون [5].

- **عثليث:-**

وهو حصن يقع إلى الجنوب من عكا، ويعرف بالحصن الأحمر، حرره الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي عام (583هـ/1187م)[6]، وحاول السلطان بيبرس فرض السيطرة عليه عام (663هـ/1264م)[1]،

---

[1] – ابن الجزري، **حوادث الزمان**، ج1، 54 ؛ الذهبي، **المختار من تاريخ ابن الجزري**، 340، 50 – 51 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 226.

[2] – الأصطخري، **المسالك والممالك**، 46 ؛ ابن حوقل، **صورة الأرض**، 183؛ أبو الفداء، **تقويم البلدان**، 248 – 149؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، حوادث 681 – 690، 53 ؛ الدويهي، **تاريخ الأزمنة**، 269.

[3] – ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 11.

Rachard, Jean, **the latin kingdom of Jerusalem**, 430.

[4] – أرواد: أو ارادوس (Aradus) وهي جزيرة صغيرة في البحر المتوسط قريبة من طرطوس، وتبعد عها ثلاثة اميال وتقع إلى الشمال من طرابلس وتبعد عنها ميلين. للمزيد أنظر: البستاني، بطرس، **دائرة المعارف** مج2، 748.

[5] – البرزالي، **المقتفي**، ج1، 248 ؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، 39 ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة** ج8، 11؛ Rachard, Jean**, the latin kingdom of Jerusalem,** 434.

[6] – ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج4، 85 ؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1، 244. ينظر بشكل مفصل: الصوافي، طالب، **القلاع والحصون في شمال فلسطين في فترة صراع الفرنج الإسلامي**، 184 – 185.

وقد حاول الفرنجة استرجاعه بين الحين والآخر. وبعد تحرير عكا نظر أهل حصن عثليث إلى ما آل إليه أمر الفرنجة في عكا فهربوا عن طريق البحر بعد أن أضرموا النار فيها، وكان السلطان قد جرّد من عكا الأمير بدر الدين بكتاش، مع جماعة من التركمان للنزول على هذا الحصن، فتسلمه المسلمون في 1 شعبان /3 تموز من عام (690هـ/1291م) [2].

- **جبيل [3]:-**

كان المنصور قلاوون قد عمل على تحرير مدينة جبيل في مرحلة سابقة ، إلا أنه بقي عدد من الفرنجة فيها. وبعد تحرير عكا أرسل السلطان الأشرف خليل الأمير علم الدين الدواداري، على رأس كتيبة مملوكية فقام بتخريب قلعتها وأسوارها وإخلائها نهائياً من الفرنج[4].

2- علاقة الأشرف خليل بالغرب الأوروبي والممالك الإسبانية:-

أ- الغرب الأوروبي:-

اتسمت العلاقة بين سلطنة المماليك ، ودول أوروبا الكاثوليكية ، وعلى رأسها الزعامة البابوية إبان فترة الأشرف ، بالعداء لدولة المماليك، بسبب موقف الدولة المملوكية من المعاقل الفرنجية على الساحل

---

[1] – المقريزي، **السلوك**، ج2، 20.

[2] – الذهبي، **تاريخ الإسلام، حوادث** 681 – 690هـ، 51 – 52 ؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، 39 ؛ الشهابي، حيدر أحمد، **الغرر الحسان**، ج1، 468.

[3] – جبيل: مدينة لبنانية تقع على ساحل البحر المتوسط وتبعد 38 كيلو متر الى الشمال من بيروت. ابو حجر، امنة، **موسوعة المدن العربية**،441.

[4] – الدويهي، **تاريخ الأزمنة**، 268 ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 10.

الشامي، وما أظهرته من عداء لها ، انتهت بتحرير العديد من المدن والحصون الفرنجية، الأمر الذي أدى إلى نقمة البابا نقولا الرابع (Nicolas IV)، الذي دعا ملوك أوروبا لخوض حملة صليبية ضد الدولة المملوكية، خاصة بعد سقوط مدينة عكا[1]، وبالتالي فإن تشكل حملة صليبية جوبه ببعض المشاكل، كان أهمها: الأزمات المختلفة التي تعرض لها الفرنجة منذ تحرير امارة طرابلس عام (688هـ / 1289م)، على إثرها قادت البندقية حملة برعاية البابا نقولا الرابع(Nicolas IV)؛ لإسترجاع المدن والحصون التي تم تحريرها على يد المنصور قلاوون[2]، ووصلت في شعبان/ آب عام (689هـ/ 1290م)، ولم تجلب لهم هذه الحملة إلا الدمار، حيث قام أفرادها بقتل التجار المسلمين في المدينة [3]، ثم وقف أفراد هذه الحملة مكتوفي الأيدي؛ بتحرير المماليك لعكا، وباقي المعاقل الفرنجية في المشرق دون نجدة تذكر من الغرب الأوروبي، عدا بضعة فرسان بعثهم الملك الإنجليزي إدوارد الأول (Edward I)[4]. هذا إلى جانب أن مشاريع إيلخان فارس السلطان أرغون، قد فشلت في تشكيل اتحاد إيلخاني أوروبي ضد المسلمين، بسبب النزاعات التي نشبت بين ملوك أوروبا أنفسهم من جهة، وبين بابا روما وملوكها من جهة أخرى [5].

---

[1] – هايد، ف، تاريخ التجارة في الوسط الأدنى في العصور الوسطى، ج2، 252.

Rachard, Jean, **the latin kingdom of Jerusalem**, 430–431.

[2] – رنسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3، 678 ؛ حجة، شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى ودولة إيلخانة فارس**، 259.

[3] – ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر**، ج8، 301.

[4] – رنسيمان، ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3، 696.

king ,E.G **,Knight Hospitaleries** , 293

[5] – Stevenson , **The crasadersin in The Eest**,351.

Rachard, Jean**, the latin kingdom of Jerusalem**, 331.

ولم تكن أوروبا بعد تحرير عكا والمعاقل الفرنجية أحسن حالاً ، إذ تلقوا الصدمة بذهول[1] ، وأثار سقوطها مشاعر العالم المسيحي الغربي، ووجهت الاتهامات إلى المدن التجارية الإيطالية ، لأنها كانت تقيم حتى آخر لحظة علاقات تجارية مع مصر، وبذلك أسهمت في زيادة موارد السلطنة المملوكية، غير أن بلاط روما لم يشأ أن يترك ثورات الغضب هذه تتبخر في عبارات لا جدوى منها؛ لذا أراد البابا نقولا الرابع تنظيم حملة جديدة لاستعادة عكا وغيرها من المعاقل الفرنجية[2]، وقبل وفاة البابا نقولا الرابع (Nicolas IV) عام(691هـ / 1292م)، أصدر أمرا لفرسان القديس يوحنا، وفرسان المعبد بأن يجهزوا عشرين سفينة في مياه قبرص ؛ لحماية هذه المملكة ومملكة أرمينيا ومحاربة المماليك[3] ، إلا أنه لم تستغل هذه الجهود في حملة حقيقية نحو المشرق، ولعل أهم الاسباب التي أدت إلى عدم تشكيل حملة صليبية ، بعد سقوط عكا هي:

1- لم يعد الفرنجة يملكون من أرض فلسطين والشام قيراطا واحدا، وإن جيشا غازيا سوف يجد نفسه معزولا، لا يملك من المنطقة نقطة واحدة يرتكز عليها، سوى مملكة أرمينيا البعيدة عن ساحة القتال؛ اضافة إلى تراجع قناعة شعوب وأمراء هذه المملكة عما كان يؤمن به الأوروبيين[4]، أما قبرص فقد

العريني، السيد الباز، **المغول**، 308.

[1] – باركر، آرنست، **الحروب الصليبية**، 133 ؛ نعمان، جبران، **محاولات الغول (إيلخانية فارس) للتحالف مع القوى الأوروبية لاقتسام بلاد الشام**، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية العدد 20، جامعة قطر، 1997، 257.

[2] هايد، ف، تاريخ التجارة في الوسط الأدنى في العصور الوسطى، ج2،252

[3] – **المرجع نفسه**، ج2، 252.

[4] – **المرجع نفسه**، ج2، 252.

كانت تعاني من ازدياد عدد الطارئين إليها من فرنجة الساحل الشامي، هذا إلى جانب أن فرق الاسبتارية والتيوتون وفرسان الداوية نقلوا صراعهم من الساحل الشامي إلى قبرص [1].

2- غرق الدول والممالك الأوروبية في صراعاتها الداخلية، مما جعلت دعوات البابا تذهب مهب الرياح؛ فكان الملك الانجليزي (Edward I) قد دخل في حرب و ويلز واسكتلندا، في محاولة منه للحفاظ على عرشه[2]. وأحاط الأعداء بالملك الارغوني جيمس الثاني (Jemes II) من كل جانب، ولما حكمت عليه الكنيسة بالحرمان؛ لم يتردد عام (691هـ/1292م) في تجديد معاهدة التحالف التي ابرمها منذ سنوات مع السلطنة المملوكية [3]، وفيما يتعلق بملك فرنسا فيليب الرابع (Phelep IV)؛ فقد صوب نشاطه نحو بناء سلطته الملكية بعد ان خلّص بلاده من الحرب مع صقلية[4].

وفي حين حاول البابا نقولا الرابع(Nicolos IV)، إضعاف الاقتصاد المملوكي من خلال تطبيق الحظر الذي اصدرته الكنيسة، ضد توريد الحديد وخشب البناء والأسلحة للسلطنة المملوكية[5] ، الا أن هذا لم يكبح جماح تجار الممالك الأوروبية، وحاولوا البحث عن وسائل أخرى تضمن لهم الوصول إلى موانئ مصر، كما فعل البنادقة الذين حضرت رسلهم إلى أبواب السلطان الأشرف خليل ؛ من أجل تأمين تجارتهم مع الدولة المملوكية بعد سقوط عكا، فأصدر بحقهم أماناً شريفاً يضمن لهم الدخول إلى موانئ

---

1 – Rachard, Jean**, the latin kingdom of Jerusalem**, 380.

2 – Grousset , **Rene Histoire des croisade** ,721

Rachard, Jean, **the latin kingdom of Jerusalem**,331 ؛King , E. J , **The Kinghts Hospital Lers**,289

3 – هايد، ف، تاريخ التجارة في الوسط الأدنى في العصور الوسطى، ج2، 252.

4 – رنسيمان، ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**،ج3، 719

5 – هايد، ف، تاريخ التجارة في الوسط الأدنى في العصور الوسطى، ج2، 253.

المماليك "**.... وكتب أمان شريف للتجار البنادقة والبيازنة والجنوية والبيشانيين والكيتلانيين [1] وغيرهم أن يترددوا إلى الثغور الإسلامية آمنين مطمئنين**"[2].

وبذلك لم يكن أمام الممالك الأوروبية إلا الصمت والذهول، بسبب التفوق المملوكي فلم تكن هذه الممالك على استعداد للتضحية بنشاطها التجاري، الذي يمثل العمود الفقري في اقتصادها ويحقق لها الكثير من المزايا بمهاجمة الدولة المملوكية، أو الالتفاف حول البابا [3] ، وبذلك فشلت محاولات الغرب الأوروبي، للقيام بعمل ينقذ وضعها العسكري في الشرق؛ بسبب المصالح الاقتصادية التي نوهنا إليها.

ب- علاقة الأشرف خليل بالممالك الإسبانية:-

ركزت مملكة أراغون سياستها صوب شرق البحر المتوسط ؛ للسيطرة على طريق تجارة التوابل مع مصر، واعتمدت على هذه التجارة، كبنية أساسية لبناء اقتصادها ، خاصة أن مصر أصبحت الطريق الوحيد للتجارة مع الشرق، بعد أن عمت الفوضى الأقاليم الوسطى والغربية من آسيا، نتيجة للغزو المغولي، وإغلاق طريق بغداد التجاري (طريق الحرير) [4]. وبالرغم من اعتراض البابا نقولا الرابع (Nicolos IV) على العلاقات التجارية مع المسلمين وتهديده بالحرمان لمن يتعامل معهم [5]؛ وبسبب ضعفه في حل المسائل الشائكة بين ملوك وحكام أوروبا وعدم استطاعته دفعهم نحو مواصلة النشاط

---

[1] – الكيتلانيين: هم أنفسهم أهل برشلونة، فيقال كتالونيا وبرشلونة هي مقر ومركز مملكة أرغون. للمزيد ينظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، 270.

[2] – ابن عبد الظاهر، **الألطاف الخفية**، ج3، 45.

[3] – الحجي، حياة، **العلاقات بين السلطنة المملوكية والممالك الإسبانية**، 9.

[4] – النشار، محمد محمود، **علاقة مملكتي قشتالة وأرغون بسلطنة المماليك**، 98.

[5] – هايد، ف، تاريخ التجارة في الوسط الأدنى في العصور الوسطى، ج2، 254،252.

Abu laf daved , **Mediterranean Encouters ,Economic ,Relijious , pliticu**l , 17.

الصليبي، واسترداد النفوذ السياسي والديني المنهار في المشرق [1]؛ إلى جانب الحاجات الاقتصادية لدى المدن التجارية الأوروبية[2].

هذا كله دفع بعض الممالك على توثيق صلاتها مع السلطنة المملوكية في الوقت الذي عمد سلاطينها ومنهم الأشرف خليل، على إنهاء وجودهم في المشرق الإسلامي؛ لذلك تكرر تردد ملوك الممالك الإسبانية ، على أبواب السلطان الأشرف خليل، بعد عقدهم معاهدة سابقة مع والده السلطان المنصور قلاوون،في 13 ربيع الآخر/ 23 نيسان من عام (689هـ/1290م) [3] ، شملت الملك الأرغوني الفونسو الثالث (Alfonsu III)[4] ، وأخاه صاحب صقلية الملك شارل الثاني (Sharl II) [5]، وكان

---

[1] – الحجي، حياة، **العلاقات بين سلطنة المماليك والممالك الإسبانية**، 95.

[2] – توفيق، عمر كمال، **الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين**، 104.

[3] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 156 – 157 ؛ علي، محمد كرد، **خطط الشام**، ج2، 127 ؛ حمادة، محمد ماهر، **الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكي**، 485.

[4] – هو الفونسو الثالث ملك مملكة أراغون تولى الحكم بعد أبيه بدرو الثالث عام (684هـ/1285م) وكان حينذاك عمره عشرون عاماً. البستاني، **دائرة المعارف**، مج4، 269 ؛ النشار، محمد محمود، **علاقة مملكتي قشتالة وأرغون بسلطنة المماليك**، 97. وتظهر تسمية ذوفنش في المصادر الإسلامية: وهي التسمية التي أطلقها المسلمون على كل ملك أندلسي. ينظر: ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 156. للمزيد ينظر: ابن فضل الله العمري، **التعريف بالمصطلح الشريف**، 86 87 ؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، 484.

[5] – Rachard, Jean**, the latin kingdom of Jerusalem**,424.

لاشتراك الأشرف خليل مع والده في هذه المعاهدة ، من الأمور التي سهلت عليه، وجعلته أكثر دراية ومعرفة بالمعاهدات اللاحقة التي وقعت في عهده مع الأوروبيين [1] .

وبعد انتصارات الأشرف خليل على الفرنجة في المشرق، كان من الوارد أن تقوم هذه الممالك وملوكها بالالتفاف حول البابا، وتشكيل حملة صليبية تجتاح الشرق ، يشارك فيها ملوك أوروبا أجمع، إلا أن هذه الممالك فكرت في اجتياح الشرق بصورة تجارية اقتصادية ، من خلال التقرب من السلطة المملوكية، وعقد المعاهدات التي اتسمت بطابعها التجاري، خاصة أن إمارات الفرنجة التي امتدت على الساحل الشامي، والتي اعتمدت عليها أوروبا في تجارتها سابقاً قد انحلت، بعد تحرير الأشرف خليل لعكا وبقية المعاقل الفرنجية، ولا يوجد حل آخر للوصول لأهم الموانئ التجارية في السلطنة المملوكية، إلا من خلال الحلول الدبلوماسية [2].

ويبدو أن الدافع الإقتصادي كان الأساس في تقرّب الممالك الأوروبية من السلطنة المملوكية؛ فمن خلال عقد المعاهدات التجارية مع السلطنة المملوكية يستطيعون الوصول إلى موانئها، هذا رغم معارضة البابا نقولا الرابع (Nicolos IV) [3]، الذي كان يدعو ملوك أوروبا إلى تشكيل حملة صليبية، يستطيعون من خلالها إعادة السيطرة على الشام ومقدساتها، وبذلك حاولت هذه الممالك من خلال المعاهدات

---

[1] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 156، 163 ؛ الحداد، حمزة، **السلطان المنصور**، 101 ؛ حمادة، محمد ماهر، **الوثائق السياسية في العصر المملوكي**، 485 ؛ حجة، شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى ودولة إيلخانية فارس**، 261.

king ,E.G ,**Knight Hospitaleries** , 289

[2] – الحجي، حياة، **العلاقات بين سلطنة المماليك والممالك الإسبانية**، 77.

هايد، ف، تاريخ التجارة في الوسط الأدنى في العصور الوسطى، ج2،258.

[3] – هايد، ف، تاريخ التجارة في الوسط الأدنى في العصور الوسطى، ج2،260.

التجارية أن تفوت الفرصة على البابوية من خلال إدخال بعض النصوص التي ليس لها علاقة بالتجارة، مثل ضمان وصول الحجاج المسيحيين إلى المقدسات، وحماية هذه المقدسات من أي إعتداء. ومن ذلك بتيبن لنا أن الممالك الأوروربية حاولت قطع الطريق على الدعوات البابوية بالقيام بحملة صليبية، في وقت هي في أمس الحاجة في تحقيق مصالحهم الإقتصادية الضرورية ، دون الإلتفات لمصالح البابا في قيام هذه الحملة.

ومهما كان الدافع وراء إقامة هذه العلاقات بين الممالك الإسبانية والسلطنة المملوكية، فقد انتهى الأمر بعقد المعاهدة ، وضم الطرف الإسباني في المعاهدة الملك جيمس الثاني (Jemes II) [1] (691 – 726هـ /1292 – 1327م) ملك أراغون[2]، وكان أكثر من سابقيه في محاولة التودد للسلاطين المماليك، ودخل في المعاهدة أخواه دون فيدريك(Don Fedrek) ودون بيدرو (Don Bedro) وصهراه دون سانشو (Sansho) [3] ملك قشتالة (685 – 694هـ/1284– 1295م) [4]، ودون الفونسو (Don Alfonso) [5] ملك البرتغال [6]، والتزمت الأطراف المشاركة بمثل ما يلتزم به الملك جيمس الثاني

---

[1] – في نص المعاهدة يظهر اسمه دون حاكم الريداغون أي ملك أرغون. ينظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، 63.

[2] – شملت مملكة أرغون برشلونة، وأرغون، وشاطبة، وسرقطة، وبلنسبة وجزيرتي: دانية وميورقة. للمزيد ينظر: الزهري، محمد، **كتاب الجغرافيا**، 128 – 130 ؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، 270.

[3] – دون شانجة في **صبح الأعشى**، ج14، 63.

[4] – قشتالة: اقليم عظيم بالأندلس، مركزه طليطلة. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج4، 352.

[5] – دون أتفونش في **صبح الأعشى**، ج14، 64.

[6] – البرتغال: وهي في الجانب الغربي من قشتالة، وتشتمل على لشبونة. للمزيد ينظر، القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، 270.

(Jemes II) تجاه السلطنة المملوكية وكان ذلك في صفر /كانون الثاني عام (692هـ / 1293م) [1] ويمكننا توضيح أهم نصوص هذه المعاهدة من خلال عدة أمور:

1 – توفير الأمان للوافدين على السلطنة المملوكية من الممالك الإسبانية على أموالهم وأنفسهم ومما جاء في النص "..... **على أن تكون بلاد السلطان الملك الأشرف وقلاعه وحصونه وثغوره..... آمنة على الأنفس** " [2] في مقابل الحفاظ على أرواح رعايا السلطنة من أتراك وأكراد وعرب وغيرهم في ممالك إسبانيا [3].

2– أن يقوم حاكم أرغون ومن دخل معه في عهد الأشرف خليل، بردع أي هجوم عدواني يأتي من جهة أوروبا، ليضرب السواحل المملوكية، ويهددها "... **وعلى أن الملك دون حاكم**[4] **هو وأخواه وصهراه وصهراه أصدقاء من يصادق الملك الأشرف، وأولاده أعداء من يعاديهم من سائر الملوك الفرنجية، وغير الملوك الفرنجية، وأن قصد البابا، أو ملك من ملوك الفرنجة، متوجاً كان أو غير متوج كبيراً أو صغيراً، أو من الجنوية، أو من البنادقة، أو من سائر الأجناس على اختلاف الفرنجة والروم والبيوت: بيت الأخوة الديوية، والاسبتارية، والروم، مضرة بلاد الملك الأشرف لمحاربة أو أذية، يمنعهم الملك**

---

[1] – القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج14، 63.

هايد، ف، تاريخ التجارة في الوسط الأدنى في العصور الوسطى، ج2، 260.

[2] – القلقشندي، صبح الأعشى،ج14، 64 – 65.

[3] – المصدر نفسه، 65.

[4] – أي ملك أرغون كما ذكر في نص المعاهدة وهو الملك جيمس الثاني. للمزيد ينظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج14، ج14، 66.

دون حاكم هو وأخواه وصهراه ويردونهم... " [1] وكان الأشرف خليل، يريد من ذلك تقليد والده، في الحيلولة دون تجميع القوى الغربية لنصرة الفرنجة في الشام [2].

وأراد الأشرف خليل أن يزرع بذور الشقاق، بين الغرب الأوروبي وعلى رأسه البابا نقولا الرابع (Nicolas IV)، و بين الممالك الإسبانية الموقعة للمعاهدة، وبالتالي يحول دون اجتماعهم عليه، ومن جهة أخرى يبدو أنَّ الأشرف أراد أن يستفيد من قوة أسطول هذه الممالك لحماية سواحله [3]، خاصة بعد أن قام بتحرير الساحل الشامي من الفرنجة نهائياً، ومن الوارد أن تقوم أوروبا بتشكيل حملة لاسترجاعه بالتعاون مع إيلخانية فارس [4].

3 – تنظيم عملية حج رعايا الممالك الإسبانية نحو الأراضي المقدسة في بيت المقدس وإلزامهم بحصول الحجاج على إذن رسمي، مختوم من الملك جيمس الثاني (Jemes II)، يفيد برغبة الحاج لزيارة الأماكن المقدسة ومما جاء في النص: "**.... وعلى أنه إذا وصل من بلاد الملك وبلاد أخويه، وصهريه ومعاهديه، من الفرنج مَنْ يقصد زيارة القدس الشريف، وعلى يده كتاب الملك دون حاكم وختمه إلى نائب الملك الأشرف بالقدس الشريف، يفسح له في الزيارة مسموحاً بالحق ليقضي زيارته،**

---

[1] – القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج14، 66.

[2] – وضع المنصور قلاوون في معاهداته مع فرنجة الشام بنوداً تشترط عليهم عدم أخذ مساعدات من الغرب الأوروبي. ينظر: لشروط معاهدة عكا في **تشريف الأيام والعصور**، 34 – 42 ؛ الحداد، محمد حمزة، **السلطان المنصور قلاوون**، 101.

[3] – الحُجي، حياة، **العلاقات بين سلطنة المماليك والممالك الإسبانية**، 88.

[4] – Rachard, Jean, **the latin kingdom of Jerusalem**, 421.

حجة، شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى ودولة إيلخانية فارس**، 258.

ويعود إلى بلاده آمناً مطمئناً في نفسه وماله رجلاً كان أو امرأة بحيث أن الملك دون حاكم لا يكتب لأحد من أعدائه ولا من أعداء الملك الأشرف في أمر الزيارة بشيء..."[1] .

4- تنظيم العلاقات التجارية، وهذا ما سوف نتناوله في الفصل الثالث.

ومن خلال الاتفاقية يتبين لنا:

1- سعة وعي الأشرف وذكائه، وبعد نظره، بحيث استطاع تحديد عدد الرعايا الزائرين للمقدسات المسيحية، في عمل أشبه ما يكون بتأشيرات الدخول في وقتنا الحاضر، فمن خلال هذا الشرط يستطيع الأشرف خليل، أن يعلم أن الحجيج الزائرين هم فقط من الممالك الإسبانية المعاهدة، وهم الآن مسؤولون عن أي خلل يحدث في السلطنة.

2 – تحميل ملك أراغون، المسؤولية عن دخول أي شخص خارج نطاق مملكته والممالك المعاهدة.

3 – أثبت السلطان الأشرف خليل مرة أخرى حنكته السياسية، كما أثبت سابقاً خبرته العسكرية في الحروب، فصبت هذه المعاهدة في مصلحة السلطان الأشرف، بل إنها بينت من خلالها ثبات شخصيته وقوتها على الصعيد الداخلي والخارجي.

[1] – القلقشندى، **صبح الأعشى**، ج14، 69.

3- علاقات الأشرف خليل مع مغول فارس (إيلخانية فارس) وحلفائهم:-

أ- مغول فارس:-

بعد وفاة السلطان المغولي، أحمد تكوادار (Takodar) عام (683هـ/1284م)[1]، وتولي عرش إيلخانية [2] فارس أراغون خان (Aragon) [3]، تبدلت العلاقات من جديد بين دولة المماليك ومغول فارس، وعادت إلى سابق عهدها من العداء، وطالت الحرب بين الطرفين، شعر فيها المغول بقوة المماليك، على إثر الهزائم المتكررة التي لحقت بهم [4]، ممّا أعطى أراغون خان (Aragon) حافزاً للاستمرار على منوال سابقيه من المغول، في التفكير في تشكيل حملة مشتركة مع الغرب للقضاء على الدولة المملوكية، ومد نفوذه على حسابها في الغرب، فأرسل سفارة للغرب الأوروبي عام (684هـ/1285م)، وكتب إلى البابا هونوريوس الرابع (Honorius IV) (684-686هـ/1285-1287م)، يقترح عليه عملاً مشتركاً ضد المماليك [5]، ولحقت هذه السفارة ثلاث سفارات أخرى [6] كان آخرها في

---

[1] - ابن العبري، **تاريخ الزمان**، 344؛ قرطاي، **تاريخ مجموع النوادر**،195؛العسقلاني المصري،**الفضل الماثور**،160.

[2] - أيلخان: كلمة تركية تعني رئيس قبيلة أو عشيرة كانت لقباً لأمراء مغول إيران. للمزيد ينظر: التونجي، **المعجم الذهبي**، 86.

[3] - هو أرغون بن أبغا، بن هولاكو بن جنكيز خان سلطان المغول، وتولى بعد قتله لعمه تكوادار المسمى أحمد عام (683هـ/1284م) وتوفي عام (690هـ/1291م). للمزيد ينظر: ابن تغري بردي، **الدليل الشافي**، ج1 206 207.

[4] - حجة، شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى ودولة إيلخانية فارس**، 258.

[5] - العريني، السيد الباز، **المغول**، 306 - 307 ؛ الصياد، فؤاد، **الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين**، 192 ؛ حجة، شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى ودولة إيلخانية فارس**، 259.

[6] - أرسل أراغون خان سفارته الأولى للغرب الأوروبي عام (684هـ/1285م) وكتب إلى البابا هونوريوس الرابع (Honorius IV) يقترح عليه القيام بعمل مشترك ضد المسلمين، الجيوش المغولية تهاجم البلاد الشامية من جهتها والقوات البابوية والفرنجية تهاجم مصر في الوقت نفسه. ثم كرر سفارة أخرى يقودها الأسقف ربان سوما

شتاء عام (690هـ/1291م)، فوجد تشجيعاً من البابا نقولا الرابع (Nicolos IV) الذي تكلم مع ملوك أوروبا في هذه الحملة المشتركة، وخاصة إدوارد الأول (Edward I) ملك بريطانيا وفيليب الرابع (Phelep IV) ملك فرنسا اللذان قبلا بهذا الأمر [1]، إلا أن مشاكلهما الداخلية قد منعتهما عن التواصل، وانتهى المشروع بوفاة أراغون (Aragon) عام (691هـ/1292م)[2]، في الوقت الذي كان فيها الأشرف يحاصر عكا [3].

في نفس الوقت أراد السلطان الأشرف خليل، أن يحد من نفوذ مغول فارس، ويكبح جماح سلاطينها، الذين حاولوا التحالف مع الغرب ضده، إلى جانب أن انتصاره على فرنجة الساحل الشامي قد أعطاه دفعة لمحاربتهم، خاصة بعد تفويت الفرصة عليهم في تشكيل حملة مشتركة ضد دولة المماليك، وبتحرير الأشرف خليل للمعاقل الفرنجية على الساحل الشامي استطاع أخيراً أن يوفر حرية الحركة للقوات

=(Rabban Sauma) عام (686هـ/1287م)، الذي قابل ملوك أوروبا فيليب الرابع (Philip IV) وإدوارد الأول (Edward I) ثم قابل نيقولا الرابع (Nihcalos IV) خليفة البابا هونوريوس الرابع، وحصل على وعود بابوية للعمل المشترك، ثم انتهز أراغون فرصة سقوط طرابلس حتى يبعث بسفارته الثالثة للغرب الأوروبي برئاسة بوسكا ريلو جيز ولف (Buscarllo Ges Foulof) وقد تضمنت رسالة أراغون قراره بتحريك قواته تحت الشام في شتاء عام (690هـ/1291م) وذلك بشرط وجود القوات الأوروبية. للمزيد ينظر: حجة، شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى ودولة أيلخانية فارس**، 259 – 260 ؛ الصياد، فؤاد، **الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين**، 192 – 195.

[1] – Rachard, Jean, **the latin kingdom of Jerusalem**, 422.

[2] – الصياد، فؤاد، **الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين**، 194 ؛ رنسيمان، ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3، 679 ؛ حجة، شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى إيلخانية فارس**، 261.

[3] – البرزالي، **المقتفي**، ج1، 233 ؛ ابن حبيب، **درة الأسلاك**، ج1، ورقة 160 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2 231.

المملوكية، دون أن تُضرب من جهة الساحل الشامي أثناء زحفها نحو بغداد[1]، وبدأ الأشرف خليل مشروع مهاجمة مغول فارس متخوفاً من اتحاد مغولي صليبي أوروبي، انتقاماً لتحرير عكا والمدن الساحلية، مستغلاً وفاة إيلخان فارس الملك أراغون خان(Aragon)، وعدم استقرار الأوضاع في بلاده، فاستجمع السلطان الأشرف خليل قواه للخروج نحو المشرق، ومن أجل حشد الهمم أمر الخليفة العباسي بالدعوة إلى الجهاد في سبيل الله والتحريض على إستعادة بغداد [2].

وحاول إيلخان فارس كيخاتو (kekhatu) [3]، أن يناور السلطان الأشرف خليل بعد تحريره لقلعة الروم فبعث له برسالة يطلب فيها حلب منه، فرد عليه السلطان الأشرف خليل مستهزئاً حيث قال: "....**الحمد لله الذي وافق أخي القان [4]، ما كان في نفسي وكنت قد عزمت مع أمراء دولتي، أن أسير طالباً من أخي بغداد، وإن لم يسمح لي بها، ركبت ودخلت بعسكري وأخربت بلاده وقتلت رجاله وفتحتها**

---

[1] – المولى، سالم ، **العراق في السياسة المملوكية** 784/656هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل العراق، 1989، 110.

[2] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 129 ؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1، 233 ؛ ابن العماد، **شذرات الذهب** 74، 719 ؛ ابن سباط، **صدق الأخبار**، ج1، 479.

[3] – كيخاتو: هو الابن الثاني لاباقا خان بن هولاكو بن تولوي خان، تسلطن بعد وفاة عمه أرغون عام (690هـ1291م) ومالت طائفة إلى بيدو ابن أخيه ثم وقع الخلاف بينهما حتى استطاع بيدو الإطاحة به ؛ وذلك أواخر (693هـ /1294م) للمزيد ينظر: االذهبي، **دول الإسلام**، ج2، 220 ؛ ابن حبيب، **درة الاسلاك**، ج1، ورقة 160 ؛ الصياد، فؤاد، **الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين**، 205.

[4] – القان: قان أو خاقان، لفظ فارسي تركي معرب وجمعها قواقين أو خواقين: وهو لقب تلقب به ملوك الترك والصين. للمزيد ينظر: التونجي، محمد، **المعجم الذهبي**، 231، 232 ؛ البقلي، محمد قنديل، **التعريف بمصطلحات صبح الأعشى**، 267 ؛ الخطيب، مصطفى، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، 157.

قهراً وجعلت فيها نائباً من جهتي، فإن بغداد هي دار الإسلام وأرجو أن أعيدها للإسلام، كما كانت، ولكن إذا وصلتم إليه عرفوه من يسبق إلى بلاد صاحبه ويدخل فيها...." [1].

ويتضح هذا من خلال مكاتبته لقاضي قضاة دمشق شهاب الدين بن الخويّ ، بعد تحرير قلعة الروم والذي أبدى فيها اهتماماً كبيراً ، مما يجعلها بوابة الأشرف خليل نحو إيلخانية فارس حيث قال: **".... فإنَّه بفتح هذه القلعة وتوقلها وحيازة ثغرها، ومعقلها، تحقق من بسيحون وجيحون، إنهم بفتح أقفالها، أقفال هذه القلعة، لا يرجون أنَّهم ينجون، وما يكون بعد هذا التحرير، إن شاء الله، إلا بفتح المشرق والروم والعراق...."** [2].

ويبدو أن انشغال إيلخان فارس كيخاتو (Kekhatu) بالأوضاع الداخلية في بلاده ، ومؤامرات الطامعين من الأمراء بعرشه [3]، والأحوال الاقتصادية التي تمثلت بقلة المخزون النقدي، هذا أدى إلى إثارة معارضيه [4] ثم وقوعه ضحية لمؤامراتهم عام (694هـ/1295م) [5]، قد منعته في التفكير بشكل جدي لغزو السلطنة المملوكية، في المقابل فإن مقتل الأشرف مبكراً على أيدي الأمراء، حالَ دون مهاجمة

---

[1] – المقريزي، **المقفى الكبير**، ج3، 803 – 804 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 187.

[2] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 231؛ ابن الفرات، **تاريخ الفرات**، مج8، 137.

[3] – ينظر: الهمذاني، **جامع التواريخ**، مج2، ج2، 173 والصفحات التي تلتها ؛ حجة، شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 268 – 269 ؛ عاشور، فايز، حماد، **العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى**، 128.

[4] – جبران، نعمان، **محاولات المغول، (إيلخانية فارس) للتحالف مع القوى الأوروبية لاقتسام بلاد الشام**، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد 20، 1997، 258.

[5] – الهمذاني، **جامع التواريخ**، مج2، ج2، 187.

السلطنة المملوكية لإيلخانية فارس بالرغم من أن كثيراً من المؤرخين، أكدوا أنه لو طالت أيام الأشرف لاستطاع تحرير العراق[1].

ب- جهود الأشرف خليل لتحرير قلعة الروم كحلفاء لمغول فارس:-

تقع قلعة الروم في الأناضول وتعرف باسم هروم كلين (Horo Kly) باللغة الأرمنية وتفسيرها قلعة الروم، وكانت في الأصل ثلاث قلاع حصنها الأرمن بأسوار، حتى أصبحت قلعة واحدة[2]جاء ذكرها في المعاهدة التي وقعها الملك المنصور قلاوون وملك سيس [3] ليفون بن هيثوم حيث جاء في النص "**.... على أن قلعة الروم وخليفة الأرمن الكتاغيكوس (catholocos) [4] المقيم بها ورهبانه، ومن يتعلق به بهذه الجهة، وبمالها وبها من الرعية والفلاحين يكونون داخلين في حكم هذه الهدنة....**" [5] .

---

[1] – ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 42 ؛ حجة، شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 270.

[2] – العيني، **عقد الجمان**، ج3، 110.

[3] – سيس: وهي بلدة كبيرة ذات قلعة وأسوار ثلاثة على جبل مستطيل ولها بساتين ونهر صغير وهي بلدة ملك الأرمن وقاعدة ملكه. للمزيد ينظر: أبو الفداء، **تقويم البلدان**، 256 – 257 ؛ ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار**، 67 ؛ ابن الشحنة، **الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب**، 190.

[4] – كيثاغيكوس: وهو لفظ يدل على بطريرك الأرمن وهو الرئيس الأعلى لطائفة الأرمن ويطلق عليه الأرمن الكاتاغيكوس، أما المصادر الإسلامية فتارة تطلق عليه باسم بطرك الأرمن وتارة أخرى كيتاغيكوس أو كتاغيكو أخذا من الأرمن. للمزيد ينظر: ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 101 ؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 137 ؛ الغزي، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، 171 ؛ البستاني، **دائرة المعارف**، مج3، 209.

[5] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 101.

وكان سكانها من الأرمن يميلون إلى " **مخادعة الجار وموادعة التتار** " [1] إشارة إلى تعاونهم مع مغول فارس ضد السلطنة المملوكية، وكان يحكمها بطريرك [2] هو ستيفانوس الرابع (Stephanos IV) (689 – 692 هـ /1290– 1293م) [3]، وكان كثيرٌ من مغول فارس قد نزحوا إلى قلعة الروم خلال حرب المنصور معهم فاتفقوا مع أهلها من الأرمن على قطع الطريق على المسلمين [4]، وبذلك قطعوا الطرق ونهبوا وأخافوا الناس واختطفوهم، فأرسل الأمير قرا سنقر نائب حلب بذلك إلى السلطان الأشرف، الذي اتفق رأيه مع الأمراء بالزحف نحوها [5].

أ- استعدادات الأشرف لتحرير قلعة الروم:-

كتب الأشرف إلى نائب حلب الأمير قرا سنقر، ونائب دمشق الأمير علم الدين الشجاعي ، وإلى صاحب حماة الملك المظفر بن المنصور بتجهيز آلات الحصار، وأعطى الأوامر في القاهرة للاستعداد، وأنفق على الجيش مرة أخرى [6]، ونزل إلى القبة المنصورية مع الخليفة العباسي الحاكم بأمر الله، الذي

---

[1] – ينظر نص خطاب علم الدين الشجاعي قاضي قضاة دمشق شهاب الدين الخويي. مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 14 ؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 140؛ حجة شوكت، العلاقات بين دولة المماليك الأولى وايلخانية فارس،266.

[2] – الذهبي، **المختار من تاريخ ابن الجزري**، 333 ؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، ج1، 87 – 88 ؛ الشهابي **الغرر الحسان**، ج1 468.

[3] – اسكندر، فايز، **الأشرف خليل بن قلاوون وتحرير قلعة الروم**، 94.

[4] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 130 ؛ **زبدة الفكرة**، 288، مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 14.

[5] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31؛ حجة، شوكت، العلاقات بين دولة المماليك الأولى وايلخانية فارس،266.

[6] – ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 135 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 111 ؛ الغزي، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، **حلب**، 170.

بدوره خطب بالمسلمين، وحث على الجهاد [1]، ثم خرج من القاهرة قاصداً دمشق، يوم السبت 8 ربيع الآخر / 23 آذار من عام (690هـ/1291م) [2] وأثناء سيره نحوها جاءه الخبر بأن مغول فارس قد أغاروا على الرحبة [3]، وسلبوا المسلمين مواشيهم وقتلوا عدداً منهم [4].

وصل الأشرف دمشق في 6 جمادى الأولى / 25 نيسان من عام (691هـ/1292م)، بعد أن أشرف على إنهاء تجهيزات العساكر الشامية والمصرية، وأنفق عليها، ثم خرج قاصداً حلب[5]، وحول طريقه نحو حماه، وكان الملك المظفر بن المنصور في استقباله، ومدت الأسمطة[6]، في ضيافته [7]، ثم ثم خرج منها ووصل إلى حلب في 28 جمادى الأولى/ 17 أيار[8]، وخرج منها نحو قلعة الروم؛ ليصل إليها في 8 جمادى الآخرة/ 27 أيار [9]، واجتمعت الجيوش عليها، من المماليك والعرب من بني كلاب

---

[1] – ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج37،14 ؛ الشهابي، **الغرر الحسان**، ج1، 468.

[2] – مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 9 ؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 120.

[3] – الرحبة: قرية قريبة من القادسية على بعد مراحل من الكوفة. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج3، 33.

[4] – النويري، **نهاية الإرب**، ج31، 243 ؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1، 275، 302، 275.

[5] – ابن منكلي، **الأدلة الرسمية في التعابي الحربية**، 134 ؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 136 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 233 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 112.

[6] – الأسمطة: مفردها سماط ومعناها المائدة للسلطانية، أو مايبسط على الأرض لوضع الأطعمة وجلوس الآكلين. البقلي، البقلي، محمد قنديل، **التعريف بمصطلحات صبح الأعشى**، 185.

[7] – أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج4، 36 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 112 ؛ الطباخ الحلبي، محمد، **إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**، ج2، 275.

[8] –. مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 10 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 233.

[9] – مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 10 ؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج 8، 136.

[1]، وآل فضل [2] وآل مهنأ[3] وآل مُرا [4]، وكانوا يقطنون في البر الشامي والجزيرة الفراتية، وقد شارك شارك الأمراء التُركمان في حصار هذه القلعة[5].

ب- حصار قلعة الروم وسقوطها:-

كانت قلعة الروم من القلاع الحصينة حتى قيل إنها كانت أكثر حصانة من عكا [6]، فموقعها كان على قمة جبل عالٍ [7] ، تتخللها الأودية السحيقة من تحتها، ممّا أعطاها تلك الحصانة والمنعة، وحدّها نهر الفرات من شرقيها الذي استدار حولها كالسيف، والتف نهر مزربان [8] حولها من الجهة الغربية كالسور، "**.... وتحتويها قمم الجبال وتغطيها من كل جانب، فلا تنظرها الشمس، ولا القمر وقت الشروق، ولا يشاهدها وقت الأصيل، وحولها من الأودية خنادق، لا يعرف فيها الهلال إلا بوصفه ولا**

---

[1] – بنو كلاب: عرب على أطراف حلب والروم، وفيهم من يتكلم التركية ويركبون الأكاديش. للمزيد ينظر: ابن فضل الله العمري، **قبائل العرب**، 143 ؛ القلقشندي، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، 407.

[2] – آل فضل: وهم بطن من آل ربيعة على أربعة أفخاد: آل فضل وآل مرا وثابت ،دغفل وآل فضل هم آل مهنأ ،وآل علي وآل فرج وآل السميط وآل مسلم وآل عامر، ومنازلهم من حمص إلى قلعة جعبر، إلى الرحبة آخذين إلى شقي الفرات وأطراف العراق، حتى ينتهي حدهم قبلة بالشرق إلى الوشم آخذين يساراً إلى البصرة. للمزيد ينظر: ابن فضل الله العمري، **قبائل العرب**، 114، 116 ؛ القلقشندي، **قلائد الجمان**، 76 ؛ **نهاية الأرب**، 110 ؛ الكحالة، عمر رضا، **معجم قبائل العرب**، ج3، 922.

[3] – آل مهنأ: وهم آل مهنأ بن عيسى بن فضل، وتنسب إليهم إمرة العرب في ذلك الزمان ، فكانوا أرفعهم شأناً. للمزيد ينظر: ابن فضل الله العمري، **قبائل العرب**، 116 ؛ القلقشندي، **قلائد الجمان**، 76 – 77.

[4] – آل مُرا: وهم بنو مرا بن ربيعة وكانت مساكنهم في بلاد الجيدور والجولان إلى الزرقا. للمزيد ينظر: القلقشندي، **قلائد الجمان**، 79 ؛ **نهاية الأرب**، 111 ؛ الكحالة، عمر رضا، **معجم قبائل العرب**، ج3، 1064.

[5] – العيني، **عقد الجمان**، ج3، 115.

[6] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 30 ؛ النويري، **نهاية الإرب**، ج31، 229.

[7] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 30 ؛ **زبدة الفكرة**، 288 ؛ أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج4، 37.

[8] – نهر مزربان: نهر صغير يصب في الفرات، يلتف حول قلعة الروم. للمزيد ينظر: أبو الفداء، **تقويم البلدان** 268 – 269. القلقشندي، **صبح الأعشى** ج4، 119.

الشهر إلا بنصفه....الفرات من شرقيها كالسيف في كف طالب ثأر، واكتنفها من جهة الغرب، نهر آخر استدار نحوها كالستور وانعطف معها السور ..... " [1].

وفي محاولة للتضييق على من بداخل القلعة من الأرمن والمغول ، وإجبارهم على الاستسلام عمل المماليك على جر مياه نهر الفرات نحو الأودية فامتلأت بالماء [2]، وبوجود نهر مزربان استطاع المسلمون إحكام السيطرة على المكان، ونصبوا عليها عشرين منجنيقاً[3].

ووقف صاحب حماه الملك المظفر بن المنصور في شمالها، على رأس الجبل كاشفاً القلعة، ومعه منجنيق واحد،إستطاع نصبه مع الحمويين بعد مشقة كبيرة [4]، وتمركز السلطان الأشرف خليل في الجهة الجهة الشرقية، على إحدى جوانب نهر الفرات، ونصب منجنيقاً واحداً، وعلى الطرف الآخر للجهة الشرقية نصب الأمير بدر الدين بيسرى منجنيقاً آخراً، في حين نصب الأمير عز الدين الأفرم ، منجنيقين على الجهة الجنوبية، إضافة إلى خمسة عشر منجنيقاً على طول أسوار القلعة بين السلطان والأمراء[5].

---

[1] – ينظر نص مكاتبة علم الدين الشجاعي لقاضي القضاة شهاب الدين الخويّ؛ مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 13 _14؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 231 – 235؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات** مج8، 140.

[2] – ينظر نص مكاتبة الأشرف خليل، إلى قاضي القضاة بدمشق شهاب الدين الخويّ ، مبشراً بتحرير المدينة وفيها ذكر جر مياة الفرات لأوديتها وخنادقها. ينظر ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 137 – 139.

[3] – ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 136 ؛ المقريزي، **الخطط**، ج3، 94.

[4] – أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج4، 37 ؛ الطباخ الحلبي، محمد، **إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**، ج2، ج2، 275.

[5] – مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 16؛ ابن ايبك الدواداري، **كنز الدرر**،ج333،8؛ ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 109.

وبدأ الحصار يوم 8 جمادى الآخرة / 27 أيار، عانى فيها المسلمون كثيراً من الأمور كانت أهمها الأمطار والبرق والرعد، والصواعق التي وصلت إلى خيام المسلمين وكان حصيلتها ثلاثة أرواح من المسلمين وحرق بعض الخيام [1]؛ بالإضافة إلى كثافة المياه وتشكل السيول بسبب ذوبان الثلوج [2]، كما أن مقاومة أهل القلعة المنتشرين على أسوارها كانت شديدة، فكانوا يرمون المسلمين بالسهام مما أدى إلى إعاقة عمل النقابين [3]، واستخدم المسلمون المعاول في نقب حجارة أسوار القلعة، ولم تؤثر المعاول في الحجارة الصلبة، مما أدى إلى إنهاك العساكر وإعاقة عملهم [4].

وأثناء زحف القبائل العربية من بني كلاب وآل مُرا وآل فضل، شاهدوا في طريقهم جيشاً مغولياً يقترب من المسلمين، فأخبروا السلطان الأشرف خليل الأمر الذي أدى إلى تشوش لدى العساكر المملوكية؛ بسبب الخوف من الدعم المغولي لسكان القلعة من الخلف، وخرج بعض الأمراء مع فرقة إسلامية بأمر من السلطان لملاقاة المغول، وحماية ظهور المسلمين، ومن هؤلاء الأمراء: سنقر الأشقر، وبدر الدين بكتاش، وبيبرس المنصوري، وجماعات آل مهنأ، وآل فضل، وبنو كلاب، وآل مُرا، وكانوا قد ساروا شرقاً، إلا أن الأمراء لم يجدوا أحداً من المغول فرجعوا للحصار [5].

---

[1] – ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 109.

[2] – العيني، **عقد الجمان**، ج3، 114؛ مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 15.

[3] – العيني، **عقد الجمان**، ج3، 113.

[4] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 131 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 113 ؛ ينظر المكاتبة علم الدين الشجاعي لقاضي القضاة شهاب الدين الخوبيّ، وفيها يصف معاناة المسلمين في نقب أحجار أسوارها. للمزيد ينظر: مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 15.

[5] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 31 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 115.

ويذكر البدر العيني (ت 855هـ/1451م) أن هذه الفرقة لم تكن مغولية بل كانت من ملك سيس الأرمني هيثوم الثاني (Hethium II) (688–701 هـ/1289 – 1301م) هو من أرسل هذه الفرقة، والتي تكونت من ثلاثة آلاف مقاتل، وألبسهم ملابس مغولية؛ لإخافة المسلمين من أجل عدولهم عن حصار القلعة [1]، لكن المؤرخ بيبرس المنصوري الذي شارك في الحملة، أَكَّد أن عشرة آلاف مقاتل مغولي بقيادة القائد المغولي نيتش زحفت نحو المسلمين أثناء حصارهم قلعة الروم، ولما شاهدت العساكر المملوكية قد ملأت المكان، رجعوا على أعقابهم، ويستدل بيبرس المنصوري لهذا الأمر أنه بعد نهاية سلطنة الأشرف خليل التقى شخصياً أحد أفراد الجيش المغولي، والذي ترصد أثناء حصارهم قلعة الروم، ويقال له سيف الدين جنكلي بن البابا، وحدّث بيبرس المنصوري أنه كان أحد أفراد ذلك الجيش [2]، ومن الثابت تاريخياً أن سيف الدين جنكلي بن البابا قد دخل مصر وقابل السلطان الناصر محمد عام (709هـ/1310) [3]، وكان بيبرس المنصوري وقتها كاتباً للسر [4].

وبزوال الخطر المغولي، ارتفعت معنويات العساكر المملوكية، واجتهدوا في نقب الأسوار، وكثف رمي الحجارة بالمنجنيقات على القلعة، كي يشغل سكان القلعة، وخاصة الرماة الواقفين على أسوارها الذين أزعجوا النقابين وعطلوا عملهم [5]، في محاولة لتسريع عملية النقب. وعمد الأمير علم الدين الشجاعي نائب دمشق، على بناء سلسلة وصلت إلى أعالي القلعة، وثبتها على الأرض وحمّلها بالأجناد وقاتلوا قتالاً

---

[1] – **عقد الجمان**، ج3، 115.

[2] – **التحفة الملوكية**،131؛ **زبدة الفكرة**،289؛حجة شوكت،**العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 267.

[3] – ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر**، ج9، 113.

[4] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 210.

[5] – العيني، **عقد الجمان**، ج3، 113.

شديداً [1]، ثم استطاعوا أن يصلوا إلى أسوار القلعة، وفُتِحَت الأبواب أمام العساكر المملوكية التي بدورها اقتحمت القلعة، وأصبحت المعركة مفتوحة أمام الطرفين، كانت الغلبة فيها للعساكر المملوكية التي استطاعت السيطرة على القلعة عدا قمتها، وتحصن فيها بطريرك القلعة استيفانوس الرابع (Stephanos IV)، وبعض الهاربين، لكن سرعان ما طلب البطريرك الأمان له ولسكانها فأمنوا، ووقعوا في الأسر [2]، وبلغ عددهم ألفاً ومائتي أسير [3]، وكان التحرير يوم السبت 11 رجب / 29 حزيران من عام(690هـ/ 1291م) بعد حصار استمر ثلاثة وثلاثين يوماً [4].

وأمر السلطان الأشرف خليل الأمير علم الدين الشجاعي، ببناء قلعتها بعد خرابها بسبب النقوب على أثر الحصار [5]، ثم أطلق عليها اسم قلعة المسلمين الأشرفية [6]، وحتى تكون منيعة في وجه المغول، عَيَّن عليها سيف الدين طوغان [7]، وعزل نائب حلب الأمير شمس الدين قراسنقر وعين مكانه

---

[1] – بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**، 288 ؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 136 ؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 227؛ حجة، شوكت، العلاقات بين دولة المماليك الأولى وايلخانية فارس،266.

[2] – أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج4، 37 ؛ ابن سباط، **صدق الأخبار**، ج1، 499 ؛ الطباخ الحلبي، محمد، **إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**، ج2، 275؛ ابن خلدون، **تاريخ العبر**، مج10، 871 ؛ علي، محمد كرد، **خطط الشام**، ج2، 136.

[3] – مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 16 ؛ بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 131 ؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج5، 274.

[4] – ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 137.

[5] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 227 ؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1، 282 ؛ ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج1، 149 ؛ **درة الأسلاك**، ج1، ورقة 166.

[6] – بيبرس المنصوري، **مختار الأخبار**، 93 ؛ الغزي، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، 170.

[7] – البرزالي، **المقتفي**، ج1، 283؛ الذهبي، **المختار من تاريخ ابن الجزري**،358.

الأمير بلبان الطباخي أمير الحصون سابقاً، والمعروف بخبرته العسكرية [1]، وكان الأشرف خليل قد عزم، على تحصين هذه الجهات في وجه المغول استعداداً للحرب القادمة مع إيلخانية فارس؛ فأمر ببناء الجسور لتسهيل عبور نهر الفرات[2]، وترك كتيبة إسلامية من العساكر المملوكية ، بالقرب من حمص ثم توجهوا إلى حلب وكانت مهمتهم ترويع المغول وإخافتهم[3].

وانعكس نصر تحرير قلعة الروم على شخصية الأشرف، وزادت ثقتة بنفسه وبدت خطواته غير المحسوبة تظهر للعيان، مما وضعه في مأزق كبير مع الأمراء ، كما فعل عندما عزل نائب حلب قرا سنقر[4]، الذي كان صديقا للأمير حسام الدين لاجين، وكان قد صادره الأشرف من قبل [5]، وهذا ما أدى إلى قتله في نهاية الأمر على أيديهم.

د- **الاحتفال بنصر قلعة الروم:-**

لم يَقِلْ فتح قلعة الروم عن تحرير عكا إذ زينت المدن، وحُمِلَت الشّموعُ في شوارع دمشق والقاهرة احتفاءً بقدوم السلطان الأشرف [6]، وهذا ما لم تجرِ عليه العادة عند غيره من السلاطين [7]، وقد صور

---

[1] – بيبرس المنصوري،**زبدة الفكرة**،290؛ابن حبيب،**تذكرة النبيه**،ج153،1؛ابن الفرات،**تاريخ ابن الفرات**،مج8، 145.

[2] – الذهبي، **المختار من تاريخ ابن الجزري**، 343 ؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، 40.

[3] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 133؛ أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج4، 39.

[4] – ابن حبيب، **درة الاسلاك**، ج1، ورقة 168 ؛ حيدر الشهابي، **الغرر الحسان**، ج1، 468.

[5] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 129 ؛ ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 17 ؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام، الإسلام، حوادث** 681 – 690 ؛ 45 – 46.

[6] _ مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك** ؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 243.

[7] – ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، 45.

الشعراء الملك الأشرف بالبطل، ووصفوا المعارك التي خاضها، ومن هؤلاء شهاب الدين محمود الحلبي بقصائد منها:

[البحر الطويل]

لك الرَّايةُ الصَّفراءُ يقدمها النصر فمن كيقُباذُ إن رآها وكيُخسرو[1]

إذا خفقت في الأرض[2]هدت بنودها هوى الشِّرك واستعلى الهُدى وانجلى الثغر

وإن نُشرت مثل الأَصائل في وَغىً جلا النَّقع من لألاء طَلْعتها البدرُ [3]

وقال أيضاً:

[البحر الطويل]

كأنَّ المجانيق التي قُمن حولها رواعدُ سُخطٍ وبلها النار والصَّخر [4]

فأحرزتها بالسيف قهراً [5] وهكذا فتوحك فيما قد مضى كله قسر

غدت بشعار الأشرف الملك الذي له الأرضُ دارٌ وهي من حسنها قصرُ

---

[1] – في هذا البيت يقصد بكيقُباذُ وكيُخسرو ملوك سلاجقة الروم. ابن تغري بردي، **الدليل الشافي**، ج1، 165، ج2، 563.

[2] – **الأفق في تاريخ سلاطين المماليك**، 17.

[3] – ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 112 ؛ ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر**، ج8، 334 ؛ ابن شاكر الكتبي، **عيون التواريخ**، ج23، 109.

[4] – ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 112 – 114 ؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام حوادث** 61 – 700هـ، 17 – 18 ؛ ابن شاكر الكتبي، **عيون التواريخ**، ج23، 113؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، 46 – 47.

[5] – **قسراً في البداية والنهاية**، ج14، 47.

وأضحت بحمد الله ثغراً مُمنَّعاً تبيدُ الليالي والعدا وهم مفترُّ

وكانت قذىً في ناظر الدين فانجلى وذخراً لأهل الشِّرك فانعكس الأَمر [1]

فيا أشرف الأملاك بشراك غزوةٍ[2] تَحصَّل منها التحرير والذكر والأجرُ

ليهنك عند المصطفى أنَّ دينـــه توإلى له في يمن دولتك النصرُ

وبشراك أَرضيْتَ المسيحَ وأحمدا وأن أغضبت التكفور[3]من ذاك والكفر[4]

4- علاقة الأشرف خليل مع مملكة أرمينيا الصغرى [5] :-

قامت مملكة أرمينيا الصغرى بين جبال طوروس والبحر المتوسط وامتدت حتى حدود إمارة أنطاكية [6] ، وكان أهلها من سكان آسيا الصغرى المسيحيين[7]، وقد تميزت علاقة دولة سلاطين المماليك المماليك ببلاد الأرمن المسيحية بالعداء الشديد، وجاء هذا العداء إبان الحروب الصليبية، وذلك لتحالف

---

[1] – ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 115 ؛ ابن شاكر الكتبي، **عيون التواريخ**، ج23، 115؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، 47.

[2] – **فزت بغزوة في البداية والنهاية**، ج14، 47.

[3] – **النقفور في البداية والنهاية**، ج14، 47.

[4] – مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 20.

[5] – وأطلق عليها هذا الاسم للتمييز بينها وبين مملكة أرمينيا الكبرى القديمة والتي نشأت في آسيا الصغرى وتم تقويضها على يد السلاجقة في (29 شعبان 456هـ /16 آب 1061م). ينظر: اسكندر، فايز، الأشرف خليل بن قلاوون وتحرير قلعة الروم، **حولية التاريخ الإسلامي والوسيط**، مج 1، ق 1، جامعة عين شمس، القاهرة،2000–2001، 70.

[6] – ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج3، 297.

[7] – رنسيمان، ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3، 308.

مملكة الأرمن مع البابوية والفرنجة [1]، الذين كانت لهم إمارات في بلاد الشام، وكذلك لتواطئهم مع المغول، واشتراكهم معهم في العديد من الحملات التي استهدفت بلاد الشام، واجهت مملكة أرمينيا الصغرى تهديداً مباشراً من قبل السلطنة المملوكية [2].

وفي عهد السلطان الأشرف خليل حاول ملك أرمينيا الصغرى[3] هثيوم الثاني (Hethum II) (688-701هـ/1289 – 1301م) [4]، أن يتنصل من دفع الجزية المقررة للدولة المملوكية في اللحظة التي توفي فيها المنصور قلاوون [5]، وعندما فتح الأشرف خليل عكا ومعاقل الصليبيين على الساحل

---

[1] _الحايك، منذر **العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية**،114؛ هايد، ف، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ج2، 252.

[2] – حجة، شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 270-271.

[3] – تعددت الألقاب التي أطلقها المسلمون على ملك مملكة أرمينيا الصغرى، منها ابن لاون أو ليفون ولاون هما تحريف للفظ ليون LEON أول ملوك أرمينيا الصغرى فصار كل ملك من ملوكها يعرف بابن لاون، ومن هذه الألقاب متملك سيس ذلك أن المسلمين لم يعتبروا من جلس على تلك البلاد ملكاً، وقيل أيضاً صاحب سيس وتكفور وهو لقب عام قصد به كل من جلس على عرش تلك المملكة. للمزيد ينظر: ابن فضل الله العمري، **التعريف بالمصطلح الشريف**، 80 ؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج8، 31 – 32 ؛ الخطيب، مصطفى، **التعريف بمصطلحات صبح الأعشى**، 78.

[4] – هيثوم الثاني: اعتلى عرش مملكة أرمينيا الصغرى بعد أبيه ليون الثالث سنة (688هـ/1289م) ولكنه تنازل عنه سنة (691هـ/1292م) لأخيه طوروس ثم استرجع حكمه عام (694هـ/1295م) ثم استبد أخوه سمباد بالحكم عام (696هـ/1297م) حتى تدخل البارونات الأرمن وأرجعوا هيثوم الثاني للحكم. للمزيد ينظر: اسكندر، فايز، **الأشرف خليل بن قلاوون وتحرير قلعة الروم**، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، مج 1، ق 1،جامعة عين شمس، القاهرة، 2000 – 2001، هامش 76.

[5] – ابن حبيب، **درة الأسلاك**، ج1، ورقة 174 ؛ أبو عليان، **عزمي مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين**، 94 ؛ حمزة، عادل، **نيابة حلب في عصر سلاطين المماليك**، ج1، 150.

وجه رسالة إلى الملك هيثوم الثاني (Hethum II) يتوعده بأن تكون الضربة الثانية له [1]، وأن يعتبر من هزيمة الفرنجة في عكا وجاء في رسالته "... **وأنتَ أيها الملك إذا لم تعتبر بعكا.... وتندم ندامة أهل عكا حيث لا ينفع الندم فتحمل القطيعتين** [2] **الأولى والثانية، وتحضر بنفسك إلى أبوابنا، وإن أطعت المخالفة لإبليس ليطيلن حزنك على بلاد سيس...**" [3].

لقد أدرك الملك الأرمني جسامة الخطر الذي يحيط ببلاده من قبل المماليك بسقوط قلعة الروم[4] في قبضة السلطان الأشرف خليل [5]، ولا شك أن الضربات التي وجهها المماليك إلى بقايا المعاقل الصليبية في بلاد الشام قد هزته هزاً عنيفاً، من الأرمن؛ فكان على يقين أن حملة محققة تلوح بالأفق[6]، فأسرع بإرسال البعوث والهدايا، للسلطان الأشرف خليل [7].

استعد السلطان الأشرف خليل لحملة جديدة نحو أرمينيا، بعد أن وصله كتاب من نائب حلب الأمير بلبان الطباخي يبلغه فيه أن الملك الأرمني، قد تعرض لبعض التجار، وأخذ أموالهم ويستأذنه فيه

---

1 – Holt , p. m , **The Age of the crusades** , 105; Rachard, Jean**, the latin kingdom of Jerusalem**, 430.

2 – القطيعة: وهي الأتاوة السنوية، والأتاوة هي الجزية المأخوذة كرهاً يأخذها الغالب من المغلوب. للمزيد ينظر: الخطيب، مصطفى، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، 17.

3 – مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 8 ؛ ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر**، ج8، 321.

4 – أبو عليان، عزمي، **مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في عهد المماليك**،95؛ اسكندر، فايز، **الأشرف خليل بن قلاوون وتحرير قلعة الروم**، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، مج 1، ق 1، جامعة عين شمس، القاهرة، 2000 – 2001،98_99

5 – مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 22 ؛ ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر**، ج8، 341 ؛ ابن حبيب، **درة الأسلاك**، ورقة ورقة 181.

6 – أبو عليان، عزمي، **مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في عهد المماليك**، 94.

7 – النويري، **نهاية الإرب**، ج31، 249 ؛ الذهبي، **دول الإسلام**، ج2، 218 ؛ المقريزي، **المقفى الكبير**، ج3، 799.

لردع الأرمن[1]، غير أن السلطان الأشرف خليل أراد بنفسه الخروج نحو سيس عاصمة أرمينيا[2]، وزحف من مصر إلى الكرك حتى وصل إلى دمشق، وفي الوقت نفسه أسرع الملك الأرمني بإرسال البعوث والهدايا للسلطان الأشرف خليل، فوصل رسل الملك الأرمني هثيوم الثاني (Hethum II)، الذي أبدى استعطافاً للسلطان الأشرف خليل حتى لا يغزو بلاده مقابل مضاعفة الجزية وطلب العفو[3]، وزحف من مصر إلى الكرك، حتى وصل إلى دمشق، فالتقى رسل الملك الأرمني فيها، واتفق الطرفان على مضاعفة الجزية، وتسليم ثلاث قلاع [4]، كانت أرمينيا تسيطر عليها هي: قلعة بهسنا [5]، ومرعش [6] وتل حمدون[7] وسير الأشرف سيف الدين طوغان، والي بر دمشق مع الرسل حتى يتسلمها[8]، وسير بدر

---

[1] – العيني، **عقد الجمان**، ج3، 148؛ حجة، شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الاولى وإيلخانية فارس**، 271.

[2] – العيني، **عقد الجمان**، ج3، 150.

[3] – النويري، **نهاية الإرب**، ج31، 249 ؛ الذهبي، **دول الإسلام**، ج2، 218 ؛ المقريزي، **المقفى الكبير**، ج3، 799؛ حجة، شوكت، العلاقات بين دولة المماليك الأولى وايلخانية فارس،271.

[4] – المقريزي، **المقفى الكبير**، ج3، 799؛ ابن العماد، **شذرات الذهب**، مج7، 733.

Holt , p. m **, The Age of the crusades** , 105

[5] – بهسنا: من حصون الشام الشمالية وهي قلعة حصينة مرتفعة ولها بساتين ونهر صغير وأسواق وهي في الغرب والشمال عن عينتاب وبينهما نحو مسيرة يومين. للمزيد ينظر: أبو الفداء، **تقويم البلدان**، 264. وضمت لحلب فيما بعد. ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار**، 128.

[6] – مرعش: من حصون الشام الشمالية ذات مياه وزروع وبساتين بينها وبين أنطاكية ثمانية وسبعون ميلاً. للمزيد ينظر: الأصطخري **المسالك والممالك**، 47 ؛ أبو الفداء، **تقويم البلدان**، 262 – 263.

[7] – تل حمدون: قلعة حصينة لها سور جيد البناء وهي على تل عالٍ ولها بساتين ونهر يجري عليها وهي حصينة. للمزيد ينظر: الإصطخري، **المسالك والممالك**، 47.

[8] – ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 150 ؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1، 321 ؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 156.

الدين بكتاش لنيابة بهسنا، وعَيَّن عليها قاضياً وخطيباً، واستخدم لها رجالاً وحفظة [1]، وكانت هذه القلعة تحت السيطرة الإسلامية، زمن الملك الناصر داود بن الملك المعظم الأيوبي (603- 656هـ/1206-1258م)[2] وعليها نائبٌ يقال له سيف الدين العقرب، فلما ملك هولاكو [3] حلب عام (657هـ/1259م) [4]، باعها صاحبها لملك الأرمن، بمائة ألف درهم فأعطاه ستين، وتسلم القلعة ومنعه الباقي، واستمرت في أيدي الأرمن حتى هذا التاريخ رجب / حزيران (692هـ/ 1293م)[5].

كان لسقوط القلاع الأرمنية بيد السلطان الأشرف خليل أهمية كبرى[6]، فمن خلالها حافظ السلطان على هيبة الدولة المملوكية، من حيث الاستيلاء على القلاع وأثبت للأرمن قوة العساكر المملوكية من

---

[1] – ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 151؛ المقريزي، **السلوك** ج2، 240 – 241 ؛ الطباخ الحلبي، محمد، **إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**، ج2، 276 ؛ حجة، شوكت، العلاقات بين دولة المماليك الأولى وايلخانية فارس،266.

[2] – هو داود بن الملك المعظم عيسى بن محمد بن أيوب، صاحب الكرك وأحد الشعراء والأدباء، ولد ونشأ في دمشق وملكها بعد أبيه (626هـ/ 1228م) وأخذها منه عمه الأشرف، وتوفي بقرية البويصاء بظاهر دمشق. للمزيد ينظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، مج3، 426 ؛ ابن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، مج1، 419.

[3] – هو هولاكو بن تولاي قان بن جنكيز خان، ملك المغول ومقدمهم، وكان طاغية، من أعظم ملوك المغول، وكان شجاعاً مقداماً مدبراً ذا همة عالية وسطوة. للمزيد ينظر: ابن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، مج4، 240 – 241.

[4] – ابو الفداء،**المختصر في تاريخ البشر**، ج3،242 ؛ داود، جورج، **مدينة حلب في العصر المملوكي**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، 43.

[5] – ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر**، مج8، 340 – 341 ؛ الذهبي، **المختار في تاريخ ابن الجزري**، 358 ؛ ابن خلدون، **العبر** مج10، 873.

[6] – ينظر ملحق رقم (2).

خلال استعراضها أمام رسل الملك الأرمني، أثناء وجودهم في دمشق، فشعر هؤلاء بقوة السلطان الأشرف خليل واتساع نفوذه، ومن خلال السيطرة على هذه القلاع ،حاول الأشرف التضييق على مملكة أرمينيا، والاستيلاء على بعض القلاع والحصون الأخرى[1]. منها قلعة العلايا*[2]، وخطب فيها للأشرف وتسلم نائب حلب حصنين من حصون الأرمن ، وهما كدير برت والآخر وابروما ، وتسلم نائب قلعة الروم حصناً آخر يقال له بكازر*[3]؛ فاتسعت مملكة الأشرف خليل في هذا الوقت ، وأصبح على مقربة من عاصمة مملكة أرمينيا الصغرى وإيلخانية فارس والامبراطورية البيزنطية، ويبدو مقصد الأشرف واضحاً في السيطرة على هذه الحصون تحضيراً للحروب القادمة مع هذه الممالك.

5- علاقة الأشرف خليل مع مملكة النوبة[4]:-

اتسمت العلاقة بين مملكة النوبة والدولة المملوكية بعدم الاستقرار، فتارة تخضع للسلطنة المملوكية، وتارة يتمرد ولاتها بسبب انشغال السلطنة المملوكية بتطهير الساحل الشامي من الفرنجة، ففي عهد

---

[1] – ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 156 ؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1، 324.

* قلعة العلايا: أو العلائية، نسبة إلى علاء الدين، أحد ملوك الروم، كان قد أنشأها ثم خففها الناس إلى العلايا، وهي بليدة صغيرة على نهر دجلة، وفي الجنوب من أنطاليا على مسيرة يومين. للمزيد ينظر: أبو الفداء، **تقويم البلدان**، 381؛ ابن فضل الله العمري، **التعريف بالمصطلح الشريف**، 82.

[2] – ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 358 ؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1، 324.

* من أعمال قلعة الروم. ينظر: ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 156.

[3] – ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 156.

[4] – وكانت عاصمتها تعرف بدنقلة. للمزيد ينظر : اليعقوبي، أحمد، **البلدان**، 236 ؛ القلقشندي، **صبح الأعشى** ج5، 275 ؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 83.

الظاهر بيبرس هاجم ملك النوبة ميناء عيذاب[1]ومدينة أسوان عام(671هـ/1272م) [2] ، أقرب المدن المملوكية لمملكة النوبة [3] ، وفي ذلك الوقت عانت مملكة النوبة من عدم استقرار الأوضاع الداخلية فيها، فحدث أن خُلع ملكها شكندة على يد شخص يعرف باسم داوود، وهرب الملك المخلوع إلى الظاهر بيبرس، الذي بدوره استغل هذه الفرصة لصالحه فسير حملة عسكرية كبرى، بقيادة الأمير سنقر الفارقاني وعز الدين أيبك الأفرم [4]، يرافقهم الملك المخلوع (شكندة)[5]، بعد اتفاقه مع الظاهر بيبرس مسبقاً لإعادته إلى منصبه مقابل أتاوة ضخمة من المال والمصنفات تدفع سنوياً للسلطنة المملوكية [6]، وتم له الأمر ونجحت الحملة العسكرية في بلاد النوبة وأُسِر الملك داوود عام (674هـ/ 1276م) وبقي في السجن حتى توفي [7]، وبعد وفاة الملك شكندة حاول خلفاؤه التنصل من دفع الأتاوة للسلطنة المملوكية وباءت جهودهم جهودهم بالفشل [8].

---

[1] – عيذاب: بلدة على ضفة بحر القلزم (الأحمر) وهي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج4، 170؛ الزهري، **كتاب الجغرافيا**، 37؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج14، 374.

[2] – أسوان: مدينة تقع في جنوب المملكة وتعتبر مدخل بلاد النوبة. للمزيد ينظر: ابن فضل الله العمري، **دولة المماليك الأولى**، 149، 161.

[3] – ابن وصيف شاه، **فضائل مصر وأخبارها**، 116؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج7، 45.

[4] – ابن وصيف شاه، **فضائل مصر وأخبارها**، 116؛ عاشور، سعيد، **العصر المماليكي في مصر والشام**، 81.

[5] – **مشكدت في تشريف الأيام والعصور**، 154.

[6] – ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج7، 45.

[7] – ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج7، 47.

[8] – عاشور، سعيد، **العصر المماليكي**، 85.

وخلال فترة حكم السلطان المنصور قلاوون، تولى عرش مملكة النوبة الملك سيمامون*[1]، وكان يتصف بالشجاعة والجرأة ففكر في عدم دفع الأتاوة المقررة عليه، وكان رد السلطان المنصور قلاوون أن أرسل حملة أجبر فيها سيمامون على الفرار، وتم تتويج ملك آخرمكانه اسمه بدمة [2]، وقد اشترك الأشرف خليل في هذه الحملة وكان وقتها ولياً للعهد، وكانت مهمته الإشراف على العساكر والاطمئنان عليها وتقديم العون والمعونات لها[3] ، وبعد فترة وجيزة خرج سيمامون من مخبئه، وقام بقتل الملك المتوج من قبل السلطان المنصور قلاوون [4]، واسترجع سلطته السياسية على بلاد النوبة ، آخذاً بالحسبان تدخل السلطنة المملوكية، وبذلك أخذ بأسلوب التودد للسلطان المنصور قلاوون، وراسله في ابقاءه بمنصبه مقابل دفعة الأتاوة المفروضة عليه [5]. فأجيب بالقبول وهدأت العلاقات بين الجانبين، بسبب انشغال المماليك نحو تحرير طرابلس، وصد هجمات المغول المتتالية في بلاد الشام وفارس [6].

---

* **شمامون في تشريف الأيام والعصور**، 154.

[1] – المقريزي، **السلوك**، ج2، 199.

[2] – ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 82 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 215 ؛ عاشور، سعيد، **العصر المماليكي في مصر والشام**، 90.

Setrlin , Henry and Ann , **splendours of An I slamic world** , 168

[3] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 154.

[4] – ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 82؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 215 ؛ عاشور، سعيد، **العصر المماليكي في مصر والشام**، 91.

[5] – المقريزي، **السلوك**، ج2، 216.

[6] – عاشور، سعيد، **العصر المماليكي في مصر والشام**، 91.

وقد انفرد المؤرخ ابن عبد الظاهر (ت 692هـ/1293م) ،في كتابه الألطاف الخفية في ذكر علاقة السلطان الأشرف خليل بملك النوبة، واستطرد حديثه أن سيمامون حينما وجد خطراً على نفسه بعد أن تمرد وامتنع عن دفع الأتاوة للسلطنة المملوكية، بعد وفاة السلطان المنصور قلاوون، أرسل كتاباً مع نائبه جريس [1] إلى السلطان الأشرف خليل، يقدم فيه الأعذار لعدم تقديمه الأتاوة تلك السنة؛ موضحاً أن حملات المماليك العسكرية المتتالية على بلاده كانت سبباً في خرابها، إلى جانب أن صاحب الأبواب [2] آدر حليف السلطنة المملوكية، كان منافساً قوياً للسيطرة على بلاد النوبة مما زاد في خرابها من طرفٍ واستيلائه على قافلة كانت تحمل الهدايا للسلطان الأشرف خليل من طرف آخر[3].

وفي المقابل قام السلطان الأشرف خليل بخطف عددٍ من أهل الملك سيمامون ومن بينهم أمه وعمته، واستعملهما ورقة ضغط عليه ؛ لإجباره للعدول عن تمرده، في حين أرسل سيمامون أخاه المعروف بالبرس، مع نائبه جريس يطلبان العفو عن الرهائن، وذكرا على لسان سيمامون: "... **أن ملوك النوبة ما يدبرهم إلا النساء...** " [4] في محاولة منهم لاستعطاف السلطان الأشرف خليل للعفو عن والدة سيمامون وعمته.

وتبقى معلوماتنا ناقصة من ناحية دفع سيمامون الأتاوة [5]، أو عدمه، خاصة أن المؤرخ ابن عبد عبد الظاهر قد توفي عام (692هـ– 1293م) ولم يتعرض من جاء بعده لذلك؛ ولكن يبدو أن تقديم

---

[1] – هذه الشخص هو نائب الملك سيمامون ويقال له صاحب الجبل وفي مراجع أخرى صاحب الخيل ولا ندري الكلمة الصحيحة. ينظر: ابن عبد الظاهر، الألطاف الخفية، ج3 ،39؛ سرور، محمد جمال، دولة بني قلاوون في مصر، 150.

[2] – بلد قريب من النوبة.للمزيد ينظر: اليعقوبي، **البلدان**، 335

[3] –ابن عبد الظاهر، **الألطاف الخفية**، ج3، 40.

[4] – ابن عبد الظاهر، **الألطاف الخفية**، ج3، 40.

[5] – كان قيمة الأتاوة دينارٌ واحدٌ عن كل بالغ في بلاد النوبة. ينظر نسخة يمين ملك النوبة للسلطان الملك المنصور قلاوون، ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 231.

الأعذار من قبل سيمامون لعدم دفع الأتاوة ، هو دليل واضح على أن بلاد النوبة خضعت مرة أخرى لسلطنة المماليك في عهد الأشرف.

ويذكر بعض المؤرخين المحدثين أنَّ السلطان الأشرف خليل، لم يرضَ بأعذار سيمامون، وأراد أن يؤدبه، لذلك سير حملة عسكرية كبيرة بقيادة عز الدين الأفرم[1]، ويستشهد هؤلاء المؤرخون بكتاب تشريف الأيام والعصور، لابن عبد الظاهر للمؤرخ ابن عبد الظاهر [2]. إلا أن حملة عز الدين الأفرم في الحقيقة كانت أيام المنصور وبالضبط في جمادى الآخرة/ حزيران من عام(688هـ/1289م) وعاد إلى أبواب القاهرة في ربيع الآخر/ نيسان من عام (689هـ/1290م) أي قبل وفاة الملك المنصور بعدة شهور، ولم تكن في عهد السلطان الأشرف خليل .

وفي ضوء الحديث عن هذا الأمر، نجد انه من غير المعقول ان يتحرك السلطان الأشرف عسكريا تجاه مملكة النوبة ؛ ذلك أن حدثاً كهذا لن يغفل عنه المؤرخون، والأرجح أن يكون سيمامون قد دفع الأتاوة وخضع مرة أخرى للسلطنة المملوكية ؛ خاصة أن السلطان الأشرف خليل كان قد خاض معركة عكا والساحل الشامي، وانتصر في حربه ؛ فلا بد ان يشكل هذا الأمر، رادعا لملك النوبة سيمامون في خروجه عن الطاعة.

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن السلطان الأشرف خليل بن قلاوون، كان شخصاً قادرعلى اتخاذ القرار الحاسم وعلى تحمل المسؤولية، هذه الصفات التي تنافي صفة الاستهتار والمجون، التي تحدث عنها بعض المؤرخين، وبذلك استطاع السلطان الأشرف خليل أن يواجه الأخطار الخارجية التي هددت

---

[1] – عاشور، سعيد، **العصر المماليكي في مصر والشام**، 95 ؛ سرور، محمد جمال، **دولة بني قلاوون في مصر**، 153 ؛ قاسم، عبد قاسم، **عصر سلاطين المماليك**، 124 – 126.

[2] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 155.

المشرق الإسلامي في شجاعة وبأس فأخرج الفرنجة المحتلين، من الشام، وهزم المغول وحلفائهم وأخضع مملكة النوبة، وكان سياسياً محنكاً في تعامله مع ملوك أوروبا، من خلال عقد المعاهدات التجارية مع بعضهم، لإيجاد هوة من الخلافات بينهم، ويشغلهم عن التفكير في قيام حملات صليبية جديدة، كان يفكر بها صاحب السلطة الدينية (البابا).

الفصل الثالث

الأحوال الداخلية في عهد السلطان الأشرف خليل

أولاً: الأحوال العسكرية:.

الجيش

ثانياً: الأحوال الإدارية:.

أ- نواب الشام

ب- المكاتبات

ثالثاً: الأحوال الاقتصادية:

أ- الطرق

ب- السكة

ج- التجارة

د- الصناعة

هـ- الزراعة

رابعاً: الأحوال الاجتماعية:.

أ- موقف الأشرف خليل من القبائل العربية

ب- موقف الأشرف خليل من أهل الذمة

ج-تمرد الكسروانيين

د- الأعياد والمناسبات

خامساً: المعالم العمرانية في عهد السلطان الأشرف خليل:.

أ-الديار المصرية

ب- البلاد الشامية

أولاً: الأحوال العسكرية:-

الجيش:-

تشكل الجيش المملوكي عبر الأجيال المتعاقبة من المماليك، الذين قسموا إلى: مماليك سلطانية وضمت (الخاصكية) [1]، والمشتروات (الأجلاب) [2]، والسيفية[3]، ومماليك الأمراء[4]، ومماليك أجناد الحلقة [5].

---

[1] – كان الخاصكية يلازمون السلطان في خلواته، ويقومون بتنفيذ أوامره من الاعتقالات والمصادرة أو تنفيذ أحكام الإعدام أي بمثابة حرسه الخاص، وكانوا يتواجدون في القاهرة، والقلعة بشكل خاص. للمزيد ينظر: قاسم، عبد قاسم، **دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي**، 18 ؛ هياجنة، محمد، **محاضرات في تاريخ المغول والمماليك**، 130؛ لابدوس، إيرا، **مدن إسلامية في عهد المماليك**، 87.

[2] – الأجلاب: وهم مماليك يشتريهم السلطان، ويضعهم في الطباق ويشرف على تربيتهم الطواشية ومقدمو المماليك، الذين عرفوا بالصرامة والورع وشدة الضبط. للمزيد ينظر: عدوان، أحمد، **العسكرية الإسلامية في العصر المملوكي**، 33.

[3] – السيفية: وهم على نوعين: مماليك منسوبون إلى السلاطين السابقين، وآخرون منسوبون إلى الأمراء الذين توفوا أو قتلوا أو اعتقلوا لسبب من الأسباب، فيكونون ضمن حيازة السلطان القائم، ويقال لهم القرانيص. للمزيد ينظر: ابن كنان، **حدائق الياسمين**، 110؛ عدوان، أحمد، **العسكرية الإسلامية في العصر المملوكي**، 34 ؛ ضومط، أنطوان خليل، **الدولة المملوكية** 33.

[4] – وضمت هذه الفئة: أمراء الخمسات، وأمراء العشروات، والطبلخانات، وأمراء المئة، ومقدمي الألوف. للمزيد ينظر: القلقشندي، **صبح الاعشى**، ج4، 12 – 13؛ ابن شاهين الظاهري، **زبدة كشف الممالك**، 113.

[5] – أجناد الحلقة: وكان عددهم كبيراً، وكانوا يُعَدُّون قلب الجيش المملوكي، وهم الذين كان ينشئهم السلاطين، ثم ازداد عدد أجناد الحلقة نتيجة الانضمام إليهم من التتار والوافدية، وبعض أرباب الصنائع والحرف، وممن نزل عن الإقطاعات. وأضيف إلى أجناد الحلقة أحياناً مماليك الأمراء الذين انحلت إقطاعات أساتذتهم، كما عُدَّ من أجناد الحلقة العربان والأكراد والتركمان، بحيث تركز عملهم في حماية أطراف الدولة والاشتراك بفرسانهم في الحرب والسلم ؛ إذ جعل على أربعين جندياً مقدما، الذي ليس له عليهم أية سلطة إلا أثناء الحرب. القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، 16؛ عدوان، أحمد، **العسكرية الإسلامية في العصر المملوكي**، 35.

سكن المماليك قلعة الجبل في القاهرة[1]، وتنوعت أجناسهم ما بين جركسي[2] ، ويوناني وكردي وصقلبي وتركماني[3]، وتم الحصول عليهم إما بالشراء أو بالسبي في الحروب أو حتى بالخطف على أيدي عملاء التجارة دون علم أهاليهم ، ثم تم تصنيفهم وتدريبهم في الجيش المملوكي[4].

واهتم الأشرف خليل بشكل خاص بجنده، فأنفق عليهم ثلاث مرات، خلال فترة حكمه[5]، وأجزل عطاياهم ورواتبهم[6] العينية[7] والنقدية[8]، واهتم بالطباقات[9]؛ حيث رتب المماليك السلطانية حسب

---

[1] – ابن فضل الله العمري، **دولة المماليك الأولى**، 93 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 16؛ لابدوس، إيرا، **مدن إسلامية في عهد المماليك**، 87؛ قاسم، عبده قاسم، **دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي**، 18.

[2] – الجركس (الشركس): اسم أطلقه العرب على سكان إقليم القوقاز ، وعرفوا باسم: ديغا، وهم من البطون التركية، كان لطبيعة البلاد القوقازية أثر كبير على تاريخهم السياسي والاجتماعي. للمزيد ينظر: الخطيب، مصطفى، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، 272.

[3] – ابن فضل الله العمري، **دولة المماليك الأولى**، 93؛ قاسم عبده قاسم، **دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي**، 11.

[4] – ضومط، أنطوان خليل، **الدولة المملوكية**، 24. **The Encycloped of Islam vol: VI** , 316

[5] – ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر**، ج8، 351؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 207.

[6] – تباينت رواتب الجند حسب درجة المملوك وقربه من السلطان، فبعض المقربين تصل رواتبهم وإقطاعاتهم إلى ما يقارب مائتي ألف ألف دينار أو يزيد، ومن دونهم مرتبة أقل، بحيث تصل إلى ثمانين ألف دينار وما شاكلها، وهذه رواتب أمراء المئة، أما أمراء الطبلخاناه: فيبلغ مقدار ثلاثين ألف دينار أو يزيد، أو تنقص إلى ثلاثة وعشرين ألف دينار، أما أمراء العشرات سبعة آلاف دينار إلى ما دون، أما إقطاعات جند الحلقة فمنها ما تبلغ ألف وخمسمائة دينار، وإقطاعات أمراء الشام لا تصل رواتبهم إلى هذا الحد بل تصل إلى حوالي الثلثين على ما ذكر. للمزيد ينظر: ابن فضل الله العمري، **دولة المماليك الأولى**، 94 ؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، 50 – 51.

[7] – كانت رواتب المماليك العينية من اللحوم والتوابل والخبز والأعلاف والزيت والشمع والسكر والكسوة لكل فرد من المماليك في كل شهر، أو حتى في السنة. للمزيد ينظر: ابن فضل الله العمري، **دولة المماليك الأولى** 95 ؛ قاسم، عبده قاسم، **دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي**، 19.

[8] – ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر**، ج8، 351 ؛ لابدوس، إيرا، **مدن إسلامية في عهد المماليك**، 87.

[9] – الطباقات: مفردها طباق وهي الثكنة المعدة لإيواء المماليك الأجلاب في العصر المملوكي، وتكون عادة داخل القلعة. للمزيد ينظر: دهمان، أحمد، **معجم الألفاظ التاريخية**، 105 ؛ الخطيب، مصطفى، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**،330. وكان بيبرس أول من بنى هذه الطباقات وكان عددها اثنين، ثم ازدادت بشكل كبير في العهود التي تلته، وكل طباق اتسع لحوالي الألف

انتماءاتهم العرقية، بحيث وضع الجركس والترك والأكراد كل على حدا [1]، واستمرّ هذا التقسيم إلى نهاية الدولة المملوكية، وقد أخذ على هذا التقسيم أنّه قوّى الروح العنصرية بين الطباقات، وأدخلها في نزاعات كثيرة، وأضعف من قوة الانتماء للمماليك والدولة المملوكية في الوقت اللاحق لفترة الأشرف [2]. وما يجدر ذكره أن السلطان الأشرف خليل جمع أكثر من ثمانية آلاف مملوك [3]، ورثهم عن والده قلاوون الذي تميز بحبه لشراء المماليك الجركس[4] وأسكنهم أبراج القلعة وسماهم البرجية[5]، لأنهم حماة لسلطته وسلطة أولاده من بعده [6]، وقام الأشرف خليل بشراء حوالي ستة آلاف مملوك [7]؛ غير مماليك الأمراء الذين هم

مملوك، وداخل الطباقات تعلّم المملوك كثيراً من المعلومات الدينية، فيتعلم القرآن الكريم والسنة النبوية، بالإضافة إلى التعليم =العسكري والفروسية وفنون الحرب، وخلال إقامة المملوك في الطباق كان يخضع لنظام قاسٍ، فقد كانت تُحصى عليه حركاته جميعها، لذلك تميزت الأجيال الأولى من خريجي الطباقات بالخبرة العسكرية والفروسية، بينما ضعفت الخبرة للأجيال اللاحقة لأسباب كثيرة أهمها: عدم التقيد بقوانين الطباقات، وانخفاض مستوى التعليم في صفوف المماليك السلطانية، ودخول عناصر الجلبان الكبار؛ فلم يتعلموا كما تعلم المماليك الصغار السابقون، بل أدخلوا الفساد إلى هذه الطباقات. ينظر: ابن منكلي، **الأدلة الرسمية للتعابي الحربية**، 121؛ حسن، علي إبراهيم، **تاريخ المماليك البحرية**، مجلة كلية الآداب، مج 7، 1944، 36 – 37.

[1] – ابن منكلي، **الأدلة الرسمية في التعابي الحربية**، 121.

[2] – ضومط، أنطوان خليل، **الدولة المملوكية**، 28.

[3] – وقيل: سبعة آلاف، وقيل: اثنى عشر ألف. للمزيد ينظر: ابن دقماق، **الجوهر الثمين**، ج1، 101 ؛ ابن حبيب **تذكرة النبيه**، ج1، 135 ؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج8، 97 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 16 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 218 ؛ الكرمي، **نزهة الناظرين**، 181.

[4] – ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر**، ج8، 303 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 208؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 218.

[5] – حجة، شوكت، **التاريخ السياسي لمنطقة شرق الأردن في عصر دولة المماليك الثانية**، 63.

[6] – طقوش، محمد سهيل، **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام**، 175.

[7] – ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج1، 378.

جميعاً تحت سلطته، ويتحكم بمصيرهم ومصير مماليكهم، فكان استقرار السلطان على العرش يتوقف على كثرة اتباعه وضخامة ثروته ومبلغ رضا الأمراء عنه [1].

أما بالنسبة إلى ملابس الأجناد فقد قام السلطان الأشرف خليل بتغيير ملابس المماليك في عهده، وانقسمت ملابس الجيش المملوكي إلى قسمين: قسم خاص بأمراء الجيش، وقسم خاص بالجند المماليك مع وجود بعض الاختلافات بين فئة وأخرى[2]. وتبدأ الملابس بلباس الكلّوتة على الرأس [3]، وقد استخدمت في عصر الأيوبيين وكانت آنذاك صفراء، وتلبس من غير شاشات [4]، وقام الأشرف بتغييرها، فكانت تصنع من خامة صوفية خشنة، يحيط بحافتها شريط عريض ويلف حولها منديل صغير [5]، ثم أصدر أوامره إلى أمرائه بالظهور بالكلوتة المطرزة المصنوعة من الجوخ [6]، الأحمر والأصفر، ووصفت أنها فاخرة [7]، ثم حولها إلى اللون الأحمر [8]، ثم وضعت على هذه الكلّوتة العمامة[9]، وكانوا

---

[1] – حسن، علي إبراهيم، **آراء في تاريخ دولة المماليك البحرية**، مجلة كلية الآداب، مج 7،العدد 20، 1944، 75.

[2] – ماير، ل. أ، **الملابس المملوكية**، 52 – 53.

[3] – الكلّوتة: جمع كلوتات، وهي غطاء للرأس تلبس وحدها أو بعمامة، وتسمى كلفة وكلفتاه وكلفته، ويقول البعض: إنها من أصل لاتيني، ويقول آخرون إنها معربة عن الفارسية. للمزيد ينظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، 6، 39 ؛ المقريزي، **الخطط**، ج2، 98 ؛ محمد البقلي، محمد، **التعريف بمصطلحات صبح الأعشى**، 288.

[4] – الشاشات: ومفردها شاش وهي قطعة قماش، تلف حول الكلوتة (الطاقية). ينظر: ماير، ل. ا، **الملابس المملوكية**،53.

[5] – ماير، ل. أ، **الملابس المملوكية**، 53.

[6] –الجوخ: نسيج صفيق من الصوف. ينظر: أنيس إبراهيم وآخرين، **المعجم الوسيط**، 166.

[7] – العيني، **عقد الجمان**، ج3، 211 ؛ ماير، ل، أ، **الملابس المملوكية**، 53 وفيها وصف لفخامة لباسهم.

[8] – القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، 39 – 40.

[9] – العمامة: قطعة من القماش تلف على الراس، وهي لباس عربي، وكان يتخذ منها الوان متعددة، واصبحت تشد فوق الطقية في العصور المتلاحقة. للمزيد ينظر: ابراهيم، رجب، **المعجم العربي لأسماء الملابس**، 334 – 335؛ دهمان، أحمد، **معجم الألفاظ التاريخية**، 114.

وكانوا قد وضعوا ذوائب الشعر المرخاة على ظهورهم في أكياس من الحرير الأحمر والأصفر [1]، ويطلق ويطلق على كل منها اسم الديوفة [2]، وتوضع فيها جدائل الشعر بعد تصفيفها وضبطها وتُثَبَّتْ في خلف الرأس [3].

ومجمل القول إن السلطان الأشرف خليل قام بتغيير الكلوتة، التي كانت تستخدم من أيام العصر الأيوبي والتي صنعت من خامة صوفية رخيصة إلى كلوتة فاخرة [4]، كما أصبحت هذه الكلوتة لها شأن عظيم من الناحية الرسمية ومعترفٌ بها من حيث الرتب، حيث أن الأمير إذا خلع لباس رأسه هذا، كأنه خلعت عنه رتبته[5].

أما ملابس البدن، فكان المماليك يرتدون فوق القميص واللباس الأقبية[6] الطُّلس [7]والحوائص الذهبية[8]، ثم يرتدون فوقها القباء الإسلامي، وفوقه التكلاوة[1]، وجعل لكل أمير لباساً مميزاً يختلف عن

---

[1] – القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، 40 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 17.

[2] – الشريدة، آمنة، **الجيش في بلاد الشام في العصر المملوكي**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك 1993، 92.

[3] – القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، 40 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 211.

[4] – القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، 39 – 40.

[5] – ماير. ل. أ. **الملابس المملوكية**، 53.

[6] – الأقبية: كلمة فارسية معربة، وأصلها في الفارسية قُباي، وتعني ثوب مفتوح من الأمام. وفي العربية القباء بالفتح، وجمعها أقبية ويراد بها الملابس الخارجية كالعباءة أو البرنس، يلبس فوق الثياب، وكان يعرف بالبلطاق. للمزيد ينظر: المقريزي، **الخطط**، ج2، 99؛ إبراهيم رجب، **المعجم العربي لأسماء الملابس**، 379.

[7] – الطلس: صوف نفيس، كان يلبسه الخواص من المشايخ والعلماء. للمزيد ينظر: الرصافي، معروف، **الآله والأداة**، 202.

[8] – حوائص: مفردها حياصة، وتعني الحزام أو ما يشد في الوسط، واتخذت في العصر الايوبي والمملوكي والبعض كان يتخذها من الذهب أو الفضة المطلية بالذهب. للمزيد ينظر: ابن فضل الله العمري، **دولة المماليك الأولى**، 99 ؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج12، 134؛ ابراهيم، رجب، **المعجم العربي لأسماء الملابس**، 141.

الأمراء الآخرين، ويشد عليه السيف من جهة اليسار، والصولق [2] والكزلك [3]من جهة اليمين[4]، وفي الصيف يتغير اللباس إلى الأخف واللون الأبيض، أما في الشتاء فيكون لباسهم من الصوف النفيس والحرير[5]، وكانت أكمامهم ضيقة حتى غُيِّرت زمن السلطان المنصور قلاوون فأمرهم بتوسيعها [6]، وقام السلطان الأشرف خليل بتغيير سروج خيول أمرائه[7]، كما بينا سالفاً.

ويظهر لنا من خلال استعراض المصادر التاريخية أن الأشرف خليل قد اهتم بتدريب عساكره حتى يكونوا على أهبة الاستعداد، إذ أمر بتكثيف التدريبات العسكرية حتى في الأعياد والمناسبات ؛ كان يأمر عساكره بنصب لوح القبق في الميدان، لتقام السباقات والمنافسات بين الأمراء، ثم يشاركهم السلطان

---

[1] – التكلاوة: هي كلمة فارسية معربة واصلها في الفارسية كلاه، ومعناها غطاء واق، وقد اطلقت في العصر المملوكي على ضرب من اللباس يرتدى في الهند ومصر، وهي ما تشبه الرداء. ينظر: ابن فضل الله العمري، **دولة المماليك الأولى**، 99 ؛ ماير. ل. أ، **الملابس المملوكية**، 39 – 40؛ ابراهيم، رجب، **المعجم العربي لأسماء الملابس**، 94.

[2] – الصولق: أداة من الجلد يضعها الشخص في حزامه من الجهة اليمنى، وقد تستخدم في حمل الطعام أو نحو ذلك. للمزيد ينظر: ابن فضل الله العمري، **دولة المماليك الأولى**، 99 ؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، 40.

[3] – الكزلك: الخنجر أو السكين الطويلة ذات قبضة طويلة. للمزيد ينظر: التونجي، محمد، **المعجم الذهبي**، 504.

[4] – ينظر بشكل تفصيلي للباس جند سلطنة المماليك في: ابن فضل الله العمري، **دولة المماليك الأولى**، 99 ؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، 40.

[5] – القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، 40.

[6] – ابن دقماق، **الجوهر الثمين**، 102.

[7] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 135 ؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 254.

اللعب [1]، كما فعل عند طهور أخيه الناصر محمد، وابن أخيه المظفر موسى بن الصالح علي، بحيث نصبت لعبة القبق، وأجزل العطايا على الفائزين[2].كما وكان يشارك عساكره في لعبة الكره أو الأكره[3]، ومن خلال هذه الألعاب والمنافسات كان السلطان الأشرف خليل يشجع على زيادة الخبرات العسكرية لأمرائه وبقية أفراد جنده. وحاول جاهداً أن يوفر أجود الأسلحة لجيشه، فتعددت المنجنيقات على أنواعها من فرنجية وقرابغا في عهده، وتم استخدامها في المعارك التي وقعت في تلك الفترة[4].

واهتم السلطان الأشرف خليل، بالإشراف على صناعة الشواني، حتى كان يخرج بنفسه إلى دار الصناعة، ويزودها بأنواع الأسلحة من مكاحل ومدافع وبارود[5]، ويقوم الأمراء باستعراضها أمام السلطان السلطان وجمع غفير من الناس لإظهار ما فيها من جَوْدة، ما يشبه الاستعراضات العسكرية في أيامنا هذه، من خلال إظهار كل شونة ما لديها من مميزات وأمور عسكرية، ويتنافس المماليك البحرية في كل شونة بما لديهم من مهارات حربية، ووصف المؤرخ المقريزي (ت845هـ/1441م) الأسطول المصري في عهد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون: "**.... وفي سنة اثنين وتسعين وستمائة تقدم السلطان الملك**

---

[1] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 134 ؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1، 237 ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج2، 16 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 188.

[2] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 134 ؛ ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر**، ج8، 343 ؛ العيني، **عقد الجمان** ج3، 188؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج253،31.

[3] – البرزالي، **المقتفي**، ج1، 237 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 181.

[4] – النويري، **نهاية الإرب**، ج31، 198 ؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1، 232 ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة** ج8، 5 – 6 ؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 111.

[5] – العيني، **عقد الجمان**، ج3، 186 ؛ ماهر، سعاد، **البحرية في مصر الإسلامية**، 117.

الأشرف صلاح الدّين خليل بن قلاوون إلى الوزير الصّاحب شمس الدّين محمد بن السلعوس بتجهيز؛ أمر الشّواني، فنزل إلى الصناعة واستدعى الرئيس، وهيأ جميع ما تحتاج إليه الشواني حتى كَمُلت عدتها نحو ستين شونة، وشحنها بالعدد وآلات الحرب، ورتب بها عدة من المماليك السّلطانية وألبسهم السلاح، فأقبل الناس لمشاهدتهم من كل أوب قبل ركوب السلطان بثلاثة أيام، وصنعوا لهم قصوراً من خشب وإخصاص القش، على شاطئ النيل،.... فبرزت الشواني واحدة بعد واحدة.... " [1] .

ثانياً: الأحوال الإدارية:-

أ- نواب الشام:-

قُسم الشام في عهد السلطنة المملوكية إلى ست نيابات، وكان يطلق على النيابة أسماء مختلفة مثل: كفالة، بلاد، ممالك، فكان يقال: " **الممالك الحلبية** " ويقصد فيها حلب كما كان يطلق اسم: " **الممالك الشامية** " ويراد بها نيابة دمشق [2]، ولكل واحدة منها نائب يتلقى الأوامر من السلطان، كان يشرف على الوظائف في هذه النيابة، من أمور الجيش والخزينة والوظائف[3]، وكانت نيابة دمشق أكثر نيابات الشام أهمية، بل كان نائبها يحذو حذو السلطان، في الفخامة والأبهة في المراسيم والاحتفالات[4]،

---

[1] – المقريزي، **الخطط**، ج3، 13. للمزيد ينظر: العيني، **عقد الجمان**، ج3، 186.

[2] – العلبي، أكرم حسن، **دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين**، 27.

[3] – ابن فضل الله العمري، **التعريف بالمصطلح الشريف**، 115.

[4] – زيادة، نقولا، **دمشق في عصر المماليك**، 144 ؛ النقر، محمد الحافظ، **القوة الفاعلة في المجتمع في العصرين المملوكي والأيوبي**، 111.

ثم تتدرج النيابات الأخرى واحدة بعد أخرى، ابتداءً من حلب وحماة والكرك وطرابلس وصفد. وقد تعدد نواب هذه النيابات في عهد السلطان الأشرف خليل.

أولاً – نيابة دمشق:-

كان يعبر عن نائب دمشق في المكاتبات السلطانية، بكافل[1] السلطنة الشريفة الشام المحروس[2]، وفي عهد السلطان الأشرف خليل، ناب عنها الأمير حسام الدين لاجين الذي عين من قبل السلطان المنصور قلاوون عام (679هـ/1280م) [3]، وبقي على منصبه حين جلس السلطان الأشرف خليل، إلا أن العلاقات ساءت بعد ذلك ؛ بسبب علاقة الأمير حسام الدين لاجين بالأمير حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة، الذي دبر مؤأمرة لقتل السلطان الأشرف خليل [4]، الأمر الذي أدى إلى خلع الأمير حسام الدين لاجين عن نيابة دمشق [5]، وتعيين الأمير علم الدين الشجاعي مكانه عام (690هـ/1291م)[6]، بعد أن كان وزيراً للسلطان أياماً معدودة[7]، حيث حرم السلطان الأشرف خليل الأمير علم الدين الشجاعي الوزارة، وأراد أن يعوضه بنيابة دمشق، خاصة بعد الجهود التي بذلها الأمير علم الدين الشجاعي في تحرير عكا، وبقية مدن الساحل الشامي.

---

[1] – كافل: لفظ مأخوذ من الكفالة بمعنى الضمانة، وهو لفظ أطلقه الأيوبيون ومن بعدهم المماليك على نائب السلطنة. للمزيد ينظر: ابن فضل الله العمري، **التعريف بالمصطلح الشريف**، 94 ؛ ابن كنان، **حدائق الياسمين**، 89؛ الخطيب، مصطفى، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، 306.

[2] – ابن فضل الله العمري، **التعريف بالمصطلح الشريف**، 94.

[3] – ابن أيبك الصفدي، **أعيان العصر وأعوان النصر**، ج4، 165–166 ؛ **تحفة ذوي الألباب**، ج2، 182 ؛ ابن طولون الصالحي، **أعلام الورى**، 36 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 220.

[4] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 132 ؛ ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 17 ؛ الذهبي، **المختار من تاريخ ابن الجزري**، 353.

[5] – بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**، 283؛ البرزالي، **المقتفي**، ج4، 237؛ ابن دقماق، **الجوهر الثمين**، 107.

[6] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 128 ؛ أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج4، 36 ؛ الدبس، يوسف الياس، **تاريخ سوريا الدنيوي والديني**، 367.

[7] – اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، مج21، 521 ؛ النويري، **نهاية الإرب**، ج31، 183 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 235.

وفي دمشق قام الأمير علم الدين الشجاعي، بأعمال عمرانية بارزة [1]، إلا أنه سرعان ما عزل عنها بعد فتح قلعة الروم [2]، واستدعي الأمير علم الدين الشجاعي بأمر من السلطان الأشرف خليل، إلى مصر؛ للإعتماد عليه بسبب خبرته وطاعته له، وعين مكانه الأمير عز الدين أيبك الحموي، الذي دخل دمشق في شوال/ أيلول من عام (691هـ/1292م)، ولم يزل فيها نائباً حتى تولى السلطان العادل كتبغا عام (694هـ/1295م) [3]، وكان الأمير عز الدين أيبك الحموي يتمتع بخبرة حربية إذ كان متولياً نيابة طرابلس وبعض الحصون [4].

ثانياً: نيابة حلب:-

كانت النيابة الثانية من حيث الأهمية بعد نيابة دمشق، ولي عليها الأمير قراسنقر، وقد تولى حلب بأمر من السلطان المنصور قلاوون منذ عام (681هـ/1282م)[5]، وعندما تولى السلطان الأشرف خليل سدة الحكم بقي الأمير قراسنقر على حلب حتى عام (691هـ/1292م) حيث عُزل عنها [6]، وسار

---

[1] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 222 ؛ ابن أيبك الصفدي، **تحفة ذوي الألباب**، ف2، 189 ؛ الذهبي، **المختار من تاريخ ابن الجزري**، 342 ؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، 40 ؛ ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج1، 140.

[2] – ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 117–118 ؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام حوادث** 691 – 700، 66 ؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج15، 471.

[3] – الصفدي، **تحفة ذوي الألباب**، ق2، 191؛ ابن طولون الصالحي، **أعلام الورى**، 36.

[4] – ابن شاكر الكتبي، **عيون التواريخ**، ج22، 108؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3؛ الغزي، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، 170 – 171.

[5] – ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج1، 73 ؛ الغزي، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، ج3، 171.

[6] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 132؛ ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج1، 73 ؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 142؛ **درة الأسلاك**، ج1، ورقة 169 ؛ حيدر الشهابي، **الغرر الحسان**، ج1، 468.

مع السلطان نحو مصر بعد تحرير قلعة الروم، ووضع مكانه الأمير سيف الدين بلبان الطباخي الذي كان متولياً على الساحل [1]، واتصف الأخير بخبرته العسكرية، حيث كان قد اشترك في معارك كثيرة خلال عهد السلطان المنصور قلاوون[2].

ويتبادر للذهن سؤال هو ما الذي جعل السلطان الأشرف خليل يقوم بعزل الأمير قراسنقر عن حلب بعد أعوام طويلة من نيابته عليها؟. من خلال الإطلاع على المصادر التاريخية، لاحظنا اشارات بينت موقف السلطان الأشرف خليل من نائب حلب الأمير قراسنقر، ومن خلالها توضحت أسباب عزله فيما يلي:

أولاً:- كان نائب حلب الأمير قراسنقر على وفاق تام مع نائب دمشق السابق الأمير حسام الدين لاجين، الذي تعرض للمصادرة من قبل السلطان، بتهمة تعاونه مع نائب السلطنة حسام الدين طرنطاي[3]، الذي دبر مؤامرة إغتيال السلطان الأشرف خليل في بداية جلوسه على سدة الحكم[4]؛ لذا تخوف السلطان من استغلال لاجين وقراسنقر نفوذيهما في الشام ضده.

---

[1] – أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج4، 38 ؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام حوادث** 681 – 700، 63 ؛ ابن الوردي، **تتمة المختصر في أخبار البشر**، ج1، 339.

[2] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 60، 80 ؛ بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 85.

[3] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 132 ؛ ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 17 ؛ الذهبي، **المختار من تاريخ ابن الجزري**، 353.

[4] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 129 ؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام، حوادث** 681–690 45 – 46 ؛ حيدر الشهابي، **الغرر الحسان**، ج1، 467.

ثانياً:- كانت نيابة حلب الأقرب جغرافياً لدولة مغول فارس، مما جعل السلطان يعتقد أن نائب حلب سيعزم على الاتصال بمغول فارس، للإبقاء على سلطته في حلب أو في الشام كله، خاصة أنه أدرك أنّ العزل سيطوله بعد أن طال أمراء كثر في الآونة الأخيرة، هذا في وقتٍ كان السلطان يستعد لغزو مغول فارس.

ثالثاً:- يبدو أن الأشرف خليل، قد أراد من تعيين بلبان الطباخي بدلاً من الأمير، لأنه أكثر ولاءً وكفاءةً من ناحية، وخوفاً من دخول قراسنقر في شرك مغول فارس من ناحية ثانية.

ثالثاً: نيابة الكرك:-

منذ أن خضعت بلاد الشام للسيطرة المملوكية في عهد السلطان قطز بعد معركة عين جالوت[1] أصبحت نيابة الكرك، من أهم نيابات الشام ؛ لموقعها الاستراتيجي القائم بين الشام والحجاز ومصر ولحصانة قلعتها [2]، وبالتالي كان يولى عليها أتابك للعساكر أو من مرتبته [3]، وعُين على الكرك في بداية سلطنة الأشرف خليل، الأمير ركن الدين بن عبد الله المنصوري المعروف ببيبرس المنصوري، من مماليك الملك المنصور قلاوون وبقي على الكرك حتى عزله السلطان الأشرف خليل عام (690هـ/1291م)، بعد تحرير عكا وبقية مدن الساحل [4].

---

[1] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 51،

[2] – سالم، السيد عبد العزيز، **طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي**، 304.

[3] – ابن شاهين الظاهري، **زبدة كشف الممالك**، 132.

[4] – البرزالي، **المقتفي**، ج1، 238 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 226؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 83.

وقيل إن بيبرس المنصوري (ت725هـ / 1324م)، طلب من السلطان الأشرف خليل العودة إلى مصر فأجابه السلطان[1]، ومن ثم استلم وظيفة الإنشاء وكتابة السر عام (709هـ/ 1309م)[2] في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون [3]. ثم ولي الكرك بعد المنصوري الأمير جمال الدين أقوش [4]، من مماليك المنصور قلاوون [5]، وبقي عليها حتى وفاة السلطان الأشرف خليل[6].

---

[1] – العيني، **عقد الجمان**، ج3، 83.

[2] – بيبرس المنصوري، **التحفة المملوكية**، 210.

[3] – جلس السلطان الناصر محمد بن قلاوون على كرسي الحكم ثلاث مرات، اولها كانت بعد مقتل السلطان الأشرف خليل أي في عام (693– 694هـ/ 1294–1295م) حتى عزله اتابكه كتبغا وتسلطن بنفسه، ثم تهيأت له فرصة الرجوع بمساعدة بعض الأمراء عام (698هـ/1299م) بعد مقتل السلطان حسام الدين لاجين، وبقي على سدة الحكم حتى عام (708هـ/ 1309م) ثم استطاع بيبرس الجاشنكير الإستيلاء على الحكم ونفي الناصر الى الكرك،ليعود في العام التالي للسلطنة وبقي عليها الى وفاته عام (741هـ/1342م) للمزيد ينظر:ابن الوردي، تتمة المختصر في أخبار البشر، ج2، 341،345،351،365،366؛ حسن، علي ابراهيم،آراء **في تاريخ دولة المماليك البحرية**، مجلة كلية الآداب، مج 7، 1944، 72–73.

[4] – هو جمال الدين أقوش الأشرفي وكان من مماليك المنصور، ثم ولي الكرك أيام الأشرف خليل، وتوفي بالإسكندرية في بضع ثلاثين وسبعمائة. للمزيد ينظر: ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج1، 396.

[5] – النويري، **نهاية الإرب**، ج31، 210.

[6] – العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج1، 396.

رابعاً: نيابة حماة:-

بعد احتلال المغول للشام عام(657هـ/1259م) خرج الملك المنصور (642 - 683هـ/1244-1284م)[1] من حماة، وطلب أهلها الأمان من هولاكو، فسلمت مفاتيحها له عام(658هـ/1259م) [2] ،في حين صار صاحبها الملك المنصور نحو مصر؛ للإنضمام إلى السلطان قطز كما فعل بعض الأيوبيين في محاولت توحيد الجهود ضد المغول، وبعد معركة عين جالوت عام(658هـ/1260م) وانتصار المسلمين فيها على المغول[3]، رتب السلطان قطز نيابات الشام، وكافئ الملك المنصور صاحب حماة لعدم مكاتبته المغول وانحيازه معه كما فعل بعض نواب الشام من الأيوبيين[4] ، فرد عليه حماة وأعطاه بارين[5] وأعاد إليه المعرة[6] ، وأخذ سلمية منه[7] ، وبقي الملك المنصور على حماة إلى حين وفاته عام

---

[1] – هو ناصر الدين محمد بن الملك مظفر تقي الدين محمود بن المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب وأمه الصاحبة بنت ابنة الملك كامل، تملك بعد ابيه عام (642هـ/1243م) وكان عمره عشر سنوات. للمزيد ينظر: الذهبي، **العبر**، ج3، 354.

[2] – ابو الفدا، **المختصر في اخبار البشر**، ج3، 242؛ حجة، شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى ودولة إيلخانية فارس**، 87، 98.

[3] – ابن الوردي، تتمة المختصر في أخبار البشر، ج2، 297.

[4] – حجة، شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الاولى وإيلخانية فارس**، 98.

[5] – بارين:مدينة بين حلب وحماة،من جهة الغرب. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج 320،1-321.

[6] –معرة النعمان: مدينة قريبة من حلب. للمزيد ينظر: الادريسي، **نزهة المشتاق في إختراق الآفاق**،652

[7] – أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج3، 242؛ حجة، شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الاولى وإيلخانية فارس**، 113.

عام (683هـ/ 1284م) [1]، وتولى بعده ابنه محمود (683 – 698هـ/ 1284 – 1299م)، وكان مع السلطان الأشرف خليل على اتفاق تام، واشترك معه في تحرير الساحل الشامي من الفرنجة وتحرير قلعة الروم[2]، وتوفي عام (698هـ/1299م)[3].

خامساً: نيابة طرابلس:-

ألحقت بنيابات السلطنة المملوكية، بعد تحريرها على يد السلطان المنصور قلاوون عام (688هـ/1289م) [4]، وكان أول نائب لها الأمير سيف الدين بلبان الطباخي، حتى عزله السلطان الأشرف خليل، وولى عليها وبقية الساحل الأمير سيف الدين طغريل الإيغاني [5]، ثم عزله عنها وعين عليها الأمير عز الدين أيبك الخزندار [6].

---

[1] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الايام والعصور**، 73؛ أبو الفدا، **المختصر في اخبار البشر**، ج4، 27؛ الذهبي، **العبر**، ج3، 354.

[2] – ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 135؛ العيني، **عقد الجمان**، 103، 11؛ الغزي، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، 170.

[3] – أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج4، 53؛ ابن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، مج4، 12 – 13.

[4] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 151 ؛ العسقلاني المصري، **الفضل المأثور**، 147.

[5] – العلبي، أكرم، **دمشق بين المماليك والعثمانيين**، 24 – 25.

[6] – الذهبي، **تاريخ الإسلام حوادث** 691 – 700، 13 ؛ ابن الوردي، **تتمة المختصر في أخبار البشر**، ج1، 339.

سادساً: نيابة صفد[1]:-

كان نائبها في عهد السلطان المنصور قلاوون الأمير علاء الدين إيدكين الإلدكزي، ثم قام السلطان الأشرف خليل بحبسه في قلعة صفد عام (690هـ/1291م)، وتولى مكانه الأمير علاء الدين أيدكين الصالحي [2]، بعد أن صادر الأول[3]، وأضيف إليه ما استجد من الفتوحات الأشرفية في تلك المنطقة مثل: عكا وعثليث وصور [4]، أما صيدا وبيروت فضمتا إلى نيابة دمشق [5].

ب- المكاتبات:-

كان للسلطان الأشرف خليل، بصمة واضحة في تغيير صيغ المكاتبات في ذلك العهد، وكان المماليك يصيغون المكاتبات، على الطريقة التي ابتكرها السلطان الأيوبي عز الدين أيبك التركماني (648 – 656هـ/ 1250 – 1258م)[6]، ولم تتغير منذ ذلك الوقت، وقد أورد ذلك ابن عبد

---

[1] – وكانت حدودها تمتد من شمال يافا إلى جنوب صيدا غرباً، إلى مرجعيون شمالاً وبحيرتا الحولة، وطبريا شرقاً ومدينة نابلس وغور الأردن جنوباً، ضمت نيابة صفد إحدى عشرة ولاية من المناطق المحيطة بها. للمزيد ينظر: ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار**، 134 ؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، 151 ؛ طراونة، طه ثلجي، **مملكة صفد في عهد المماليك**، 102 – 103.

[2] – هو أيديكين بن عبد الله الصالحي مملوك الملك الصالح إسماعيل كان أمير جندار، ثم ولي نيابة صفد الأشرف خليل وبها توفي عام (690هـ/1291م). للمزيد ينظر: ابن تغري بردي، **الدليل الشافي**، ج1، 165.

[3] – ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 9.

[4] – البرزالي، **المقتفي**، ج1، 238 ؛ ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار**، 134.

[5] – ابن فضل الله العمري، **دولة المماليك الأولى**، 190 – 191.

[6] – هو عز الدين أيبك التركماني، أول سلاطين المماليك البحرية في مصر والشام، وكان مملوكاً للصالح نجم الدين أيوب، ثم أعتقه وأصبح مقدماً للعساكر بعد مقتل تورانشاه وقيام شجرة الدر، ثم تزوجها وتنازلت له عن السلطنة وتوفي عام (655هـ/1257م) وقيل (656هـ/1258م). للمزيد ينظر: الذهبي، **العبر في خبر من عبر**، ج3، 274 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج1، 463، 494.

الظاهر (ت692هـ/1293م) على هذا الأمر حيث قال"... **صار الولاة الأصاغر يخاطبون مخاطبة مقدمي العساكر والأكابر** .... "[1].

ثم أمر السلطان الأشرف نائبه الأمير بدر الدين بيدرا، ووزيره الصاحب بن السلعوس أن يكتب للأمراء دون ألقاب [2]، ليضفي السهولة والاختصار عليها، ولعل السبب الذي جعله يلغي هذا النمط من المكاتبات هو خبرته أثناء حكم والده واطلاعه على كثير من الأمور من توقيع المعاهدات وإرسال المراسيم[3]، وكان الأشرف يحشو المكاتبات بخطه، ويكتب بنفسه للأمراء والملوك، كما جاء في الرسالة التي كتبها الأشرف خليل لأمير مكة ابن أبي نمّى، وظهر فيها خط السلطان الأشرف خليل [4]، ومن ذلك ذلك حين كتب مرسوم إلغاء مكس الجابية في دمشق، حيث كان يؤخذ خمسة دراهم على كل حمل جمل من القمح، فكتب السلطان بخطه بين سطور المرسوم الذي أعده كاتب الإنشاء: "**ولتكشف عن رعايانا هذه الظلامة، ويستجلب الدعاء لنا من الخاصة والعامة**"[5] وقام بإلغاء اسمه من المكاتبات واكتفى

---

[1] – ابن عبد الظاهر، **الألطاف الخفية**، ج3، 36 – 38 ؛ ابن أيبك الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج13، 403؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 166 ؛ المقريزي، **المقفى الكبير**، ج3، 806 ؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج1، 376 – 377.

[2] – ابن عبد الظاهر، **الألطاف الخفية**، ج3، 36 – 38 ؛ ابن أيبك الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج13، 403؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 166 ؛ المقريزي، **المقفى الكبير**، ج3، 806 ؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج1، 376 – 377.

[3] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الايام والعصور**، 98، 163؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 198.

[4] – ابن أيبك الصفدي **الوافي بالوفيات**، ج13، 403 ؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 166 ؛ ابن إياس **بدائع الزهور**، ج1، 366.

[5] –ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 166؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 247.

بوضع حرف (خ) إشارة لاسمه، ووضع البسملة قبل كل شيء [1]، ويختلف في هذا الأمر عن السلاطين السابقين؛ فلم يكونوا يبتدئوا بالبسملة في مكاتباتهم، كما جاء في مرسوم أصدره السلطان الأشرف خليل عام (690هـ/1291م) بالإفراج عن الأمير بدر الدين بيسرى وكان السلطان قلاوون قد اعتقله في مرحلة سابقة، وجاء في مقدمة المرسوم:

بسم الله الرحمن الرحيم

"**الحمد لله على نعمه الكاملة، ومراحمه الشاملة، وعواطفه التي أضحت بها دور الإسلام...** " ثم يذكر ألقاب الأمير بدر الدين بيسرى ويقول: " **وهو المقر الأشرف العالي، المولوي، الكبيري، البدري، بيسرى الشمسي الصالحي النجمي الملك الأشرفي، فهو الموصوف بهذه الأوصاف والمدح، والمعروف بهذه المكارم والمنح....**" [2].

ويبدو أن هذا التغيير قد طرأ على صيغ المكاتبات للأمراء الأصاغر، ولم يشمل أكابر الدولة. وللوهلة الأولى ويمكن للمرء الاعتقاد أن السلطان الأشرف خليل، أراد أن ينفي هذه الصفات عن أمرائه، ويجعلها لنفسه على سبيل التنقيص من قدرهم وسموه عليهم، إلا أننا نجد أن السلطان الأشرف خليل نفى حتى اسمه من بعض المكاتبات، ووضع حرف (خ) إشارة له وكتوقيع له، وهنا نستدل أن غرض السلطان الأشرف خليل كان واضحاً في إنهاء صيغ المبالغة والتعقيد عن المكاتبات، لا أن ينتقص من أمرائه كما يتبادر للذهن في بداية الأمر.

---

[1] –ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 168 ؛ المقريزي، **المقفى الكبير**، ج3، 801 – 802.

[2] – ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج8، 122 ؛ حمادة، محمد ماهر، **الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكي**، 290.

الأحوال الاقتصادية في عهد السلطان الأشرف:-

لا نستطيع الفصل بين عهد السلطان المنصور قلاوون، وابنه السلطان الأشرف خليل فإن كثيراً من القرارات والقوانين اضافة إلى المعاهدات التي كانت تسري أيام المنصور سرت في عهد ابنه وأثرت بشكل مباشر في الحالة الإقتصادية على الصعيدين الداخلي والخارجي.

أ- الطرق:-

كان لتمركز المغول في أواسط آسيا، الأثر الكبير في تهميش طرق التجارة الآسيوية[1]، مما أدى إلى انتعاش طريق البحر الأحمر، وموانئ مصر عليه بشكل خاص، وكان لطريق البحر الأحمر دور متميز في نقل السلع الشرقية إلى الغرب، وغدا هذا البحر أحد شرايين التجارة الدولية[2]، التي أثرت بشكل كبير على الاقتصاد المملوكي.

وكانت أهم الإنجازات في النقل والمواصلات، في عهد السلطان الأشرف خليل أنه قام بتنظيف الساحل الشامي من الفرنجة [3]، وهذا الأمر أدى إلى انضمام المدن التي كانت تحت سيطرة الفرنجة إلى السيادة المملوكية، وبالتالي ربطها مع المدن الأخرى، وأصبحت عملية الدخول والخروج منها تسري دون عوائق.

---

1 - فهمي، نعيم، **طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب**، 191.

2 - Abu lafia , daved **, Mediterranean Encouters** ,6.

3 - - - مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 3.

Sharon , m , **the history of Palestine** , 46

ثم عمل السلطان على تحرير قلعة الروم وضم أكثر من قلعة وحصن في الشمال[1] ؛ مما ساعد على انفتاح المماليك على تلك المناطق المتاخمة لبلاد الأرمن، ومغول فارس وسمح للتجار المسلمين الوصول إلى تلك المناطق دون اعتراض من أحد.

ب- السكة:-

كان الناس يتعاملون في مصر بالدراهم الكاملية التي أمر بضربها الملك الأيوبي الكامل (ت635هـ/1238م) [2] عام (622هـ/1225م) [3]، وجعلها ثلاثة أثلاث: ثلثي الدرهم من فضة والثلث الأخير من نحاس [4]، وما زالت كذلك حتى أمر السلطان الظاهر بيبرس بضرب الدراهم الفضية التي أطلق عليها الدراهم الظاهرية، وحملت رموزاً مملوكية، وبذلك استطاع المماليك التخلص من تبعية السكك الأيوبية [5].

---

[1] – – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 227 ؛ ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 150 ؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1، 282 ؛ ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج1، 149 ؛ **درة الأسلاك**، ج1، ورقة 166. البرزالي، **المقتفي**، ج1، 321 ؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 156

[2] – هو محمد بن ابي بكر محمد بن ايوب بن شاذي السلطان الملك الكامل ابن الملك العادل ولد عام (573هـ/1177م) تولى السلطنة عشرون عاما، ومن قبلها نيابة دمياط عشرون عاما ايضا. للمزيد ينظر: الحنبلي، أحمد، **شفاء القلوب في مناقب بني ايوب**، 299- 320

[3] – ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج4، 16 – 17 ؛ المقريزي، **شذور العقود بذكر النقود**، 181، 134.

[4] – المقريزي، **شذور العقود في ذكر النقود**، 82 ؛ **إغاثة الأمة في كشف الغمة**، 66؛ سرور، محمد جمال، **دولة بني قلاوون في مصر**، 329.

[5] – المقريزي، **شذور العقود بذكر النقود**، 82 ؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج3، 509.

وسُرعان ما استولى الأتابك قلاوون على السلطنة عام(678هـ- 1279م)، وضرب اسمه ولقبه على ما أصدره من مسكوكات نقدية[1]، اشتملت على العملات الذهبية والفضية والنحاسية، وتم ضربها في كل من القاهرة والإسكندرية ودمشق وحماة[2].

وأصدر السلطان الأشرف خليل مسكوكاته [3]، حين جلس على كرسي الحكم، ومما وجد من مسكوكاته دينار وبضعة دراهم وأنصاف وأرباع الدراهم[4] وبعد عملية البحث والدراسة على هذه المسكوكات وجد أنها تتميز عن باقي مسكوكات السلاطين السابقين بعدة أمور:

أولاً: حملت نقود الأشرف خليل ألقاباً جديدة نقشت لأول مرة، واختلفت عن نقود السلاطين المماليك السابقين، فبعضها جاء مكتوباً عليه " **الملك الأشرف صلاح الدين ناصر الملة المحمدية محيي الدولة العباسية** "، وبعضها الآخر ظهر عليها النقش التالي: " **السلطان الملك الأشرف صلاح الدنيا والدين قسيم أمير المؤمنين**"[5]، وعلى الوجه الآخر من مسكوكات السلطان الأشرف خليل كتبت عبارة التوحيد وجزء من الآية الثالثة والثلاثين من سورة التوبة [6]، ويظهر على نقوده وجود ألقاب جديدة ورفيعة مثل " **ناصر الملة المحمدية** " وهو لقب يشير إلى نصرة الإسلام على حد ما، وذلك إشارة لجهود السلطان

---

[1] – ينظر ملحق رقم (3).

[2] – النجيدي، حمود، **النظام النقدي المملوكي**، 221.

[3] – المقريزي، **السلوك**، ج2، 243.

[4] – عجاج، أحمد، **النقود المملوكية في متحفي السلط ومادبا**، 52.

[5] – مهدي، شفيق، **مماليك مصر والشام**، 97.

[6] – " يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم " التوبة / 33.

الأشرف خليل في إنهاء الوجود الفرنجي على الساحل الشامي، بعد احتلال طويل. واللقب الثاني " **محيي الدولة العباسية** "[1]، ولم يكن السلطان بيبرس قد تقلد بهذا اللقب، وان كان هو من قام بإحياء الخلافة العباسية. واتسمت بعض هذه المسكوكات بتسجيل اسم دار الضرب، وتاريخ ضربها وسجلت بشكل دائري، كما في الدينار الذي وجد في الأردن، حيث سجّل عليه ثغر الإسكندرية [2]، أي أنّه تم ضرب هذا الدينار في نيابة الإسكندرية بمصر، إلا أن بعض مسكوكاته خَلتْ من تسجيل دار الضرب أو التاريخ أو كلا الأمرين[3].

ثانياً: تخلى السلطان الأشرف خليل عن اسم ولقب الخليفة العباسي فقد خلت بعض مسكوكاته منها[4].

ج- التجارة:-

اتسعت العلاقات التجارية الخارجية زمن السلطان المنصور القلاوون، وعقد التحالفات التجارية مع الدول الأوروبية والدول المجاورة، وفرنجة الساحل الشامي، مما انعكس ايجاباً على الاقتصاد المملوكي.

وخلال فترة السلطان الأشرف خليل اندفع التجار الأوروبيون وملوكهم، للبحث عن وسيلة تضمن لهم الدخول للأسواق المملوكية، خاصة بعد تحرير مدن الساحل الشامي: عكا وصيدا وبيروت وصور وعثليث وطرطوس، وكانت هذه المدن مراكز التجارة الأوروبية في المشرق وخسارتها تعني خسارة التجارة الأوروبية، فاضطر ملوك أوروبا إلى الدخول في معاهدات تجارية دفاعية، بالرغم من تحريم البابا التعامل

---

[1] – مهدي شفيق، **مماليك مصر والشام**، 97؛ عجاج، أحمد، **النقود المملوكية في متحفي السلط ومادبا**، 28.

[2] – عجاج، أحمد، **النقود المملوكية في متحفي السلط ومادبا**، 52.

[3] – المرجع نفسه، 28 – 29.

[4] – النجيدي، حمود، **النظام النقدي المملوكي**، 221.

مع المسلمين[1]، لتحقيق الربح المادي من خلال التنافس التجاري؛ على الرغم من النداءات البابوية، لتشكيل حملة صليبية لإستعادة المشرق[2]. وكان ذلك من خلال أمرين:

أولاً – قامت السلطنة المملوكية بالتعاقد مع الممالك الإسبانية، المتمثلة بمملكتي أراغون وقشتالة [3]، وكانت هذه المعاهدة من أهم المعاهدات التجارية التي وُقّعَت في عهده، والتي تمحورت عليها العلاقات المملوكية الإسبانية، وتمخض عنها العديد من الأمور منها:

1– تنظيم عملية التجارة بين الممالك الإسبانية والسلطنة المملوكية ضمن قانون الضرائب المتفق عليه سابقاً في الديوان "**.... نستمر على حكم الضرائب المستقرة في الديوان المعمور إلى آخر وقت...** [4].

2– أن يسمح الملك الأرغوني ومن دخل معه في المعاهدة من طرفه من الممالك الإسبانية لتجار بلادهم إحضار الحديد والبياض[5]، والخشب، ومما جاء في النص "**.... وعلى أن الملك دون حاكم وأخويه وصهريه يفسح كل منهم، لأهل بلاده وغيرهم من الفرنجة، إنهم يجلبون إلى الثغور الإسلامية ؛ الحديد والبياض، والخشب....** " [6] وحاجته لبعض المواد والحديد المتوفر في بلاد الأندلس، والمواد الأخرى

---

[1] – هايد، ف، **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى**، 253–254.

Abu lafia , daved **, Mediterranean Encouters** , 17.

[2] – الحجي، حياة، **العلاقات بين السلطنة المملوكية والممالك الإسبانية**، 66.

[3] – هايد، ف، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، 260.

[4] – القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج14، 69.

[5] – البياض: ضد الأسود من الناس ويبدو أنهم المماليك البيض. الزبيدي، تاج العروس، مج5، 9–10.

[6] – القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج14، 68 بحسب الشرع يأخذون ما بين الخمس والعشر من بضاعتهم. ينظر القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج3، 463.

كالزئبق والرصاص [1]، لحاجة المماليك المتزايدة في ذلك الوقت للسلاح، فتدخل هذه المواد في صنع المنجنيقات والدبابات، مما يدل أيضاً أنه مقبل على خوض حرب كبيرة. [2]

3- في حالة تعرض تجار السلطنة المملوكية _ بغض النظر عن مللهم_ ومراكبهم إلى مكروه في بلاد الممالك الإسبانية، يجب تأمين عودتهم. ومن ذلك: "....**وعلى أنه ما مات أحد من تجار المسلمين ومن نصارى بلاد الملك الأشرف، أو ذمة أهل بلاده في بلاد الملك دون حاكم وبلاد أخويه وصهريه وأولاده ومعاهديه، لا يعارضونهم ولا في بضائعهم، ويحمل مالهم وموجودهم إلى بلاد الملك الأشرف...**"[3] ومن خلال هذا البند، تتوضح لدينا محاولة الأشرف خليل الأكيدة في ضمان حقوق التجار المسلمين حتى في أصعب الظروف في تلك المناطق.

4- في حالة قدوم التجار الإسبان إلى دولة المماليك يتم التعامل معهم وفق الشرع الإسلامي: "..... **أنه متى كان بين تجار المسلمين وبين تجار الملك دون حاكم وأخويه وصهريه معاملةً في بضائعهم وهم في بلاد الملك الأشرف، كان أمرهم محمولاً على موجب الشرع الشريف....** " [4].

ثانياً – استطاع السلطان الأشرف خليل بعد اتفاق الممالك الإسبانية، جر البندقية لتوقيع اتفاق مماثل، فبعد زوال المعاقل الفرنجية على الساحل الشامي، وبشكل خاص مدينة عكا، التي كانت بمثابة مركزاً تجارياً للبنادقة، حاولت البندقية فرض السيطرة على تجارة البحر المتوسط، كما اعتادوا قبيل تحرير

---

[1] – ابن حوقل، **صورة الأرض**، 114، هايد، ف، **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى**، 34.

[2] – الحجي، حياة، **العلاقات بين سلطنة المماليك والممالك الإسبانية**، 82.

[3] – **القلقشندي**، صبحي الأعشى، ج14، 67.

[4] – المصدر نفسه، 68.

الساحل الشامي [1] من خلال قرصنة السفن الإسلامية، فعمدوا إلى نهب مراكب إسلامية، وأسر جماعة من التجار المسلمين، وفي المقابل قامت العساكر المملوكية، بحجز مراكب البنادقة مع تجارها قبالة الساحل المصري، وهذا الأمر أدى إلى حضور رسول عن دوق البندقية إلى الإسكندرية، في صفر/ كانون الثاني (692هـ/1293م)، وحضر بين يدي السلطان مقدماً الهدايا النفيسة له، وسائلاً إياه نيابة عن دوقهم إطلاق البنادقة الذين وقعوا في الأسر، ثم قام بدفع حوالي سبعين ألف درهمٍ، كتعويض للتجار المسلمين، مقابل إطلاق الأسرى البنادقة، وفي المقابل قام السلطان الأشرف خليل، بإطلاق أسراهم وإعطائهم أماناً شريفاً لهم ولغيرهم من الجنوية والكيتلانيين والبيشانيين [2]، في حالة ترددهم على الثغور المملوكية[3].

ونتج عن هذا الاتفاق ضمان الحركة التجارية في البحر المتوسط لجميع الأطراف[4]، ووضعت حد لإلتفاف البنادقة حول البابا الذي كان يحاول دعوة القوى الأوروبية، إلى تشكيل حملة جديدة ضد المشرق.[5]

---

[1] – رنسيمان، ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3، 690؛ عاشور، سعيد، **الحركة لصليبية**، ج2، 1120.

[2] – يبدو أنهم البيازنة، أي سكان بيزا.

[3] – ابن عبد الظاهر، **الألطاف الخفية**، ج3، 44 – 45 ؛ يوسف، جوزيف نسيم، **دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب**، 77 – 78.

[4] – العمايرة، خالد، **موانئ البحر الأحمر وأثرها في تجارة دولة المماليك**، رسالة ما جستير غير منشورة، جماعة اليرموك، 2004، 41.

[5] - هايد ، تاريخ التجارة في الوسط الادنى في العصور البوسطى ، ج2 ، 252

أما بالنسبة **للتجارة الداخلية**، فقدقام السلطان بعدة خطوات لتنشيطها، كان أهمها:

1- إلغاء المكوس عن التجار، مثل مكس باب الجابية [1]، وكان مقداره خمسة دراهم عن كل حمل جمل من القمح[2] وقام بإلغاء مكس الصالحية [3]، وكان لهذه المكوس الأثر الكبير في غلاء الأسعار ورفع الظلم عن الناس[4]، لأنها لا تخضع لقاعدة محددة، بل تخضع لأوضاع السلطنة الاقتصادية والسياسية، وجشع بعض السلاطين ورغبتهم في تقرير كميتها وكيفية جمعها[5]. ويعود سبب إسقاط هذه المكوس إلى إلى علاقة الأشرف خليل بوزيره ابن السلعوس الدمشقي، وكان الأخير تاجراً، وحاول من خلال منصبه تسهيل التجارة خاصة في دمشق، من خلال إسقاط هذه المكوس للتهوين على التجار. إلا أنه وضع مصالحه ومصالح عملائه من التجار في أعلى سلم أولوياته حيث قام – أيضاً – بإصدار مرسومٍ سلطانيٍّ بنقل

---

[1] – ابن أيبك الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج13، 402 ؛ القرماني، **أخبار الدول**، مج2، 275 ؛ المقريزي، **المقفى الكبير**، ج3، 802 ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 17.

[2] – ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج8، 166؛ المقريزي، السلوك، ج2، 247.

[3] – البرزالي، **المقتفي**، ج1، 330.

[4] – حجة، شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإليخانية فارس**، 437.

[5] – ناصر، عامر، **الحياة الزراعية في مصر زمن الدولة المملوكية الثانية**، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، الأردنية، 1998، 302.

سوق الحريريّين إلى قيسارية القطن[1]، وهنا احتكر أصحاب قيسارية القطن تجارة الحرير وأخلوا سوق الحريريين من تجاره، ملحقين الضرر بهم[2] .

2-عمل على تخفيض الأسعار وأبطل الرماية[3] على التجار[4]، شأنه شأن السلاطين المماليك الذين كانوا يجتهدون كثيراً في العمل على التخفيف من وطأة ارتفاع الأسعار على العامة لكسب التأييد الشعبي[5].

د- الصناعة:-

أعطى السلطان الأشرف خليل، اهتماماً بالغاً للصناعات الحربية وما يتعلق بها؛ بسبب الحالة الحربية التي وضعت البلاد فيها، من التنافس المملوكي الفرنجي والمملوكي المغولي على المنطقة، فاهتم

---

[1] – قيسارية: جمعها قياسر، محرفة من الكلمة اللاتينية caesarea أو cesarie، وظهرت القياسر في بلاد الشام مثل ظهورها في الديار المصرية، ووصفها الخان العظيم تنغلق عليها أبواب حديد وتطيف بها دكاكين وبيوت، بعضها فوق بعض وكانت تعرف باسم مُنشئها أو باسم ما يباع فيها، كقيسارية العصفر وقيسارية العنبر، وقيسارية الحرير أو قيسارية العطارين. للمزيد ينظر: الحروب محمد، **المماليك الاتراك في الدول الايوبية** (567-648هـ/ 1171-1250م)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، 1995م، 231، 232.

[2] – ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 119.

[3] – الرماية: كل ما زاد على الشيء، فقد أرمى عليه إرماءً، ومن مظاهر الزيادة الربا. للمزيد ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج19، 55.

[4] – العيني، **عقد الجمان**، ج3،

[5] – الحجي، حياة، **أحوال العامة في حكم المماليك**، 229.

بصنع المجانيق، على اختلاف أنواعها من القرابغا والإفرنجية، وجلب أخشابها من بعلبك ووادي مربين في البقاع [1]، وزاد الاهتمام بصناعة الشواني، وما يتعلق بها من المكاحل والبارود والمدافع والنفط[2].

وبسبب اهتمام السلطان الأشرف خليل بمماليكه تطوّرت مع هذا التوجه صناعة الألبسة والأقبية والسروج المزركشة والدروع والكلوتات والقمصان والملابس بشكل عام[3]. واهتم بشكل كبير بتقديمات الحلوى والأطعمة، وتصنيعها على اختلاف أنواعها [4].

هـ- الزراعة:-

تعد الزراعة من المقومات الأساسية للحياة الاقتصادية في الدولة المملوكية، وارتبطت الزراعة فيها بالنظام الإقطاعي، الذي ترسّخت جذوره من أيام الدولة الأيوبية، حتى أصبحت كل من مصر والشام إقطاعاً للسلطان وأمرائه وجنده، فمثلاً قسمت أراضي مصر إلى أربعة وعشرين قيراطاً [5]، أربعة منها

---

[1] – البرزالي، **المقتفي**، ج1، 211 ؛ الفيومي، **نثر الجمان**، ورفة 441؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 93.

[2] – ابن عبد الظاهر، **الألطاف الخفية**، ج3، 56 – 57؛ المقريزي، **الخطط**، ج3، 13؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 186؛ ماهر، سعاد، **البحرية في مصر**، 117.

[3] – البرزالي، **المقتفي**، ج1، 318 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 211.

[4] – ينظر: بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**، 293 – 294.

[5] – القيراط: في لغة اليونان حبة الخروب والدرهم عندهم اثنتا عشر حبة. المقري الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، ج2، 156، وهو مقياس مساحة مصري يعادل 24/1 من الفدان أو 175035م2. هنتس، **المكاييل والأوزان**، 98.

للسلطان وعشرة للأجناد، والعشرة الباقية للأمراء[1]، والمتعارف عليه أن الإقطاعات لا تورث، بل ترد إلى السلطان إذا مات أصحابها، فيهبها السلطان بدوره لمن يشاء ولمن يستحقها من جديد من وجهة نظره [2].

ويبدو أن الأوضاع الزراعية في عهد الأشرف خليل، قد سارت على منوالها في عهد والده المنصور قلاوون، حيث أمر بحفر القنوات الزراعية، وتحسين الأراضي في محاولة منه لزيادة الانتاج[3]، ويظهر – أيضاً– أن تردي الأحوال الجوية في عهده، وتذبذب كمية سقوط الأمطار في بلاد الشام خاصةً، قد أدى إلى القحط والجفاف من ناحية، مما دفع الناس إلى تكرار أداء صلاة الاستسقاء، أكثر من مرة خلال عام (691هـ/1292م)[4]، ومن ناحية أخرى أدى الصقيع والأمطار الغزيرة والسيول في عام (692هـ/1293م) ، إلى الإضرار بالزراعة ومحاصيلها[5]. فالبرد القارص أثر على انتاج الحبوب وعلى رأسها القمح، فحصل الغلاء، بحيث بيع كل عشر أواق بدرهم [6]، وأثر البرد على الأغنام والدواب وحتى المسافرين، فتعطلت كثير من الأمور. [7]

---

[1] – ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج 8، 92 ؛ ضومط، أنطوان خليل، **الدولة المملوكية**، 101 ؛ قاسم، عبده قاسم، **دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي**، 15.

[2] – ابن فضل الله العمري، **دولة المماليك الأولى**، 109 ؛ قاسم، عبده قاسم، **دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي**، 21.

[3] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 25؛ الحداد، محمد حمزة، **السلطان المنصور قلاوون**، 66-67.

[4] – ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 116 – 121 ؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1، 273.

[5] – ابن كثير البداية والنهاية، ج14، 51؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 252.

[6] – مفردها إوقية، وحددت بسبعة مثاقيل ونصف وتزن الاوقية عشرة دراهيم وخمسة أسباع الدرهم. للمزيد ينظر: المقريزي، المقريزي، **شذور العقود بذكر النقود**، 149 150.

[7] – البرزالي، **المقتفي**، ج1، 317 – 318؛ المقريزي، **شذور العقود بذكر النقود**، 51 .

إلا أننا نجد أن مصر لم تتأثر بالظروف الجوية ؛ بسبب مياه نهر النيل الوفيرة، وكان نهر النيل قد وفى على العادة في سنوات حكم السلطان الأشرف خليل [1]، كما بين مقياس النيل [2]، في جزيرة الروضة [3] ؛ وحصل الاستبشار بوفرتها وثبت لذلك سعر الغلال[4].

ويمكننا أن نستشف من خلال ما استعرضناه عن انشغال السلطان الأشرف خليل في الفتوح والتحرير، أن ذلك قد أشغله عن الاهتمام بالزراعة.

---

[1] – ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 394 ؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1، 249 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 40؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 33.

[2] – وهو عبارة عن عامود من الرخام أبيض مثمن في موضع ينحصر فيه الماء عند انسيابه إليه، وهو مفصل على اثنين وعشرون ذراعاً مقسم على أربعة وعشرون قسماً، تعرف بالأصابع فإذا انتهى الفيض عندهم إلى هذا الحد كان العام في طيب وخير، والمتوسط عندهم ما استوفى سبع عشرة ذراعاً. للمزيد ينظر: ابن جبير **رحلة ابن جبير**، 27.

[3] – جزيرة الروضة: وهي جزيرة في النيل بين الفسطاط والجيزة وبطرفها من الجنوب دار المقياس وكانت حصينة وفيها البساتين والثمار. للمزيد ينظر: ابن دقماق، **الانتصار بواسطة عقد الأمصار**، 109.

[4] – ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 394 ؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1، 249 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 40؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 33.

الأحوال الاجتماعية في عهد السلطان الأشرف:-

أ- موقف الأشرف خليل من القبائل العربية:-

في بداية عهد المنصور قلاوون عام (680 هـ / 1281م) خرج نائبه على الشام الأمير سنقر الأشقر، بعد أن كسر الطاعة، وأصبح يتقرب إلى المغول، في محاولة الإبقاء على سلطته والإنفراد بالشام، لذلك كاتب أبغا بن هولاكو ملك مغول فارس لاقتسام البلاد، وكان الأمير شرف الدين بن عيسى بن مهنأ [1]، والد الأمير حسام الدين مهنأ، من ضمن الشخصيات التي ساندت سنقر الأشقر، وقيل: كتب هو الآخر لأبغا ؛ بموافقته على هذا الأمر [2]، ويطلب منه التدخل، وكانت هذه الإرساليات من جانب الأمير سنقر الأشقر، والأمير عيسى بن مهنأ الدافع الأساس لغزو مغول فارس الشّام في تلك السنة [3]، وبعد مصالحة الأمير سنقر الأشقر،عومل الأمير شرف الدين عيسى بن مهنأ كأي أمير في السلطنة المملوكية، واتسمت العلاقة التي جمعته بالسلطان المنصور بالهدوء، حتى وفاته عام (683هـ/1284م) [4] وانتقلت إمرة العرب لابنه من بعده الأمير حسام الدين مهنأ بن عيسى [5].

---

[1] – هو الامير شرف الدين عيسى بن مهنأ بن مانع بن حديثة بن عقبة بن فضل وعظم شأنه وارتفع عند الملوك وهو والد الامير حسام الدين مهنأ وتوفي عام (683هـ/ 1284م). للمزيد ينظر: الذهبي، **العبر**، ج3، 353؛ **القلقشندي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**، 7؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 8.

[2] – ابن العبري، **تاريخ مختصر الدول**، 288؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج7، 185 ؛ ابن سباط، **صدق الأخبار**، ج1، 472.

[3] – عاشور، فايد، **العلاقات السياسية بين المماليك والمغول**، 114.

[4] – الذهبي، **العبر**، ج3، 353.

[5] – ابن فضل الله العمري **قبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجريين**، 114 – 116 ؛ القلقشندي، **قلائد الجمان**، 76.

وعندما تولى السلطان الأشرف خليل قَدِمَ أمير العرب، حسام الدين مهنأ بن عيسى ، وقدم التهاني بسلطنة الأشرف [1]، ثم إن الأشرف خليل بعث هدية للأمير حسام الدين مهنأ بن عيسى، بمناسبة زواج ابنته [2].

اشتركت القبائل العربية، من آل مهنأ وآل فضل وآل مُرا، وبني كلاب في حرب الأشرف خليل ضد فرنجة الشام، أثناء فتح عكا ومدن الساحل عام (690هـ – 1291م)[3]، وتحرير قلعة الروم من الأرمن وحلفائهم مغول فارس عام (691هـ – 1292م)، واشتركت فرق هذه القبائل مع أمراء المماليك سنقر الأشقر، وبدر الدين بكتاش وبيبرس المنصوري، في ملاحقة الجيش المغولي، الذي كان مترصداً بالعساكر المملوكية،عندما كانت العساكر المملوكية تحاصر قلعة الروم [4].

وفي شهر جمادى الأولى/ نيسان (692هـ/1293م) خرج السلطان من الديار المصرية نحو الكرك، ومن ثم سار إلى دمشق، وارتحل منها إلى حمص، ثم سلمية[5]، حيث مضارب آل مهنأ، ونزل عند أمير العرب حسام الدين مهنأ بن عيسى، وبعد استضافته للسلطان الأشرف أُعتُقل هو وأخواه محمد وفضل

---

[1] – المقريزي، **السلوك**، ج2، 222.

[2] – المقريزي، **السلوك**، ج2، 240.

[3] – ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 5؛ السيد، محمود، **تاريخ العرب في اخطر المعارك الحربية في العالم**، 151.

[4] – العيني، **عقد الجمان**، ج3، 115.

[5] – سلمية: بلد من اعمال طرف البادية في الشام، قريباً من حمص. للمزيد ينظر: الحميري، **الروض المعطار**، 320.

وولده موسى، وأرسلوا إلى مصر فحبسوا في قلعة الجبل [1]، وأعطى السلطان الأشرف خليل إمرة العرب لمحمد بن أبي بكر بن علي بن جديلة من آل علي [2].

وقد تعددت روايات المؤرخون حول موقف الأشرف خليل من آل مهنأ، فإبن فضل الله العمري (ت749هـ/ 1349م)، يقول أن الجيش المملوكي أثناء زحفه نحو قلعة الروم مر بناحية سرمين [3]، التي كانت إقطاعاً لآل مهنأ وقام – الجيش – بالاعتداء على زروعها، فاحتج أهلها إلى مهنأ، فشكا للسلطان الأشرف خليل هذا الأمر، الذي صده بدوره وقال: " **كم جهد ما أوذوا حتى تواجهني بالشّكوى، وما كان يُغتفر هذا الفعل لهذا الجيش العظيم الخارج ؛ لأجل إذلال العدو وقص جناح الكفر؟** " [4].

وبعد فتح قلعة الروم اجتمع السلطان الأشرف مع بعض خواصه من الأمراء وبني مهدي[5]، وكانوا يضحكونه بوجود آل مهنأ بن عيسى، ثم صعد السلطان إلى مركب سار في نهر الفرات، فحاول

---

[1] – أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج4، 38 ؛ ابن سباط، **صدق الأخبار**، ج1، 500؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 251؛ الجعفري، **أنهج الطرايق والمناهج والسلوك**، ورقة 203 ؛ الشهابي، **الغرر الحسان**، ج1، 469 ؛ ابن حبيب، **درة الأسلاك**، ج1، ورقة 174 ؛ المقريزي، **الخطط** ج3، 95.

[2] – ابن فضل الله العمري، **قبائل العرب في القرنين السابع والثامن**، 136 ؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 156 ؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، 50.

[3] – سرمين: منطقة من أعمال حلب. للمزيد ينظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، 231.

[4] – ابن فضل الله العمري **قبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجريين**، 119.

[5] – بنو مهدي: وهم أبناء جيش جذام بن عدي بن عمرو بن سبأ من العرب العاربة ومنازلهم البلقاء. للمزيد ينظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، 212 – 213 ؛ **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، 427.

الأمير حسام الدين مهنأ الركوب ومدت الإسقالة [1]، فأومأ الأشرف خليل مازحاً لأحد خواصه بتحريكها، فوقع الأميرحسام الدين مهنأ في الماء وضحك الجميع لسقوطه، وغضب غضباً شديداً، ثم لعن فاعلها، فأسرها السلطان الأشرف خليل في نفسه كونه من أمر بذلك[2].

وفي اللقاء نفسه يروي البدر العيني (ت 855هـ/ 1451م)، أن الأشرف خليل قد رأى العرب يضعون الطراطير[3] على رؤوسهم، فأبدا سخرية منهم، ونصح الأمير حسام الدين مهنأ بن عيسى، بوضع الكلوتة على رأسه مثل عسكره فرد عليه: " **أتريد أن تجعلنا مساخر ومضحكة للعرب، معاذ الله من ذلك** "، فتغير السلطان مِنْ قوله، وسكت على غيظ منه [4].

ومن الجدير ذكره أن نائب دمشق السابق حسام الدين لاجين، عند هروبه من وجه السلطان الأشرف خليل بعد فتح قلعة الروم [5]، ذهب إلى صرخد [6]، وبعث للأمير حسام الدين مهنأ بن عيسى أن

---

[1] – الإسقالة: ما يربطه المهندسون من الأخشاب والحبال ليصلوا بها إلى المحال المرتفعة. للمزيد ينظر: أنيس، إبراهيم وآخرين، **المعجم الوسيط**، ج1، 18 ؛ الرصافي، معروف، **الآلة والأداة**، 24، ويبدو هنا أنها قطعة الخشب التي تصل بين ضفة النهر والمركب من أجل صعود الركاب.

[2] – ابن فضل الله العمري، **قبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجريين**، 119؛ العيني، **عقد الجمان**، ج159،3.

[3] – الطراطير: قلنسوة طويلة كان يلبسها الأعراب، وكانت من ملابس النساء في الشام، ويقال لها طنطون أو طرطور. للمزيد ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج6، 173؛ ابراهيم، رجب، **المعجم العربي لأسماء الملابس**، 303.

[4] – العيني، **عقد الجمان**، ج3، 159.

[5] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 131 ؛ أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، ج4، 37 ؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 242.

[6] – صرخد: وهي مدينة قديمة، وفيها قلعة بنيت من قبل نور الدين زكي، ثم هدمها هولاكو، حتى جددها الظاهر بيبرس.للمزيد ينظر: ابن فضل الله العمري، **دولة المماليك الأولى**، 189.

أن يوصله إلى الحجاز[1]، ثم فشلت مساعيه عندما وشى به أحد العرب هناك حتى استطاع السلطان القبض عليه [2]. وهذا الموقف وحده يجعل السلطان الأشرف خليل يشعر أن مهنأ بن عيسى قد خانه وساعد عدوه، وربما خاف السلطان الأشرف خليل، من اتحاد يجمع بين لاجين وشرف الدين مهنأ بن عيسى،على غرار تحالفٍ سابقٍ جمع بين سنقر الأشقر نائب الشام السابق والأمير شرف الدين عيسى بن مهنأ، وتمخض على إثر هذا التحالف ، جلب المغول إلى المنطقة عام (680هـ/ 1281م)[3]. ويبدو أن تخوفَ السلطان الأشرف خليل، من اتصالاتٍ تجمع أمير العرب حسام الدين مهنأ بن عيسى ومغول فارس، في وقت كان يحضر لغزوهم [4]، قد دفعه إلى إعتقال الأمير حسام الدين مهنأ بن عيسى، درءاً له له من أي تحالف يجمعه بالمغول. ويظهر أن السطان الأشرف خليل كان على الدوام متحرزاً من الخيانة.

ب- موقف الأشرف خليل من أهل الذمة:-

أصدر السلاطين المماليك بحق أهل الذمة كثيراً من المراسيم، التي تحد من نفوذهم في بعض الأمور، حيث أنّ كثيرٌ من أهل الذمة ـ اليهود والنصارى ـ ، تمكنوا من جمع ثروة عظيمة، كما أسرفوا في البذخ والترف [5]، حتى تعالوا على المسلمين، مما دفع ذلك السلطنة المملوكية إلى إصدار مرسوم،

---

[1] – الذهبي، **دول الإسلام**، ج2، 216 ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 12.

[2] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 131 ؛ ابن شاكر الكتبي، **عيون التواريخ**، ج22، 117 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 127؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 12.

[3] – ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج 7،185؛ ابن سباط، **صدق الأخبار**،ج1، 472 ؛ عاشور، فايد، **العلاقات السياسية بين المماليك والمغول**،114.

[4] – ابن عبد الظاهر، **الألطاف الخفية**، ج3، 47.

[5] – سرور، محمد جمال، **دولة بني قلاوون في مصر**، 105 – 106.

بعدم استخدام أيٍّ من النصارى واليهود في الدواوين زمن السلطان المنصور قلاوون[1]. وفي عهد السلطان الأشرف خليل طلب من الأمراء أن يعرضوا الإسلام على كتبة الدواوين من النصارى واليهود للحفاظ على وظائفهم [2]، ويقول الذهبي (ت 748هـ/ 1347م) في ذلك: "**أنه في رمضان جاء إلى دمشق مرسوم بإلزام الدواوين بالإسلام، وممن امتنع يؤخذ منه ألف دينار، فأسلم أربعة في ثامن رمضان**"[3].

وقد تعرض المقريزي (ت845 هـ/ 1441م) في كتابه الخطط إلى أنَّ الأشرف خليل توعد مَنْ لم يسلم من أهل الذمة بالقتل، ويعود السبب إلى أنَّ كاتباً نصرانياً، يعرف بإسماعيل الغزال أذل سمساراً مسلماً وقام باعتقاله، فثارت ثائرة المسلمين، واستنجدوا بالسلطان الأشرف خليل الذي بدوره بعث من يكشف له الخبر، ثم طلب إحضار جميع الكتبة من النصارى ؛ ليقتلهم على حد تعبير المقريزي، ونودي: ألا يخدم أحداً من النصارى واليهود عند أمير، وأمر الأمراء أجمع أن يعرضوا على من عندهم من أهل الكتاب الإسلام، فمَنْ امتنع منهم ضُرب عنقه ومن أسلم استخدموه. وبذلك تسابق العامة في نهب بيوت أهل الذّمة، وقاموا بسبي نسائهم، وقتل رجالهم حتى قيل إنّه حفر حفرة كبيرة ؛ لإلقاء الكتبة منهم فيها، ونتيجة لذلك دخل كثير منهم في الإسلام خوفاً على أنفسهم وأموالهم [4].

وبصدد البحث عن حقيقة هذه الرواية، يتبادر بالذهن سؤال هو: هل حدثت أعمال القتل التي تحدث عنها المقريزي في روايته؟ وكيف تحدث ولم يسجل أحد من المؤرخين المعاصرين أمراً على قدر

---

[1] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 171؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 216.

[2] – البرزالي، **المقتفي**، ج1، 336.

[3] – البرزالي، **المقتفي**، ج1، 336؛ الذهبي، **تاريخ الاسلام**، حوادث 691 – 700، 26.

[4] – ينظر وبشكل تفصيلي للرواية. المقريزي، **الخطط**، ج3، 545 – 546؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 182 – 184.

هذه الأهمية؟ اننا نجد أن هذه الرواية ملفقة وغير صحيحة ذلك أن المؤرخين المعاصرين في تلك الفترة لم يسجلوا أي من هذه الأحداث.

ج- تمرد الكسروانيين:-

ظهرت عصبيات مذهبية ودينية، كان لها دورٌ كبيرٌ في الأحداث التي شهدتها السلطنة المملوكية في تلك الفترة. وكان الكسراونيون من أهل جبل كسروان، قد وقفوا موقفاً عدوانياً من المماليك[1]، خاصة أثناء الصراع بين السلطنة المملوكية وفرنجة الساحل الشامي، كما حدث أثناء حصار السلطان المنصور قلاوون لمدينة طرابلس عام (688هـ/ 1289م)، حيث قام الكسراونيون بمساعدة الفرنجة فيها [2].

وفي عهد الأشرف خليل أغار أهل كسروان على المسلمين الساكنين في نواحيهم[3]، وقد جاء ذلك بعد دخول السلطان دمشق عائداً من فتح قلعة الروم، وبذلك أراد الأشرف أن يقتلع شوكتهم من حلق الأمة الإسلامية، نكايةً بهم لما فعلوه بالمسلمين أثناء صراعهم مع الفرنجة، فوجه في شعبان/ آب عام (691هـ/1292م) الأمير بدر الدين بيدرا نائب السلطنة وبصحبته العديد من الأمراء، خرجوا من دمشق والحصون المجاورة لكسروان، ومنهم الأمير ركن الدين بيبرس والأمير طقصوا والأمير وعز الدين أيبك الحموي، والتقوا عند جبال كسروان[4]، وقام بيدرا بإرسال بعض العساكر إلى الجبال للاستكشاف، وكانت

---

[1] – الزيدي، مفيد، **موسوعة التاريخ الاسلامي**، 198.

[2] – الدويهي، **تاريخ الأزمنة**، 265 ؛ الدبس، **تاريخ سوريا الدنيوي والديني**، مج6، 367 ؛ الزيدي، مفيد، **موسوعة التاريخ الإسلامي (العصر المملوكي)**، 199.

[3] – مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 20.

[4] – ابن أيبك الدواداري، **درر التيجان**، ورقة 592؛ ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 111؛ الدبس، يوسف الياس، **تاريخ سوريا الدنيوي والديني**، مج6، 366.

الجبال منيعة، وتطلبت أعداداً أخرى من العساكر، الأمر الذي أدى إلى الفتور والتباطئ في المعركة وهُزمت العساكر المملوكية [1]، وقيل إن الأمير بدر الدين بيدرا ارتشى من أهل جبال الكسروان [2]، وأخرج مساجينهم وخلع على جماعة من أكابرهم، فاستشاط الأمراء غضباً، لما حصل من جهة بيدرا، فوشوه للسلطان الأشرف عند وصول العساكر إلى مدينة دمشق، وأبدى السلطان غضباً شديداً وقام بتأنيبه أمام الأمراء والعساكر [3].

د- الأعياد والمناسبات:-

إن خروج الفرنجة من الساحل الشامي نهائياً بعد احتلال طويل، قد أدخل السرور إلى قلوب أفراد المجتمع الإسلامي بكافة فئاته وطبقاته مما جعل بهجة الأعياد المختلفة تزيد عن كل الأوقات السابقة التي عاشها المجتمع الإسلامي في فترة الاحتلال.

كانت عودة السلطان الأشرف من أرض المعركة مظفراً بالنصر تعتبر عيداً بذاتها، وكان يشارك المجتمع الإسلامي أعياده ومناسباته ككل السلاطين، التي تعددت، كعيدي: الفطر والأضحى وعودة الحجيج[4]، فيخرج للميدان بعد الصلاة مع مماليكه، لابساً ملابس عسكرية[5]، ويستعرض جيشه ونوابه

---

[1] – البرزالي، **المقتفي**، ج1، 288؛ مجهول، تاريخ، **تاريخ سلاطين المماليك**، 20.

[2] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 241، المقريزي، **السلوك**، ج2، 234.

[3] – ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 111؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1، 288؛ ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر**، ج8، 338 – 339.

[4] – الحجي، حياة، **أحوال العامة في حكم المماليك**، 223–224.

[5] – ابن أيبك الداوادار، **كنز الدرر**، ج8، 134؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 253؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 243؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 16.

وأمراءه، ويشاركهم لعبة الأكره، أو يتسابق معهم في لعبة القبق أو النشاب [1]، ثم يترك المجال لأمرائه ومواليكه للمنافسة فيما بينهم، ويكافئ من يفوز، ويفرط في العطايا[2]. وتستخدم العساكر المملوكية الشواني في الاستعراضات العسكرية[3]، والطرقات تزدحم بالناس والعساكر حسب رتبهم، وتقدم تقدميات الحلوى والمأكولات، وكان التجار ينتهزون هذه الفرصة لرفع أسعار هذه المنتجات [4].

ولا تقل احتفالات المولد النبوي الشريف أهمية عن الاحتفالات السابقة، وكان يجهز لها في التربة المنصورية، ثم يَحْضُر السلطان الأشرف خليل معهم حتى الصباح، ويتم فيها قراءة القرآن الكريم والصحيحين، عن طريق القضاة الأربعة والفقهاء والمقرئين، وزاد السلطان الأشرف خليل في النفقات من الأصناف جميعها، سواء: الأموال أو الكساوي أو المأكولات أو المشروبات أو البخور والشموع لأهل الدين، وطلبة العلم في المدارس والفقراء[5].

ومن المناسبات التي احتفل بها في تلك الفترة ختان أخ السلطان الأصغر الناصر محمد، وابن أخيه المظفر موسى بن الصالح علي؛ وقد جاء ذلك بموافقة افتتاح قصر الأشرفية في قلعة الجبل[6]،

---

[1] – بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**، 283؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1، 276، 295.

[2] – ابن أيبك الداوادار، **كنز الدرر**، ج8، 134؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 253؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 243؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 16.

[3] – ابن عبد الظاهر، **الألطاف الخفية**، ج3، 56 – 57؛ المقريزي، **الخطط**، ج3، 13؛ العيني، **عقد الجمان** ج3، 186؛ سليم محمد رزق، **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي**، مج8، 47.

[4] – ماهر، سعاد، **البحرية في مصر الإسلامية**، 118.

[5] – ابن عبد الظاهر، **الألطاف الخفية**، ج3، 62.

[6] – المقريزي، **الخطط**، ج3، 45؛ كازانوفا، بول، **تاريخ ووصف قلعة القاهرة**، 109.

فأخذ التحضير للاحتفالات عدة أيام، وصنعت الحلوى والتقدميات[1]، ذلك أن الأشرف خليل عرف عنه اختيار أجود أنواع الأطعمة والألبسة [2]، وتم نصب القبق واشتدت المنافسات بين المماليك. وقد احتفل في عهد الأشرف بعيد النيروز[3]، إذ بقي أهل مصر يحتفلون بهذا العيد على عادتهم القديمة، وقد احتفل الأشرف مع عساكره المصرية عندما صادف وقوعه وهم في دمشق، ومن الجدير ذكره أن أهل الشام لم يحتفلوا بهذا العيد [4].

---

[1] – الصفدي، **نزهة الممالك والمملوك**، 168 – 169؛ بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 134؛ مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 23؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 16؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 243.

[2] – ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج2، 154؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1، 318؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 150، 213.

[3] – عيد النيروز وفي بعض المصادر نوروز والنوروز هو أول السنة القبطية وهو أول يوم من توت ويحتفل فيه بإشعال النار والرش بالماء وكان من مواسم المصريين قديماً، ويعتبر أيضا أحد أعياد الفرس، وقيل أول من استحدثه حجرشيد أحد ملوك الفرس وسماه نوروزاً أي اليوم الجديد، وهو أول يوم من أيام السنة الشمسية عند الفرس ويصادف أول يوم من شهر فروردیت الموافق ليوم 21 آذار/مارس من كل سنة. للمزيد ينظر: ابن إياس، **نزهة الأمم في العجائب والحكم**، 241؛ الخطيب، مصطفى، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، 428؛ التونجي، محمد، **المعجم الذهبي**، 576.

[4] – ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 115؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1، 318، ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، ج8، 12.

المعالم العمرانية للسلطان الأشرف خليل:-

ارتبط اسم السلطان الأشرف خليل ؛ بكثير من المعالم العمرانية البارزة في الديار المصرية والبلاد الشامية، ومن ذلك الرفرف[1]، وقصر الأشرفية في قلعة الجبل والمدرسة الأشرفية في مصر، أما في الشام فارتبط اسمه بآدر سلطاني[2]، والقبة الزرقاء، وقام بتوسيع الميدان في دمشق بالإضافة إلى أمور أخرى.

أ- الديار المصرية:-

ارتبط اسم الأشرف خليل بالرفرف[3]، الذي أمر ببنائه في قلعة الجبل، وهو ساحة كبيرة في وسطها قبة، وتحتها يكون مجلسه ومتكأه، وفي ساحته ينتشر مماليكه من حوله[4]، في إشارة تدل على الترابط الكبير بين السلطان الأشرف خليل ومماليكه، ثم إن الناصر محمد قد قام بهدمه في عهده[5]. وقام

---

[1] – العيني، **عقد الجمان**، ج3، 79 ؛ ابن خلدون، **تاريخ العبر**، مج10، 871، ويظهر في بدائع الزهور باسم الإيوان الأشرفي. للمزيد انظر: **بدائع الزهور**، ج1، 378.

[2] – الآدر السلطاني: جمع دار ويقصد به مقر السلطان ومجالسه. للمزيد ينظر: دهمان،أحمد، **معجم الألفاظ التاريخية**، 13.

[3] – العيني، **عقد الجمان**، ج3، 79؛ ابن خلدون، **العبر**، مج10، 871، ويظهر في بدائع الزهور باسم الإيوان الأشرفي. للمزيد انظر: **بدائع الزهور**، ج1، 378.

[4] – بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**، 384؛ ابن خلدون، **العبر**، مج10، 871؛ كازانوفا، بول، **تاريخ ووصف قلعة القاهرة**، 109.

[5] – المقريزي، **الخطط**، ج3، 36 أو 136.

ببناء قصر الأشرفية، وقيل بناه ليسكن مع حاشيته وعائلته وافتتحه بحفل كبير بمناسبة ختان أخيه الناصر وابن أخيه المظفر موسى بن الصالح علي[1].

ومما يجدر ذكره أنه في عهد السلطان الأشرف خليل، شب حريق داخل قلعة الجبل بالقرب من الآدر السلطاني، وخزانة الكتب، وأتلف الكثير من الذخائر قبل أن يُطْفَأ الحريق، وبعد ذلك أمر الأشرف بإصلاح ما تلف وإعادة الأمور كما كانت، وكان ذلك سنة (691هـ / 1291م)[2].

وبنى السلطان الأشرف خليل لنفسه بناء يضم تربة ومدرسة، وقد بناها وهو أمير بين عامي (687هـ – 688هـ/1288م–1289م)[3]، والدليل على ذلك شريط الكتابة التي تحيط بأعلى جدران الضريح من الخارج؛ فقد جاء فيها أن القبة بنيت في شهور عام (687هـ/1288م))[4]، وقريباً من تربة والدته أم الصالح (فاطمة خاتون) [5]، الذي يتشابه إلى حدٍ كبير مع ضريح السلطان الأشرف خليل المجاور له، من حيث المساحة والأسلوب المعماري أو حتى الزخارف الخطية[6] أو الجصية[7]، ويعتقد المستشرق

---

[1] – المقريزي، **الخطط**، ج3، 44 – 45، ج2، 211 ؛ كازانوفا، بول، **تاريخ ووصف قلعة القاهرة**، 109.

[2] – ابن عبد الظاهر، **الالطاف الخفية**، ج3، 42 – 43؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 225 ؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، 44 ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 32 ؛ كازانوفا، **تاريخ ووصف قلعة القاهرة**، 93.

[3] – القلقشندي، **مآثر الإنافة**، ج2، 124 ؛ ابن شاهين الظاهري، **زبدة كشف الممالك**، 31 ؛ الكرمي، **نزهة الناظرين**، 182 ؛ الشهابي، **الغرر الحسان في تواريخ حوادث الزمان**، ج1، 470 ؛ مبارك، علي، **الخطط الجديدة لمصر والقاهرة**، ج6، 3.

[4] – ماهر، سعاد، **مساجد مصر واولياؤها الصالحون**، ج88،3

[5] – مبارك، علي، **الخطط الجديدة لمصر والقاهرة**، ج6، 3.

[6] – ينظر: ملحق رقم (4).

[7] – الجص: هو الجبص وهو خام من كبريتات الكالسيوم المهدرنة، وضرب من الحجارة كانت تطحن وتحرق، وتستخدم في البناء. رزق، عاصم، **معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية**، 63.

كرزويل (Creswelle) أن المعماري الذي قام بالتنفيذ لكلا الضريحين كان واحد؛ بسبب هذا التشابه[1]، ولأننا نعلم أن الأمير علم الدين الشجاعي، هو من أشرف على بناء ضريح فاطمة خاتون[2]، فمن الممكن أن يكون قد أشرف على بناء ضريح السلطان الأشرف خليل.

أما الوصف المعماري للضريح ؛ فمن الخارج يتكون من مكعب طول ضلعه 14 م وتعلو الجدران على ارتفاع 11.23م، وفي وسط كل ضلع يوجد باب، عدا جدارالقبلة، الذي يبرز فيها المحراب وأبوابه مستطيلة، اذ يبلغ وسعها 1.80م وارتفاعها 2.90 م، ويعلو كل باب قاعدة خشبية وفوق القاعدة نافذة طويلة[3]، بعقد مدبب[4]، ويحيط بها زخارف، و تعلو هذه الزخارف في النافذتين الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية بقايا كتابات كوفية جصية [5]. ويعلو المكعب رقبة[6] مثمنة من الآجر، يبلغ إرتفاعها حوالي 6م، وفي كل ضلع من أضلاع المثمن يوجد نافذة [7].

---

[1] – Creswell, K, Muslim Architecture of Eygpt, Vols II, 250

ماهر، سعاد، **مساجد مصر وأولياؤها الصالحون**، ج3، 36.

[2] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور**، 55. المقريزي، **الخطط**، ج3، 367.

[3] – ينظر: ملحق رقم (5).

[4] – عقد مدبب: وهو العقد الذي يتكون من مستقيمين مائلين بزاوية معينة، يتقابلان في الاعلى على شكل قوس. رزق، عاصم، **معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية**، 197.

[5] – ماهر، سعاد، **مساجد مصر واولياؤها الصالحون**، ج3، 86

[6] – ينظر: ملحق رقم (6)

[7] – ماهر، سعاد، **مساجد مصر وأولياؤها الصالحون**، ج3، 86.

ومن الداخل كانت هناك الواح رخامية تكسي الجدران إلى ارتفاع تاج الاعمدة المندمجة في الحنايا إلى ارتفاع 3.10م، وقد زالت معظمها، ثم تعلوها أشرطة من الزخارف[1]. جزؤها السفلي يحتوي على كتابات قرآنية بالخط النسخي، والجزء العلوي يحتوي على زخارف نباتية، ويتخلل الزخارف النباتية 24 نافذة مستديرة مُلئت كلها بزخارف هندسية من الجص، وان كان ثمان منها فقط هي المفتوحة وهي التي تتوسط أضلاع، مثمن الرقبة ويعلو شريط الزخرفة الذي يحتوي على النوافذ المستديرة افريز[2] من الخشب زالت زخارفه تماماً، ويعلو ذلك مباشرة كوابيل خشبية، لعلها كانت حوامل لسلاسل القناديل او المشكاوات. أما القبة فقد قويت بثماني دعامات نصف دائرية، وكانت قبل الترميمات قد بنيت من صفين من الآجر[3].

وفي سياق الحديث عن المدرسة الأشرفية ووجودها، ذكر بعض المؤرخين أنه دفن في تربته، ولم يذكروا المدرسة، ولم تذكر هذه المدرسة في كتاب الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي، بينما ذكرت في كثير من المصادر التاريخية المعاصرة والقريبة من الحدث [4]، فقد ذكر ابن عبد الظاهر (ت 692هـ/1293م) وقال في ذلك: "... **فأرصد من خيار ضياع الفرنج التي كانت.... في عكا وصور وغيرها، وأشهد على نفسه الشريفة بأنها لتربة والده الشهيد، مما أفاءه الله عليه... إلى غير ذلك من**

---

[1] – الحداد، محمد حمزة، **القباب في العمارة المصرية الاسلامية**، 151.

[2] – افريز: في المصطلح الاثري المعماري يأتي هذا المصطلح للدلالة على ما برز من جدران العمائر والابنية في هيئة حافة افقية، رزق، عاصم، **معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية**، 19.

[3] – ماهر، سعاد، **مساجد مصر وأولياؤها الصالحون**، ج3، 87.

[4] – المقريزي، **السلوك**، ج2، 277 ؛ **المقفى الكبير**، ج3، 801 ؛ **الخطط**، ج3، 95.

أوقاف وأحباس على تربة الجهة الشريفة الأشرفية"[1]، ويشترك كثير من المؤرخين [2]، في الحديث عن هذا الأمر حين تحدثوا عن وقف الأشرف خليل لبعض القرى من الساحل الشامي لتربته وتربة والده السلطان المنصور قلاوون، وهذه القرى هي الكابرة [3] من عكا، وتل المفشوخ [4]، وكردانة [5] و معركة [6]، وصيريفين [7] من قرى ساحل صور، وأوقفت هذه القرى على تربة والده. أما تربته فأوقف عليها قرى

---

[1] – ابن عبد الظاهر، **الألطاف الخفية**، ج3، 68 – 69؛ وينظر أيضاً النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 213؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 81، غير أن العيني لم يذكر أسماء القرى.

[2] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 213 ؛ القلقشندي، **مآثر الإنافة**، ج2، 124؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 227 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 81 .

[3] – الكابرة: وقيل الكابري، وتقع إلى الشمال من مدينة عكا بنحو 13 كم، وعرفها الفرنج باسم Cabra. الدباغ، مراد، **بلادنا فلسطين**، ج1، ق1، 151 ؛ أبو حجر، آمنة، **موسوعة المدن والقرى الفلسطينية**، ج2، 644.

[4] – تل المفشوخ: أو وادي المفشوخ ويقع جنوب الكابري، وأقامت السلطات الإسرائيلية مستعمرة مكانها عام 1948، يقال لها مستعمرة الجعتون بالقرب من مستعمرة نهاريا. للمزيد ينظر: الدباغ، مراد، **بلادنا فلسطين**، ج1، ق1، 32.

[5] – كردانة: ويقال لها تل الكردانة وينبع منها نهر النعامين أو نهر عكا، ويصب في البحر المتوسط، على بعد حوالي 8 كم وتقع في الجنوب الشرقي لمدينة عكا. للمزيد ينظر، الدباغ، مراد، **بلادنا فلسطين**، ج1، ق1، 32.

[6] – معركة: لم اعثر على تعريف لها في المصادر والمراجع المعروفة.

[7] – صيرفين: قرية تقع إلى الجنوب الشرقي من صور. ينظر الطراونة، طه ثلجي، **مملكة صفد في عهد المماليك**، 103. 103.

قرى الفرج [1]، وشفا عمرو [2]، والحمراء من عكا [3]، و طبرنية*[4]. أما الهدف من وقف هذه القرى، على على تربته وتربة أبيه هو تأمين مصدر دخل ثابت لخدمة الأوقاف[5].

ومن الوارد أن تكون مدرسة الأشرف خليل وتربته مكاناً واحداً ؛ ففي العهد المملوكي كان واقف المدرسة في غالب الأحيان يدفن فيها، أو يقوم بإنشاء تربة له بجوار هذه المدرسة[6]، كما فعل السلطان منصور قلاوون حيث دفن في مدرسته، وعدم ذكر المدرسة الأشرفية في بعض المصادر، لا يمنع وجودها، لكن من الوارد أنها أصبحت مدرسة بعد وفاة السلطان الأشرف خليل، ذلك أن كثيراً من المؤرخين في مرحلة لاحقة لعهد الأشرف خليل كانوا يطلقون عليها اسم مدرسة. ومن الثابت في أيامنا

---

[1] – الفرج: أو أم الفرج من قرى عكا ومساحتها 15 دونم وتبعد حوالي 3 كم عن عكا وذكرها الفرنجة باسم lefierge وتم نسف القرية في أيلول عام 1953، وأقاموا على أنقاضها مستعمرة بنعامي، وتقع بالقرب من مستعمرة نهاريا. للمزيد ينظر، الدباغ، مراد، **بلادنا فلسطين**، ج1، ق1، 146 ؛ أبو حجر، آمنة، **موسوعة المدن والقرى الفلسطينية**، ج2، 643.

[2] – شفر عمرو: (شفا عمرو) وهي الآن من قضاء حيفا تبعد عن المدينة حوالي 20 كم. للمزيد ينظر: الدباغ، مراد، **بلادنا فلسطين**، ج1، ق1، 199.

[3] – الحمراء: قرية تقع في قضاء بيسان للمزيد ينظر: الدباغ، مراد، **بلادنا فلسطين**، ج2،6، 446، 500–501.

* طبرنية: قرية تقع في ساحل صور الجنوبي بالقرب من الناقورة. للمزيد ينظر: الطراونة، طه ثلجي، **مملكة صفد في عهد المماليك**، 163.

[4] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 213 ؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 121 – 122 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 81 – 82.

[5] – الطراونة، طه ثلجي، **مملكة صفد في عهد المماليك**، 163.

[6] – الحروب، محمد، **المماليك الاتراك في الدولة الايوبية**(567– 648هـ/ 1171_1250)،رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، 1995، 219.

الحاضرة وجود ضريح الأشرف كمعلم من جملة معالم الآثار المصرية، والتي تشرف عليها وزارة الآثار المصرية[1].

ب- البلاد الشامية:-

أما البلاد الشامية فلم يكن نصيبها أقل حظاً من المعالم العمرانية زمن السلطان الأشرف خليل، وبشكل خاص قلعة دمشق، فارتبط اسم الأشرف بكثير من المعالم فيها، ومن المعروف أن أتسز بن أوق الخوارزمي (ت471هـ/1087م) [2] بنى قلعة دمشق في عام (463هـ/1071م) [3].

أدخل نائب دمشق الأمير علم الدين سنجر الشجاعي كثيراً من التغييرات على القلعة بأمر من السلطان الأشرف خليل، فقد قام بتخريب ما كان بها من دور الملوك وخرب الطارمة [4]، وأعاد بناءها وزاد في ارتفاعها، وبنى عليها قبة زرقاء[5]، كانت في غاية من الحسن والجمال[6]، وأعاد تجديد الرواق

---

[1] – ماهر، سعاد، **مساجد مصر وأولياؤها الصالحين**، ج3، ص87-88.

[2] – ملك دمشق السلجوقي وقام بدر الجمالي بقتله عام (472هـ/1079م) بعد أن سيطر عليها. للمزيد انظر: ابن الوردي، **تتمة المختصر في اخبار البشر**، ج1، 571؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام حوادث 471-480**، 6.

[3] – ابن كنان، **المواكب الإسلامية**، ق2، 212.

[4] – الطارمة: لفظ فارسي الأصل، ويقصد بها بيت من خشب، يبنى سقفه على هيئة قبعة لجلوس السلطان. للمزيد ينظر: ينظر: المقريزي، **الخطط**، ج1، 35 ؛ ج2، 444.

[5] – ابن أيبك الصفدي، **تحفة ذوي الألباب**، ق2، 189 ؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، 41 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 231 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 8.

[6] – ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، 44.

والقاعة داخل قلعة دمشق [1]، ثم رسم بإعادة زخرفة سقف القلعة[2]، وشرع ببناء دارٍ عالية عظيمة للسلطان، وطلب الرخام[3]، ويبدو أن بناء الدار لم يكتمل بسبب عزل السلطان الأشرف للأمير علم الدين سنجر الشجاعي عن نيابة دمشق[4].

أما خارج القلعة فقام بتوسيع الميدان من ناحية الشمال، حتى وصل إلى نهر بردى*[5]، وعلى إثر ذلك قام بتخريب الحوانيت، وجسر الزلابية وما على نهر بانياس[6] من بنايات، كانت مقامة هناك، كما وقام بتخريب دار الصناعة[7]، وحمام الملك السعيد[8] ودور الضيافة، وقيل: إنَّ قيمة ما صرفوه على

---

[1] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 222 ؛ ابن أيبك الصفدي، **تحفة ذوي الألباب**، ق2، 189 ؛ ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج1، 140.

[2] – ابن أيبك الصفدي، **تحفة ذوي الألباب**، ق2، 189 ؛ ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج1، 140 ؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 128 ؛ **درة الأسلاك**، ج1، ورقة 159.

* نهر بردى: نهر في دمشق ينبع من قرية الزبداني، وعين أخرى بقرية تسمى الفيحاء. للمزيد ينظر: القلقشندي، **صبح الاعشى**، ج4، 95.

[3] – ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، 44 ؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 129 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 80 ؛ الدويهي، **تاريخ الأزمنة**، 272.

[4] – ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 117–118 ؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام حوادث** 691 – 700، 66 ؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج15، 471.

[5] – ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج1، 60.

[6] – نهر بانياس: أحد فروع نهر بردى، وينقسم إلى قسمين: قسم يدخل إلى قلعة دمشق، وقسم اخر يمر للجامع. للمزيد ينظر: القلقشندي، **صبح الاعشى**، ج4، 95.

[7] – ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، 40.

[8] – حمام الملك السعيد: هو حمام بناه الملك السعيد بركة خان بن الظاهر بيبرس في دمشق. للمزيد ينظر: الذهبي، **تاريخ تاريخ الإسلام، حوادث** 690هـ – 700، 9؛ ابن كثير، **البداية والنهاية** ج14، 40.

على هذا البناء في قلعة دمشق وخارجها بلغ أربعة، آلاف مثقال[1] من الذهب[2]، ويعلق الذهبي (ت 748هـ / 1347م) في كتابه المختار من تاريخ ابن الجزري: "**.... ولم يحصل لهم بعد ذلك نفع كبير إلا ليتسع عليهم الموكب**"[3]، إلا أن بعض المؤرخين أشادوا بهذا التغيير، ووجدوا أن أوضاع المدينة أصبحت أفضل حالاً، ومُدح النائب الشجاعي ومَّنْ قام بعملية البناء من المماليك وغيرهم؛ لجهودهم في سرعة الهدم والبناء، إذ لم تتجاوز المدة بضعة شهور [4].

قلعة حلب:-

قام هولاكو بتخريب قلعة حلب عند احتلاله لها عام (658هـ/1259م)[5] وبقيت على حالها من الخراب ، حتى أمر السلطان المنصور قلاوون الأمير قرا سنقر بعمارتها[6]، إلا أن عمارتها لم تكتمل إلا

---

[1] – المثقال:وحدة قياس النقود، وفي سوريا كان المثقال يساوي 4.46غم – 4.62غم. للمزيد ينظر: هنتس، فالتر، **المكاييل والأوزان**، 13

[2] – ابن حبيب، **تذره النبيه**، ج1، 140 ؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، 231.

[3] – الذهبي، **تاريخ الإسلام، حوادث** 681 – 690، 54.

[4] – ابن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان**، ج60،1 ؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، 140 ؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج8، 129 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 80.

[5] – الذهبي، **المختار في تاريخ ابن الجزري**، 348 ؛ ابن سباط، **صدق الأخبار**، ج1، 499 ؛ العجمي، **كنوز الذهب في تاريخ حلب**، 538.

[6] – ابن الوردي، **تتمة المختصر في أخبار البشر**، ج2، 338 ؛ ابن حبيب، **درة الأسلاك**، ج1، ورقة 159؛ الطباخ الحلبي، محمد، **إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**، ج2، 274 ؛ الغزي، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، 170.

في عهد السلطان الأشرف خليل، لذلك كُتب عليها اسم السلطان الأشرف خليل وألقابه بالذهب[1]، وذلك عام (691هـ/1292م) [2].

قلعة الروم:-

بعد تحرير قلعة الروم، رسم السلطان الأشرف خليل للأمير علم الدين الشجاعي نائب دمشق آنذاك، بالبقاء فيها وإصلاحها؛ بسبب ما تعرضت له من القصف والنقوب أثناء عملية الفتح[3]، أما توكيله للأمير علم الدين الشجاعي دون غيره من الأمراء، بسبب توفر الخبرة العمرانية لديه، فقد أشرف على بناء المدرسة المنصورية، والمارستان المنصوري والقبة المنصورية وغيرها أيام السلطان المنصور قلاوون[4]، واعتمد السلطان الأشرف خليل عليه في عمارة وترميم بعض الأبنية بدمشق كما ذكرنا سالفاً[5].

---

[1] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 223؛ الطباخ الحلبي، محمد، **إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**، ج2، 274 – 275.

[2] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 223 ؛ الطباخ الحلبي، محمد، **إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**، ج2، 274 – 275.

[3] – بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، 288 ؛ **مختار الأخبار**، 93 ؛ البرزالي، **المقتفي**، 282 ؛ العيني، **عقد الجمان**، ج3، 116؛ الغزي، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، 170.

[4] – ابن عبد الظاهر، **تشريف الايام والعصور**، 55 – 56.

[5] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 222 ؛ ابن أيبك الصفدي، **تحفة ذوي الألباب**، ق2، 189 ؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، 44؛ ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج1، 140.

قلعة الشوبك[1]:-

تذكر المصادر التاريخية أن الأشرف خليل أمر بهدم قلعة الشوبك، وتولى عملية الهدم الأمير عز الدين الأفرم، وقام بهدمها في شهر رجب عام (692هـ/1293م)[2]، حيث قام بإخراج ما فيها من كتب ونفائس كثيرة من أيام الأيوبيين[3]. وعلق بعض المؤرخين على هدم قلعة الشوبك على أنه سوء تدبير من السلطان الأشرف خليل [4].

إلا أنه من الثابت تاريخياً أنّه حصلت زلزلة في صفر (692هـ/ 1293م) تأثرت بها بلاد غزة والرملة والكرك، وأن معظم تأثيرها في الكرك، حيث تهدمت ثلاثة أبراج من قلعتها وبنيان من دورها [5]، وربما أن قلعة الشوبك قد تأثرت من هذه الزلزلة، لذلك قام السلطان الأشرف خليل بهدمها[6].

---

[1] – الشوبك: بلد صغير على طرف الشام من الحجاز، وقلعتها مبنية من الحجر الابيض، وهي على تل مرتفع مطل على الغور من الشرق، للمزيد ينظر: ابو الفداء، **تقويم البلدان**، 246–247.

[2] – ابن ايبك الدواداري، **كنز الدرر**، ج8، 342 ؛ مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 23 ؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 251 – 252 ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 15 ؛ الشهابي، **الغرر الحسان في تواريخ حوادث الزمان**، ج1، 461.

[3] – ابن أيبك الدواداري، **الدرر التيجان**، ورقة 593.

[4] – مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 23.

[5] – النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 247 ؛ البرزالي، **المقتفي**، ج1، 37 ؛ الذهبي، **دول الإسلام**، ج2، 218 ؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، 51 ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، 36.

[6] – ابن ايبك الدواداري، **كنز الدرر**، ج8، 342؛ **درر التيجان**، ورقة 395. النويري، **نهاية الأرب**، ج31، 251 – 252 ؛ مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 23 ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج8، 15 ؛ الشهابي، **الغرر الحسان في تواريخ حوادث الزمان**، ج1، 461.

الخاتمة

نخلص من هذه الدراسة بأهم النتائج:-

- يبدو أن ارتباط اسم الأشرف بخروج الفرنجة من بلاد الشام، قد دفع أصحاب الغيرة والحقد على نشر الإشاعات السيئة حوله، وبذلك انقسم المؤرخون بين مادحاً له أو عكس ذلك.
- كانت سياسة السلطان الأشرف خليل في مجملها حكيمة، رغم ما شابها من تناقضات طغت على السطح في بعض الأحيان، مما دفع بعض المؤرخين إلى مهاجمته، ووصفه بالإنحلال الأخلاقي والسكر. ولعل هذه الشبهات التي نسجت حول شخصيته، تعود إلى أن عملية قتله كانت على يد الأمراء، فجعلت سيرة حياته عرضةً للأقاويل والآراء المتضاربة التي تجافي الواقع، وبهذه الآراء البعيدة عن الصواب، بدا الأشرف خليل وكأنه مستحق لتلك النهاية التي أودت به، وأنه غير جدير بأن يرتبط إسمه بخروج آخر افرنجي من البلاد الشامية.
- من خلال البحث في تاريخ السلطان الأشرف خليل، وجدنا فيها همة عالية على المستويين الداخلي والخارجي، وكيف لشخص يستطيع الوقوف في وجه أعدائه ومعارضيه في الداخل والخارج، ويتمتع بهذه الصفات أن يكون منصرفاً للملذات والراح؟. أليست كل هذه الأمور تتطلب ذهناً نيراً ويقظاً؟.
- قد تكون السياسة التي اتخذها السلطان الأشرف خليل حيال أمراؤه ونوابه خاطئة، ومن المأخذ على هذه السياسة أنها كانت غير ثابتة، من حيث العزل، والتعيين، أو التأنيب، والعقاب، ومن ثم الصفح والعفو، ويمكن القول أن السلطان الأشرف خليل، جمع من هذا وذاك، مما زاد من الحاقدين الذين تظاهروا بولائهم له ؛ وابطنوا حقدهم عليه، الأمر الذي أدى في النهاية إلى الغدر به. ولعله –السلطان الأشرف خليل – لو اتخذ سياسة ثابتة تجاههم لإستطاع تلاشي جميع هذه الأمور. وبمقتل السلطان الأشرف خليل

لم يقض هؤلاء الأمراء على السلطان الأشرف خليل فقط، بل قضوا على مشروعاته التوسعية العسكرية نحو فارس.

- كان شخصاً قادراً على اتخاذ القرار الحاسم وعلى تحمل المسؤولية، هذه الصفات التي تنافي صفة الاستهتار والمجون، التي تحدث عنها بعض المؤرخين، وبذلك استطاع السلطان الأشرف خليل أن يواجه الأخطار الخارجية التي هددت المشرق الإسلامي في شجاعة وبأس فأخرج الفرنجة المحتلين، من الشام، وهزم المغول وحلفائهم وأخضع مملكة النوبة، وكان سياسياً محنكاً في تعامله مع ملوك أوروبا، من خلال عقد المعاهدات التجارية مع بعضهم، لإيجاد فجوة من الخلافات بينهم، ويشغلهم عن التفكير في قيام حملات صليبية جديدة، كان يفكر بها صاحب السلطة الدينية (البابا).

- إن ما قام به من تحرير وفتوح تدلل بشكل قاطع لا جدال فيه أن شخصيته، وما قام به من أعمال هي عن تخطيط وتفكير سليم تبعده عن كل الشبهات والاتهامات التي وصف بها من قبل البعض.

الملاحق :-

الملحق رقم1 [1]:- تحصينات مدينة عكا عام(690هـ/1291م)

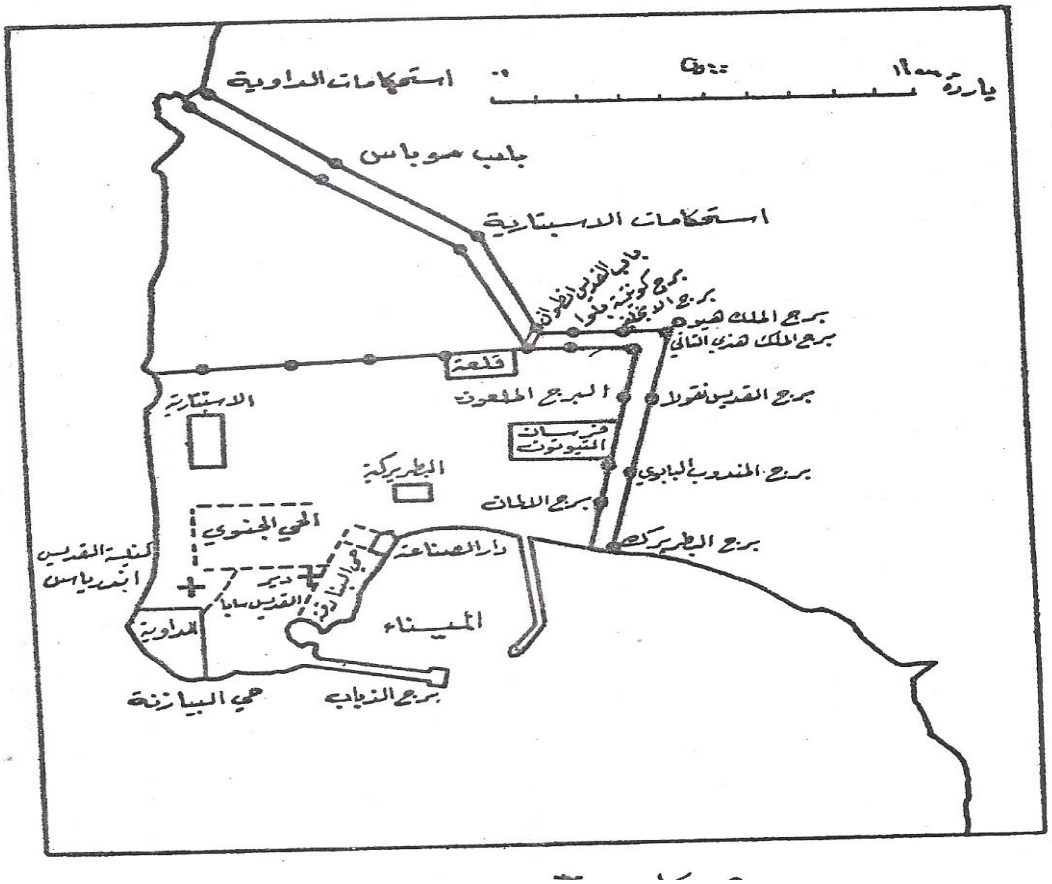

[1] . رنسيمان، ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج3، 699.

الملحق رقم 2:- المدن والقلاع التي حررها السلطان الأشرف خليل بن قلاوون[1].

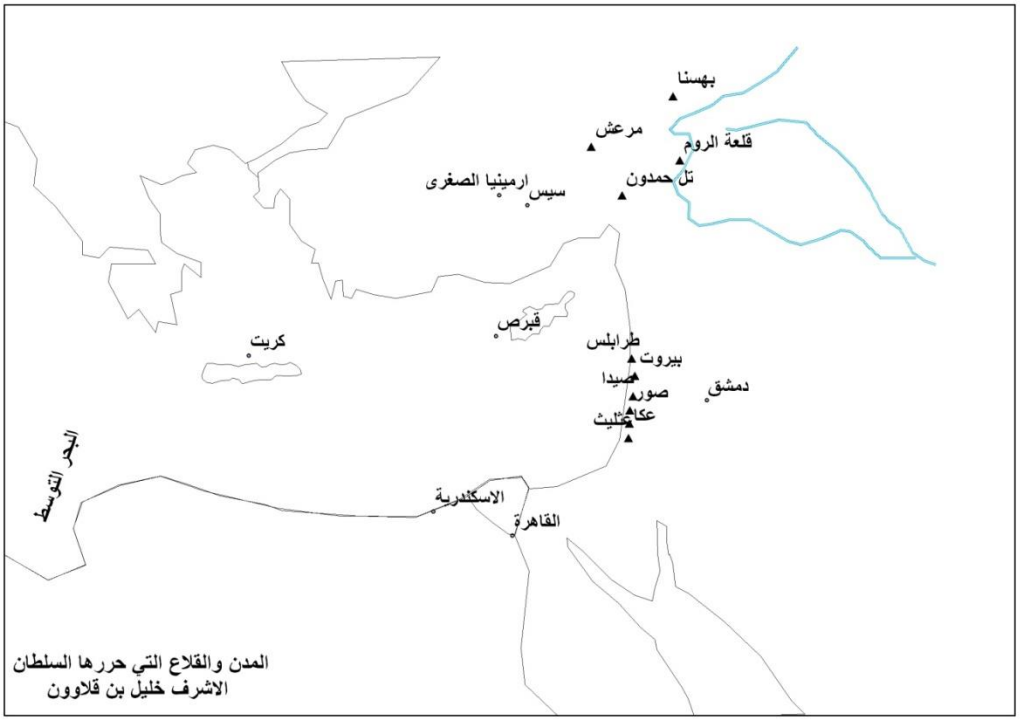

[1] . تم إعداد هذه الخارطة بمساعدة قسم الجغرافيا التطبيقية ـ جامعة الخليل.

ملحق رقم3[1]:– نقد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون.

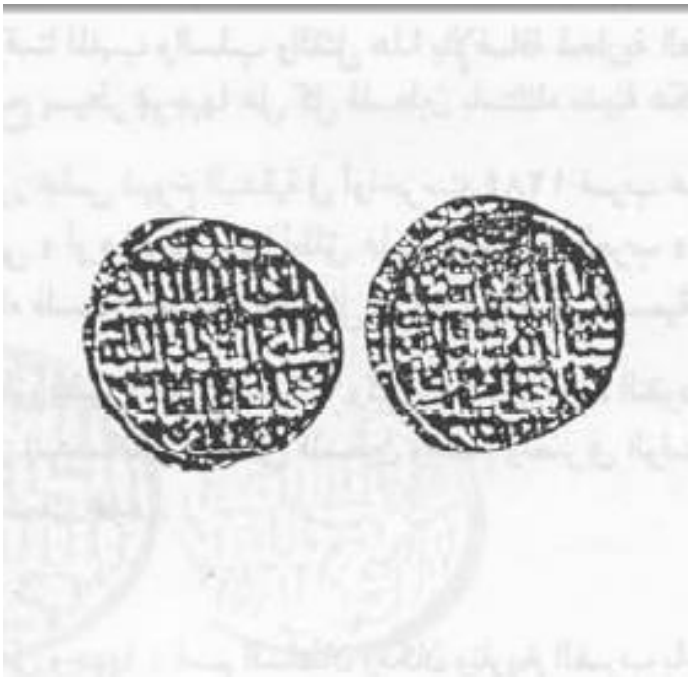

الوجه:	**الظهر:**
ضرب القاهرة	**السلطان الملك الأشرف**
لا إله إلا الله	**صلاح الدنيا والدين**
محمد رسول الله	**خليل قسيم أمير المؤمنين**
أرسله بالهدى	**بن الملك المنصور**
ودين الحق	

[1] – المبيض، سليم عرفات، النقود العربية الفلسطينية وسكتها المدنية الأجنبية، 182.

ملحق رقم 4[1]:- زخارف رقبة ضريح السلطان الأشرف خليل.

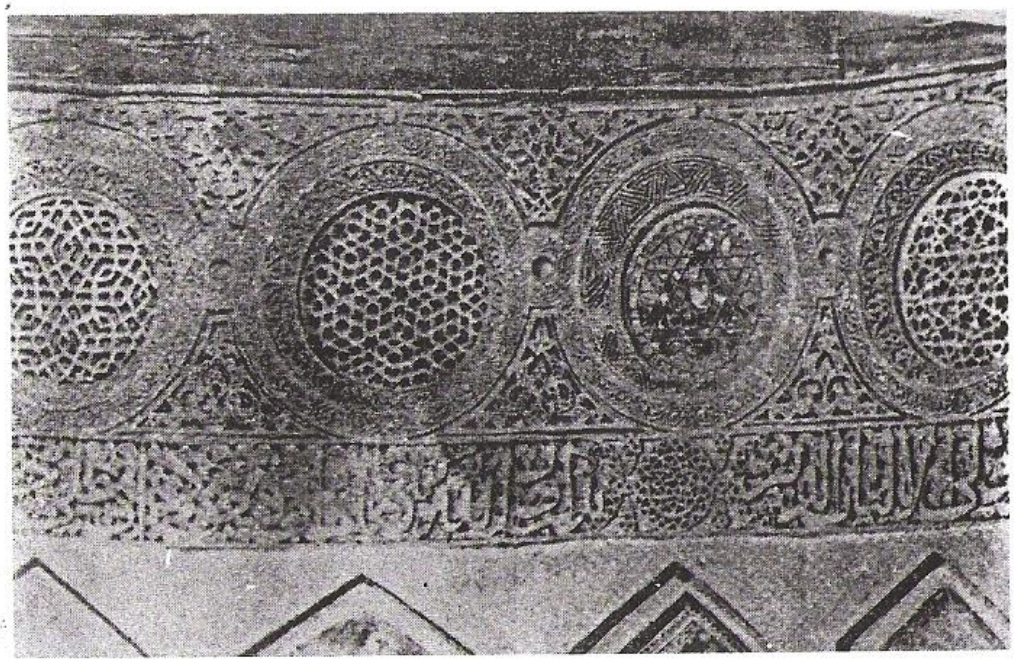

[1] – حداد، محمد حمزة، **القباب في العمارة المصرية الاسلامية**، لوحة رقم 66

ملحق رقم 5 [1]:- ضريح السلطان الأشرف خليل من الداخل.

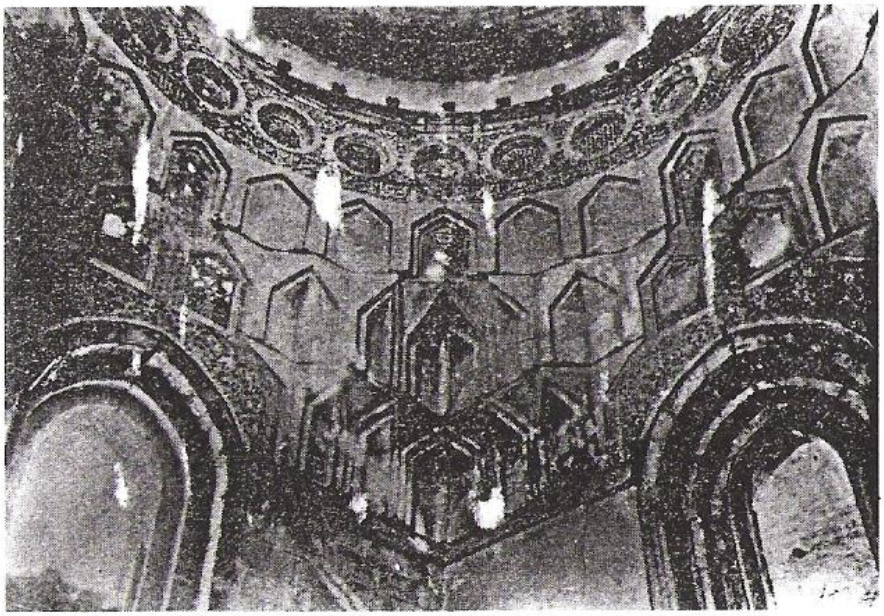

[1] – حداد، محمد حمزة، **القباب في العمارة المصرية الاسلامية**، لوحة رقم 31

ملحق رقم 6 [1]:- مخطط ضريح السلطان الأشرف خليل.

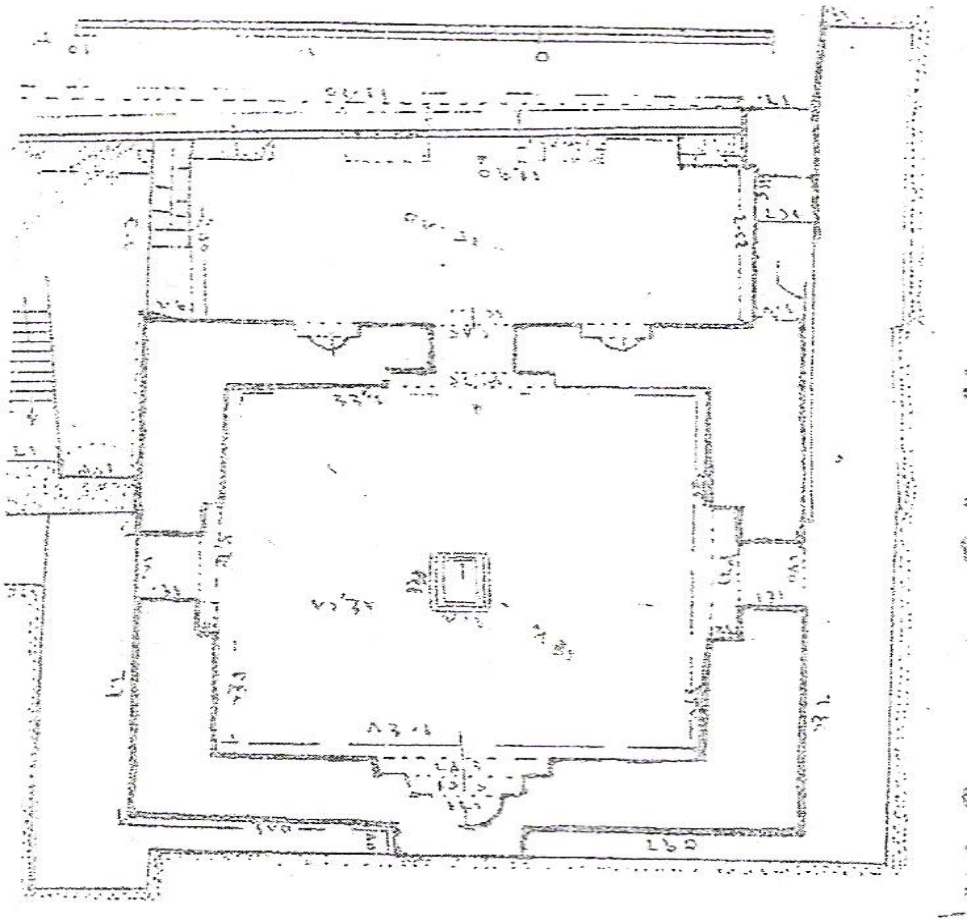

[1] – ماهر، سعاد، **مساجد مصر وأولياؤها الصالحين**، ج3، 88.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات:-

1- ابن أيبك الدواداري، أبو بكر بن عبد الله (ت بعد 736هـ/1335م)، **درر التيجان وتواريخ الأزمان، مخطوط بدار الكتب المصرية**، تحت رقم 4409.

2- الجعفري، محمد بن الحسن بن عبد الله (ت أواخر القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي)،**أنهج الطرايق والمناهج والسلوك إلى تواريخ الأنبياء والملوك**، مخطوط بالمكتبة الوطنية، باريس، رقم 1815، يوجد نسخة مصورة عنه بمركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية، تحت رقم 341.

3- ابن حبيب، بدر الدين حسن بن عمر (ت 779هـ / 1373م)، **درة الأسلاك في دولة الأتراك**، ج1، مخطوط ضمن مجموعة مارش، بودليان – أكسفورد، رقم 223، يوجد نسخة مصورة عنه في مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية، تحت رقم 539.

4- ابن طولون الصالحي، شمس الدين محمد بن علي (ت 953هـ / 1546م)، **النزهة السنية في ذكر خلفاء والملوك المصرية**، مخطوط يوجد في المكتبة الوطنية – باريس، يوجد نسخة مصورة عنه في مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية، تحت رقم 341.

5- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي (ت 770هـ/1366م)، **نثر الجمان في تاريخ الأعيان**، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم 1746.

6- النواجي، شمس الدين محمد بن حسن (ت 859هـ / 1406م)، **الطراز الموشى في صناعة الإنشا**، مكتبة بهسلار،رقم الفيلم 9، رقم المخطوط 2795/785.

ثانياً: المصادر:-

1- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت القرن السادس الهجري / القان الثاني عشر للميلادي)، **نزهة المشتاق في اختراق الافاق**، مجلدين، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 1994م.

2- الإصطخري، ابن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت340هـ / 951م)، **المسالك والممالك**، تحقيق: محمد جابرعبد العال الحسيني، ومحمد شفيق غربال، الإدارة العامة للثقافة، الجمهورية العربية المتحدة، 1961م.

3- الأنصاري، شرف الدين موسى (ت بعد 946هـ/1002م)، **نزهة الخاطر وبهجة الناظر**، تحقيق: عدنان محمد إبراهيم وآخرون، القسم الثاني، وزارة الثقافة، دمشق، 1991م.

4- ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي (ت 930هـ / 1523م)، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، 5 اجزاء، ج1، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دت.

5- ـــ، **نزهة الأمم في العجائب والحكم**، تقديم محمد زينهم وآخرون، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995م.

6- ابن أيبك الدواداري، أبو بكر بن عبد الله (ت بعد 736هـ/1335م)، **كنز الدرر وجامع الغرر**، 9 أجزاء، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة،ج8 (**الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية**)، تحقيق أولرخ هارمان، القاهرة، 1971م.

7- ابن أيبك الصفدي، أبو الصفاء خليل (ت 764هـ/1364م)، **أعيان العصر وأعوان النصر**، 4 أجزاء، ج2، تحقيق: فالح احمد البكور، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1998م.

8- ـــــ، **تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب**، قسمان، تحقيق سعيد خلوصي وزهير الصمصام، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1992م.

9- ـــــــــ، **الوافي بالوفيات**، 30 جزء، ط2، هلموت رتير، شنوتغارت، ج13، محمد الحجيري، 1991م، ج15، باعتناء بيرند راتكة، 1991، ج16 اعتناء وداد القاضي، ج21، 1992م، ج24 باعتناء محمد عدنان البخيت ومصطفى الحياري، 1993م.

10- البرزالي، علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد بن يوسف (ت 739هـ/1338م)، **المقتفي**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ج1، ق1، حوادث (681-698هـ)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، دت.

11- البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق (ت739هـ / 1838م)، **مراصد الإطلاع على أسماء الامكنة والبقاع**، 3 اجزاء، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، 1954م.

12- البغدادي، موفق الدين عبد اللطيف (ت 629هـ/ 1231م)، **رحلة عبد اللطيف البغدادي في مصر**، ط2، اعداد: عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.م، د.ت.

13- بيبرس المنصوري، الأمير ركن الدين الدوادار (ت 725هـ/1344م)، **التحفة الملوكية في الدولة التركية**، نشر وتقديم: عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1987م.

14- ـــــــــ، **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**، تحقيق: دونالد ريتشارد، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، 1998م.

15- ـــــــــ، **مختار الأخبار**، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، الدار اللبنانية، القاهرة، 1993م.

16- ابن البيطار، ضياء الدين ابو محمد عبد الله (ت 646 هـ/ 1248م)، **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، 4 أجزاء في مجلدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

17- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت874هـ/1361م)، **الدليل الشافي على المنهل الصافي**، جزءان، تحقيق: فهيم محمود شلتوت، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1998م.

18- ـــــــــــ، **المنهل الصافي والمسوفى بعد الوافي** 7 إجزاء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،ج2، تحقيق: محمد محمد أمين وعبد الفتاح عامر،1984، ج3، تحقيق:نبيل محمد عبد العزيز،1985، ج5، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز،1988،ج7، تحقيق: محمد محمد أمين،1993.

19- ـــــــــــ، **مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة**، جزءان، ج2، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1997م.

20- ـــــــــــ، **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**، 16 جزء، ج8، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، دت.

21- ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني (ت 614هـ/1217م)، **رحلة ابن جبير**، دار الكتاب اللبناني والمصري، بيروت، القاهرة، دت.

22- ابن الجزري، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم (ت 738هـ/1337م)، **تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه (المعروف بتاريخ ابن الجزري)**، 3 أجزاء، ج1، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، 1998م.

23- الجزيري، عبد القادر بن محمد (ت976هـ/1568م)، **الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة**، 3 أجزاء، ج1، إعداد محمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، 1983م.

24- الجواهري، اسماعيل (ت 393هـ / 1002م)، **الصحاح**، 6 اجزاء،ط2، تحقيق: احمد عطا، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م.

25- ابن حبيب، بدر الدين حسن بن عمر (ت 779هـ / 1373م)، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، تحقيق: محمد محمد أمين، جزءان، ج1،دار الكتب، دم،1976م.

26- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد (ت 852هـ/1448م)، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، 4 أجزاء، دار الكتب الحديثة، دم، دت.

27- الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت900هـ / 1494م)، **الروض المعطار في خبر الاقطار**، تحقيق: احسان عباس، ط2، مكتب بيروت، 1984م.

28- الحنبلي، أحمد بن ابراهيم (ت876هـ/1471م)، **شفاء القلوب في مناقب بني أيوب**، تحقيق: ناظم رشيد، وزارة الثقافة والفنون، العراق، 1978م.

29- ابن حوقل، ابو القاسم النصيبي (397هـ/977م)، **صورة الارض**، ط2، ابريل، ليدن، 1938م.

30- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبد الله (ت300هـ/812م)، **المسالك والممالك**، مكتبة المثنى، بغداد، دت.

31- الخزرجي، علي بن الحسن (ت 812هـ/1409م)، **العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية**، جزءان، ج1، عني بتحقيقه: محمد بسيوني، مطبعة الهلال، مصر، 1911م.

32- ابن خلدون ، عبد الرحمن (ت808هـ/1405م) **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، 14 مجلد، مج10، دار الكتاب اللبناني والمصري، القاهرة، بيروت، 1996م.

33- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين محمد (ت681هـ/1282م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، 8مجلدات، ط4، تحقيق: احسان عباس، دار صادر بيروت، 2005م.

34- الدبس، يوسف الياس (ت1325هـ/1907م)، **تاريخ سوريا الدنيوي والديني**، المجلد السادس، المطبعة العمومية، بيروت، 1902م.

35- ابن دريد، ابو بكر محمد بن الحسن اللأزدي (ت321هـ/ 932م)، **جمهرة اللغة**، 13 جزء، دائرة المعارف.

36- ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد أيدمر العسقلاني (ت809هـ/1407م)، **الانتصار لواسطة عقد الأمصار**، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الوفاق الجديدة، بيروت، دت.

37- ـــــــــــ، **الجوهر الثمين من سير الخلفاء والملوك والسلاطين**، جزءان، ج1، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب، 1985م.

38- ـــــــــــ، **النفحة المسكية في الدولة التركية من كتاب الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، 1999م.

39- الدويهي، اسطفانوس (ت 1116هـ/1704م)، **تاريخ الأزمنة**، نشره وعلق عليه: الاب بطرس فهد، منشور ضمن مجلة المشرق، السنة الرابعة والأربعون، 1920، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1951م.

40- الذهبي، الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/1347م)، **الإعلام بوفيات الأعلام**، مجلدان،مج1، تحقيق: مصطفى بن علي عوض ربيع أبو بكر عبد الباقي.

41- ـــــــــــ، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام وحوادث** 681-690، تحقيق: عمرعبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1998م.

42- ـــــــــ، **دول الإسلام**، جزءان، ج2، تحقيق: حسن إسماعيل مروان ومحمود الأرناؤوط دار صادر، بيروت، 1999م.

43- ـــــــــ، **المختار من تاريخ ابن الجزري**، تحقيق: خضر عباس محمد خليفة المنشداوي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1988م.

44- رشيد الدين فضل الله الهمذاني، فضل الله بن عماد الدولة أبو الخير (ت 718هـ/1318م)، **جامع التواريخ**، الإيلخانيون، تاريخ أبناء هولاكو من أباقاخان إلى كيخاتو خان، نقله إلى العربية: محمد صادق نشأت وفؤاد الصياد، راجعه، مج2، ج2، وزارة الثقافة، الإرشاد القومي، مصر، د.ت.

45- الزبيدي، محمد بن مرتضى الحسني الواصفي (ت 1213هـ / 1898م)، **تارج العروس من جواهر القاموس**، 10 مجلدات، مج6، مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

46- الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت في أواسط القرن السادس الهجري /الثاني عشر ميلادي)، **كتاب الجغرافيا**، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، دت.

47- ابن سباط، حمزة بن أحمد بن عمرو العربي (ت بعد 926هـ/1327م)، **صدق الأخبار**، الجزء الأول، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس 1993.

48- السبكي، تاج الدين، ابي نصر عبد الوهاب بن تقي الدين (771هـ / 1370م)، **طبقات الشافعية**، 6 اجزاء، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، دت.

49- ـــــــــ، **معيد النعم ومبيد النقم**، تحقيق: محمد علي النجار واخرون، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1948م.

50- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911هـ/1505م)، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، جزءان، ج2، المكتبة العصرية، بيروت، 2004.

51- ابن شاكر الكتبي، محمد (ت 764هـ/1361م)، **عيون التواريخ**، ج21، ج23، تحقيق: فيصل السامر وآخرون، دائرة الشؤون الثقافية العراق، 1984م.

52- ـــــــــــ، **فوات الوفيات والذيل عليها**، 5 مجلدات، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1973 – 1974م.

53- أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل (ت 665هـ/1266م)، **الروضتين في أخبار الدولتين**، 5 أجزاء، ج3، ج4، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت 1997م.

54- ابن شاهين الظاهري، غرس الدين خليل (ت872هـ/1467م)، **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**، تصحيح: بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، 1893م.

55- ابن الشحنة، أبو الفضل محمد بن الشحنة الحلبي الحنفي (ت890هـ/1485م)، الدر **المنتخب في تاريخ مملكة حلب**، علق حواشيه: يوسف بن الياس سركيس الدمشقي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1909م.

56- ابن شداد، عز الدين بن علي بن إبراهيم (ت 684هـ/1205م)، **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**، تحقيق: يحيى زكريا، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1978.

57- ـــــــــــ، **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**، تحقيق: جمال الدين الشيال، دن، دم، 1954م.

58- الشهابي، حيدر أحمد (ت1251هـ/1835م)، **الغرر الحسان في تواريخ وحوادث الزمان** (تاريخ حيدر الشهابي) جزءان، ج1، وضع حواشيه نعوم مضغب، مطبعة السلام، مصر، 1900م.

59- صالح بن يحيى، (ت 840هـ / 1436م)، **تاريخ بيروت** (أخبار السلف من ذرية بحتر ابن علي امير الغرب ببيروت)، تحقيق: الاب يونس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1969م.

60- الصفدي الحسن بن أبي محمد عبد الله الهاشمي العباسي (ت 717هـ/1317م)، **نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، 2003.

61- الصوري، ويليم، **الحروب الصليبية الحروب الصليبية**، 4 اجزاء،ج2،ج3 ترجمة وتعليق، حسن شبلي، الهيئة العربية للكتاب، القاهرة، 1994م.

62- الطباخ الحلبي، محمد راغب بن محمد (ت 1370هـ/1951م)، **أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**، 7 أجزاء، ج2، ط2، تعليق وتصحيح: محمد كمال، دار القلم العربي، حلب، 1988م.

63- ابن طولون الصالحي، شمس الدين محمد بن علي (ت 953هـ/1546م)، **إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى**، تحقيق محمد أحمد دهمان، دار الفكر، دمشق، 1984م.

64- ـــــــــ، **نقد الطالب لزغل المناصب**، تحقيق محمد أحمد دهمان وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1992م.

65- ابن عبد الظاهر، محيي الدين (ت 692هـ/1282م)، **الألطاف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الملكية الأشرفية**، ج3، تحقيق: إيكسل موبريج، السويد، 1902م.

66- ـــــــــ، **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**، تحقيق: مراد كامل ومحمد النجار، الشركة العربية للطباعة، القاهرة، 1961م.

67- ابن العبري، أبو الفرج غريغوريوس بن اهرون الملطي (ت 685هـ/1286م)، **تاريخ الزمان**، نقله إلى العربية: اسحق أرملة، دار المشرق، بيروت، 1986.

68- ـــــــــــ، **تاريخ مختصر الدول**، دار المسيرة، بيروت، (د. ت).

69- العجمي، سبط الحلبي (ت 884هـ/1478م)، **كنوز الذهب في تاريخ حلب**، ج1، تحقيق: شوقي شعث فالح البكور، دار القلم العربي، حلب، 1996.

70- العسقلاني المصري، شافع بن علي الكاتب (ت730هـ/1329م)، **الفضل المأثور من سيرة الملك المنصور**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، 1998م.

71- العصامي، عبد الملك بن حبيب بن عبد الملك الشافعي (ت 111هـ/1699م)، **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

72- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي (ت 1089هـ/1678م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 18 جزء، ج7، تحقيق: عبد القادر الارناؤوط ومحمود الارناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، 1986م.

73- العيني، بدر الدين محمود (ت 855هـ/1451م)، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان** ج3، حوادث (689-697هـ/1290-1298م)، 1990م.

74- الغزي، كامل بن حسين بن مصطفى البالي (ت 1351هـ/1933م)، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، ج3، المطبعة المارونية، حلب، 1926م.

75- أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل (ت 732هـ/1331م)، **تقويم البلدان**، اعتنى بتصحيحه: رينود والبارون ديسلان، باريس، 1840م.

76- ـــــــــــــ، **المختصر في أخبار البشر**، 4 أجزاء، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

77- ابن الفرات، ناصر محمد بن عبد الرحيم (ت 807هـ/1405م)، **تاريخ ابن الفرات (تاريخ الدول والملوك)**، 9 مجلدات، مج7، تحقيق: قسطنطين زريق، مج8، تحقيق: قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين، دن، دم، دت.

78- Ibn ALfurat , **Duwal wal Maluk AL-Ayyubids , Mamlukes and Crusaders**,slation from the tariksh , Text and translation by Alyons, Cambridg, 1971

79- ابن فضل الله العمري، شهاب الدين بن يحيى (ت 749هـ/1349م)، **التعريف بالمصطلح الشريف**، تحقيق: محمد خسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م.

80- ـــــــــ، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، دولة المماليك الأولى**، تحقيق: دروينا كرافولسكي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، 1986م.

81- ـــــــــ، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، قبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجريين**، تحقيق: دروينا كرافولسكي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، 1986م.

82- ـــــــــ، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ممالك مصر والشام والحجاز واليمن**، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، دت.

83- قرطاي، شهاب الدين العربي الخرنداري(ت بعد708هـ/1308م)، **تاريخ مجموع النوادر مما جرى للأوائل والأواخر**، تحقيق: هورست هايف، محمد الحجيري، مؤسسة الرسالة، 2005م.

84- القرماني، أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد (ت 1008هـ/1299م)، **أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ**، 3 مجلدات، مج2 تحقيق: فهمي سعد وزميله، عالم الكتب، بيروت، 1992م.

85- القلقشندي، ابو العباس شهاب الدين بن عبد الله بن أحمد (ت 821هـ/1418)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، 14 جزء، شرحه وعلق عليه:يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت،1987م.

86- _____، **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**، تحقيق:إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية ودار الكتاب المصري، القاهرة،دار الكتاب اللبناني – بيروت 1982م.

87- _____،**مآثر الإنافة في معالم الخلافة**، 3 أجزاء،تحقيق:عبد الستار احمد فراج،عام الكتب، بيروت، 1980م.

88- _____، **نهاية الأرب في معرفة إنساب العرب**، ط3، تحقيق:إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت،1991م.

89- ابن قيم الجوزية، محمد (ت 751 هـ / 1349م)، **احكام اهل الذمة**، جزءان، ط2، تحقيق: صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، 1981م.

90- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل القرشي الدمشقي (ت 774هـ/1372م)، **البداية والنهاية**، 14 جزء، ج14، تحقيق: مصطفى العدوي، دار ابن رجب، المنصورة 2004م.

91- الكرمي، مرعي بن يوسف (ت 1032هـ/1623م)، **نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء والسلاطين**، تحقيق: أميرة دبابسة، جامعة النجاح.

92- ابن كنان، محمد بن عيسى بن محمود بن كنان الصالحي (ت 1153هـ/1740م)، **حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين**، تحقيق: عباس صباغ، دار النفائس، بيروت، 1991.

93- ـــــــــــ، **المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية**،قسمان تحقيق: حكمت إسماعيل، مراجعة: محمد المصري، وزارة الثقافة، دمشق، 1992م.

94- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت 450هـ / 1058م)، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، تحقيق: عصام الحرستاني ومحمد إبراهيم الزغلي، المكتب الإسلامي، عمان، دمشق بيروت، 1996م.

95- مجهول، (ت 742هـ/1341م)، **تاريخ سلاطين المماليك**، تحقيق: زتيرستن، ليدن، بيريل، 1919.

96- ابن المغيزل، نور الين علي بن عبد الرحيم أحمد الكاتب (ت695هـ / 1295م)، **ذيل مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

97- المقري، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت770هـ/1368م)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، جزءان، دار الفكر، دم، دت.

98- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ/1441م)، **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2000م.

99- ـــــــــــ، **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2000م.

100- ـــــــــــ، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 8 أجزاء،ج2، تحقيق: محمد عطا، منشورات: محمد علي بيضون، مكتبة العلم، 1997م.

101- ـــــــــــ، **المقفى الكبير**، 4 أجزاء، ج2، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، 1911م.

102- ـــــــــــ، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، 3 أجزاء، دار التحرير، 1270م.

103- الملطي، زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الشيخي (ت 920هـ/1514م)، **نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين**، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين علي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1987م.

104- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت717هـ/1311م)، **لسان العرب**، الدار المصرية، القاهرة، دت.

105- ابن منكلي، محمد (ت 784هـ/1382م)، **الأدلة الرسمية في التعابي الحربية**، تحقيق: محمد شيت خطاب، مطبعة المجتمع العلمي العراقي، 1988.

106- ابن النحاس، احمد ابراهيم بن محمد الدمشقي (ت 814هـ/ 1314م)، **مشارع الاشواق الى مصارع العشاق ومثير الغرام الى دار السلام**، دراسة وتحقيق: ادريس محمد علي، ومحمد خالد اسطنولي، دار البشائر الاسلامية، بيروت، 1990م.

107- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب التيمي القرشي (ت 733هـ/1332م)، **نهاية الإرب في فنون الأدب**، 31 جزء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ج31، تحقيق: الباز العريني وعبد الهادي الأهوائي، المؤسسة المصرية للتأليف، 1992م.

108- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم بن واصل (687هـ/1298م)، **أجزاء**، تحقيق: جمال الدين الشيال، دن، دم، دت.

109- ابن الوردي، أبو حفص زين الدين عمر (749هـ/1349م)، **تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي)** جزءان، تحقيق: أحمد رفعت البدراوي، دار المعرفة، بيروت، 1970م.

110- ابن وصيف شاه (ت596هـ/1199م)، **جواهر البحور ووقائع الأمور وعجائب الدهور في أخبار الديار المصرية المعروف (فضائل مصر وأخبارها)**، تحقيق: محمد زينهم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2002م.

111- اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت 768هـ/1366م)، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في ما يعتبر من حوادث الزمان**، 4 أجزاء،ج4، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1970م.

112- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626هـ/1228م)، **معجم البلدان**، 5 مجلدات، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1957.

113- اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن واضح (ت 282هـ / 895م)، **البلدان**، بريل، ليدن، 1893م.

114- اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد (ت 726هـ/1326م)، **ذيل مرآة الزمان**، بعناية وزارة التحقيقات المكتبية للحكومة الهندية، دار الكتاب الإسلامي، ط2، 1998م.

ثالثاً: المراجع:-

1. توفيق، عمر كمال، **الدبلوماسية الاسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين**، شباب الجامعة، الاسكندرية، 1986م.
2. الحايك، منذر، **العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية**، ج2، الأوائل، دمشق، 2006م.
3. حجة، شوكت، **العلاقات بين دول المماليك الأولى ودولة إيلخانية فارس**، مؤسسة حمادة، إربد، 2005م.

4. ـــــــــــ، **التاريخ السياسي لمنطقة شرق الأردن في عصر دولة المماليك الثانية**، مؤسسة حمادة، اربد، 2002م.

5. الحجي، حياة ناصر، **أحوال العامة في حكم المماليك** (678 – 784هـ / 1279 – 1382م)، شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، الكويت، 1984م.

6. ـــــــــــ، **العلاقات بين سلطنة المماليك والممالك الإسبانية في القرنين الثامن والتاسع الهجري**، دن، الكويت، 1980م.

7. الحداد، محمد حمزة، **السلطان المنصور قلاوون**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1993م.

8. ـــــــــــ، **القباب في العمارة المصرية الاسلامية (القبة المدفن)**، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، شارع بور سعيد، 1993م.

9. حسين، حسن عبد الوهاب، **تاريخ جماعة التيوتون في الاراضي المقدسة**، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، 1989م.

10. حطيط، أحمد، **قضايا من تاريخ المماليك السياسي والحضاري**، الفرات، 2003.

11. حمادة، محمد ماهر، **الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكي**، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983.

12. الدجاني، هادية وآخرون، **الصراع الاسلامي الفرنجي على فلسطين في القرون الوسطى**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1949م.

13. دهمان، محمد أحمد:، **ولاة دمشق في عهد المماليك**، ط2، دار الفكر، دمشق، 1981.

14. رزق، علاء طه، **عامة القاهرة في عصر السلاطين المماليك**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، دمياط، 2009.

15. زقلمة، أنور، **المماليك في مصر**، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت.

16. زيادة، نقولا، **دمشق في عصر المماليك**، فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت، نيويورك، 1966م.

17. الزيدي، مفيد، **موسوعة التاريخ الإسلامي في العهد المملوكي**، دار أسامة، عمان، 2006.

18. سالم، السيد عبد العزيز، **طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، دت.

19. سرور، محمد جمال، **دولة بني قلاوون في مصر**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1947م.

20. سليم، محمد رزق، **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي**، مكتبة الآداب القاهرة، 1962م.

21. السيد، محمود، **تاريخ العرب في اخطر المعارك الحربية في العالم**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1999م.

22. الصوافي، طالب، **القلاع والحصون في شمال فلسطين في فترة صراع الفرنج الإسلامي**، 492 – 691هـ/1099 – 1291 مؤسسة الأسوار عكا 2000.

23. الصياد، فؤاد، **الشرق الاسلامي في عهد الايليخانيين**، مركز الوثائق والدراسات الانسانية، الدوحة، 1987م.

24. ضومط، أنطوان خليل، **الدولة المملوكية (التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري)** دار الحداثة، بيروت.

25. الطراونة، طه ثلجي، **مملكة صفد في عهد المماليك**، دار الافاق، بيروت، 1982م.

26. طقوش، محمد سهيل، **تاريخ المماليك في مصر بلاد الشام**، دار النفائس، دم، دت.

27. عاشور، سعيد عبد الفتاح، **العصر المماليكي في مصر وبلاد الشام**، ط2، دارا لنهضة العربية، القاهرة، 1976م.

28. ـــــــــــ، **الحركة الصليبية**، ج2، 1976م.

29. ـــــــــــ،**مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك**، دار النهضة العربية، د.ت

30. عاشور،فايد حماد، **العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى**، تقديم جوزيف نسيم، دار المعارف، مصر، دت.

31. العبادي، **في التاريخ الأيوبي والمملوكي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2003م.

32. عدوان، أحمد، **العسكرية الإسلامية في العصر المملوكي**، عالم الكتب، الرياض، 1985م.

33. العريني، السيد الباز، **المغول**، دار النهضة، بيروت، دت.

34. العلبي، أكرم، **دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين**، الشركة المتحدة للطباعة والنشر، دمشق، 1982م.

35. علي، محمد كرد، **خطط الشام**، 6 اجزاء، ج2، المطبعة الحديثة، دمشق، 1925م.

36. أبو عليان، عزمي، **مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في عهد المماليك**، دار النفائس، عمان، 1995.

37. عوض، محمد، **الحروب الصليبية (دراسات تاريخية ونقدية)**، دار الشروق، رام الله، 1999م.

38. فهمي، نعيم، **طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (اواخر العصور الوسطى)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1970م.

39. قاسم، عبده قاسم، **دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي**، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1983م.

40. ـ،**عصر سلاطين المماليك**، دار الشروق، القاهرة، 1994م.

41. ماهر، سعاد، **البحرية في مصر الإسلامية**، المكتب العربي للطباعة والنشر، مصر 1967.

42. ـــــــــــ، **مساجد مصر وأولياؤها الصالحون**، 5 اجزاء، ج3، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، القاهرة، 1979م.

43. مبارك، علي، **الخطط النوفيقية الجديدة لمصر القاهرة وبلادها القديمة والشهيرة**، ط1، المطبعة الكبرى الاميرية، بولاق، 1305هـ.

44. المبيض، سليم عرفات، **النقود العربية الفلسطينية وسكتها المدنية الأجنبية**، من القرن السادس قبل الميلاد وحتى عام 1946م، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دت.

45. مهدي، شفيق، **مماليك مصر والشام**، الدار العربية، دم، 2008.

46. **مؤتمر بلاد الشام في فترة الصراع الاسلامي الفرنجي** (491 – 690هـ)، المنعقد في جامعة اليرموك، من 8 – 10 تشرين الثاني 1999م، المحررون: سليمان خرابشة ونعمان جبران واخرون، مطبعة جامعة اليرموك، اربد، 2000م.

47. النجيدي، حمود، **النظام النقدي المملوكي**، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية.

48. النشار، محمد محمود، **علاقة مملكتي قشتالة واراجون وسلطنة المماليك** (685 – 741هـ / 1260 – 1341م)، مؤسسة عين للدراسات، القاهرة، 1997م.

49. نصر الله، سعدون عباس، **رحيل الصليبيين عن الشرق في العصور الوسطى**، دار النهضة العربية، بيروت، 1995م.

50. النقر، محمد الحافظ، **القوى الفاعلة في المجتمع في العصرين الايوبي والمملوكي**، دار المسار، المفرق، 2002م.

51. هياجنـة، محمـد أحمـد، **محاضـرات فـي تـاريخ المغـول والمماليـك**، مكتبـة الحـرمين والعلـوم والتكنولوجيا، إربد، دت.

52. الوقاد، محاسن، **الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية** (648-923هـ/1250-1217م) الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1999.

53. يوسف، جوزيف نسيم، **دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1988.

رابعاً:الرسائل الجامعية:-

1. حجازي، فايزة، **اهل الذمة في بلاد الشام في العصرين الايوبي والمملوكي**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، 1992م.
2. الحروب، محمد، **دور المماليك في تصفية الوجود الصليبي من فلسطين وبلاد الشام** (648 – 690هـ / 1250- 1291م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس وجامعة الاقصى، 2009م.
3. ـــــــ، **المماليـك الأتـراك فـي الدولـة الايوبيـة** (567 – 648هـ / 1171 – 1250م)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاردنية، 1995م.
4. حسن، ريم محمود، **العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في أوائل أسرة قلاوون**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية 2006.
5. داوود، جورج، **مدينـة حلب فـي العصر المملوكي الأول**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، 1977.

6. الشريدة، آمنة شفيق، **الجيش في بلاد الشام في العصر المملوكي**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، 1993.

7. عامر، ناصر، **الحياة الزراعية في مصر زمن الدولة المملوكية الثانية**، رسالة دكتوراه، الجامعة الاردنية، 1998م.

8. عجاج، أحمد محمد، **النقود المملوكية في متحفي السلط ومادبا**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، 1994.

9. العمايرة، خالد، **موانئ البحر الاحمر واثرها في تجارة المماليك**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، 2004.

10. المولى، سالم يونس، **العراق في السياسة المملوكية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، 1989.

خامساً: الدوريات العربية:-

1. اسكندر، فايز، **الأشرف خليل بن قلاوون وفتح قلعة الروم**، مجلة التاريخ الإسلامي والوسيط، مج1، ج1، قسم التاريخ كلية الآداب، جامعة عين شمس، 2000-2001م.

2. جبران، نعمان، وآخرون، **محاولات المغول (إيلخانية فارس) للتحالف مع القوى الأوروبية لاقتسام بلاد الشام**، مجلة كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد 20، جامعة قطر، 1997م.

3. حسن، علي إبراهيم، **آراء في تاريخ دولة المماليك البحرية**، مجلة كلية الآداب الجامعية، مج7، القاهرة، 1944م.

4. عبد الرحيم، رائد، **صدى فتح عكا سنة 690هـ في الشعر العربي**، مجلة إربد للبحوث والدراسات، مج6، العدد 1، نيسان 2003م.

5. غوانمة، يوسف، **التجارة الدولية في مناطق شرق الاردن في جنوب بلاد الشام في العصر المملوكي**، مجلة دراسات تاريخية، مجاد 7، العدد 23، 1986م.

سادساً: الموسوعات والمعاجم:-

1. إبراهيم، رجب، **المعجم العربي لأسماء الملابس**، تقديم: محمود حجازي، دار الوفاق العربية، القاهرة، 2002.

2. أنيس، إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، دار إحياء التراث، بيروت.

3. البقلي، محمد قنديل، **التعريف بمصطلحات صبح الأعشى**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983م.

4. التونجي، محمد ، **معجم أعلام النساء**، دار العلم للملايين، بيروت، 2001.

5. ـــــــــ، **المعجم الذهبي**، دار العلم للملايين، بيروت، 1868م.

6. أبو حجر، آمنة، **موسوعة المدن العربية**، دار أسامة، عمان، 2002.

7. ـــــــــ، **موسوعة المدن والقرى الفسطينية**، دار أسامة، عمان، 2003.

8. الخطيب، مصطفى، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، مرسسة الرسالة، بيروت، 1996.

9. الدباغ، مصطفى مراد، **موسوعة بلادنا فلسطين**، 10 أجزاء، الجزء الأول قسمان، دار الهدى، دم، دت.

10. دهمان، محمد، **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1990.

11. رزق، عاصم، **معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000.

12. الرصافي، معروف، **الآلة والأداة وما يتبعها من الملابس والمرافق والهناة**، تحقيق: عبد الحميد الرشودي، دار الرشيد، بغداد، 1980.

13. شامي، يحيى، **موسوعة المدن العربية والإسلامية**، دار الفكر العربي، بيروت، 1993.

14. كحالة، عمر رضا ، **معجم قبائل العرب الحديثة والقديمة**، 5 أجزاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1887.

15. ـــــــــــ،**أعلام النساء في عالمي العربي والإسلامي**، ج1، مؤسسة الرسالة، 1984.

سابعاً: المصادر والمراجع الأجنبية:-

. المعربة:-

1. باركر، آرنست، **الحروب الصليبية**، ترجمة السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، دت.

2. رايلي، سميث، **الإستبتارية (فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص)** (1000هـ/1310م)، ترجمة: صبحي الحابي، دمشق، دار طلاس، 1989م.

3. رنسيمان، ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، نقله إلى العربية: السيد الباز العريني، 3أجزاء، ج3، ط3 1993، دن، دم.

4. سيتون، كينث، **تاريخ الحروب الصليبية**، تحرير سعيد البيشاوي ومحمد عوض، دار الشروق، عمان، 2004.

5. كازانوفا، بول، **تاريخ ووصف قلعة القاهرة**، ترجمة أحمد دراج، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1974.

6. لابدوس، إيرا، **مدن إسلامية في عهد المماليك**، ترجمة علي ماضي، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987.

7. ماير، ل. أ، **الملابس المملوكية**، ترجمة صالح الشيتي، مراجعة: عبد الرحمن فهمي محمد، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1952م.

8. موير، وليم، **تاريخ دولة المماليك في مصر**، ترجمة محمود عابدين وسليم حسن، ط1، مطبعة المعارف، مصر، 1924.

9. هايد، ف، **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى**، 4 أجزاء، ترجمة رضا محمد رضا، راجعه: عز الدين فودة، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1991.

10. هنتس، فالتر، **المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المقري**، ترجمة كامل العسلي، بيرتولدشبولر.

. المراجع الأجنبية:-

1. Abu lafia , daved , **Mediterranean Encouters , Economic , Relijious , pliticul** , 1100 – 1550 , Vermont , 2000.

2. Abu Mustafa ayman , **The trad Roads in Palestine During the Mumluk eciode**, Historical. Geographical and Econnomic study Univercity of Bergen, 2002.
3. Addison, u, charles , **The knights Templars testis svmaxi**, Landon, 1842.
4. Benvenisti, Moren , **The Crusaders in the Holy Land**, Israel universities, Jerusalem, 1970.
5. Conder , R. E, **Claude Reignier , Syrian stone – Lore** , the monumental History of Palestine , London 1889.
6. Creswell, K, **Muslim Architecture of Eygpt,** Vols II, Hacher Art Books, London, 1978.
7. delawille la Roulx , **les Archives Bibliotneoque le Tresor De lordne desaint- Jean de Jerusalem**- Amalte Paris, Ernest Thoin , 1883.
8. Crosset,Rene, **Histoire des croisades** Et Du Roy franc de Jerusalem Librairie plon , paris.
9. Holt , p. m , **The Age of the crusades** , Longman , Londonan , Newyork.
10. King , E. J**, The Kinghts Hospital Lers ine The ltolyan** , Methuen , 36 Essex s. London , 1931.
11. Prawer , Joshua , **The Latin King dom of Jerusalem** , weiden feld and Nicolson , London , 1972.
12. Rachard, Jean ,**The latin kingdom of Jerusalem,** Translated by Janet sharlys, oxford, newyork, 1979.
13. Sharon , M, **The history of Palestine from The Arab conaest until The crusades and under The mameLuks** (1250-1510) , Hebron university , Jrusalem.

14. Stevensons , W.B **, The crusaders in The East** , Cambridge , London , 1907.
15. Stewart. M. A , Aubrey, **Palestine pilgrims Text Society, Hanover Sauarew**, London, 1895.
16. Stierlin, henri and anne, **Splendours of an Islamic world**, Tauris park book, London new York.
17. **The Enclopaed of Islam** IV , MTP , Leiden , Brill , 1991.
18. Trac , henry , The crasades , London , 1962.

. الدوريات الأجنبية:-

1. Donald. P , **The fall of Akka in 690 / 1291 from studies in Islamic History and civilization** , E. J. Brill Leiden , Jerusalem.

Abstract

This study about Sultan Al-Ashraf Khalil Bin Qalawoun and his internal and foreign policy (689-993 Hijri / 1290-1294 AD), this study aimed to identify the most important features of the Sultan Al-Ashraf Khalil personality, his relations with princes in his state, the foreign relations and the conditions of the Mamluki Sultanate in his reign.

The first chapter talks about the Sultan Al-Ashraf Khalil birth and his family, his moral and humanitarian attributes, his cultural upbringing and state custody and sitting on the chair of the Sultanate, also this chapter studied his relations with princes and his policy towards them, and talked about the causes that led to the bad relationship with them, which eventually led to his murder, the second chapter talked about Sultan Al-Ashraf Khalil policy toward Europeans of the Shami coast, and his determination to fight them, the liberalization of the last cities and strongholds that were shelter them, also this chapter talks about Sultan Al-Ashraf relations with Mongols of Persia and the Kingdom of Armenia and the Kingdom of the Nuba as the most important neighboring countries of Mamluk Sultanate at that time, as studied the most important treaties held by the Sultan.

Chapter III Explains the military and administrative conditions, especially in the army and Prosecutions of Mamluk Sultanate in the era of Sultan, also studied the economic conditions and the Sultan role in facilitating commercial traffic at the external and internal trade, description of agricultural and transport conditions, money of the Sultan’s that he differed from other rest of the sultans, Sultan's relationship with some people of Shami society, such as the most important Alexroan mountains and Shami Arab tribes. Chapter III also talked about the most important architectural landmarks associated with the name of Sultan in Egypt and the Sham, which immortalized his memory.